السلسلة التفسيرية الحديثة بطرح جديد وأسلوب معاصر (١)

تفسير القرآن الكريم

في

أسلوبه المعاصر

(معاني الألفاظ/ أسئلة وأجوبة/ دروس)

تأليف

السيد حسين الموسوي الصافي

بسم الله الرحمن الرحيم

نقطة المسير في علم التفسير[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد:

إن شرف العلم وفضل مقامه بمعلومه وفضل منزلته، ثم إن من أفضل العلوم الإسلامية (علم التفسير) بل وعلوم القران الكريم، فانه كلام الله سبحانه وقوله الكريم، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾، وانه من أحسن الحديث والقصص.

إن التفسير: علم يشرح ويبين آيات القرآن الكريم، ويكشف القناع عن المعاني القرآنية ودلالتها وظواهرها منذ عهد نزول الآيات والوحي، إلى يومنا هذا وغداً، وانه يتنوع ويزداد ويتسع باتساع المعارف والعلوم البشرية والتقدم العلمي والحضارة المزدهرة بالثقافة والعلوم والفنون والمدنية. ولقد فسر العلماء القرآن الكريم طوال أحقاب متمادية منذ العصر الأوّل للإسلام وبلغات مختلفة ومستويات متفاوتة ومناهج متعددة وأساليب متنوعة، ألا أنّها كلها تصب في مصب واحد حيث أنها تريد أن تكشف الحقيقة وتصل إلى الواقع العلمي والعملي المتفاعل مع عصر الحضور. ثم دون لعلم لتفسير قواعد وأصول عامة وخاصة عرضت مستقلاً في مؤلف أو مصنف أو ضمن مقدمة التفاسير.

---

(١) مقدمة كتاب (تفسير القرآن الكريم في أسلوبه المعاصر) بقلم سيد عادل العلوي.

هـذا ويمكـن تقسـيم التفسـير إلـى تفسـير النبـي صلى الله عليه وآله وتفسـير أهـل البيـت عليهم السلام أو الصحابة والتـابعين والتفسـير المـأثور والتفسـير الأدبـي والفقهـي والفلسـفي والكلامـي والعرفاني والعلمي الطبيعي والاجتماعي وغير ذلك. كمـا هـو مـذكور فـي المفصـلات من المؤلفات العامة والخاصة.

يقول صاحب المطول «**ولما كان علم البلاغة وهو المعاني والبيان وتوابعهـا وهو البديع من أجل العلوم قدراً، وأدقهـا سـراً إذ بـه يعـرف دقـائق العربيـة وأسرارها، وبه يكشف عن وجود الإعجاز في نظم القرآن فهو من أجلّ العلـوم لكون معلومه من أجلّ المعلومات وغايته من أشرف الغايـات وجلالـة العلـم بجلالة المعلوم وغايته، فلما يعلم بمعجزة القرآن وانـه يصّـدق الرسـول صلى الله عليه وآله ومن ثَمّ فيتّبعه فيفوز بالسعادة الدنيوية والأخرويـة**» ولا يخفـى إن علـم البلاغـة من آليات علم التفسير.

ثم القرآن الكريم منبع الاستحياء : فان آياته الكريمـة لا تتجمـد فـي النقطـة التـي انطلقت منها ونزلت فيهـا، لأن أسـباب النـزول لا تمثـل إلا المنطلـق الـذي تحركـت الفكرة من خلاله بعيـداً عـن كـل مـا يحـددها ويقيـدها فـي دائرتـه. ولـذلك عاشـت الآيات الكريمة غضه جديدة تتماشى مع كـل عصـر وفـي كـل مصـر لتشـع أنوارهـا وتمتد مع الزمان والمكان وفي كل مجالات الحياة وأبعادها وعلى كل الأصعدة، بـل في موضع يتسع للفكرة وللمفهوم من خلال النموذج الأوّل، هذا أولا.

وثانياً: إن الآيات الشريفة قد تتحرك في نطاق ومضمون فكري معين ولكنهـا توحي لنا شكلاً ونحواً آخر، باعتبار علاقة المعنـى الـذي تتضـمنه الآيـة بـالمعنى الآخر من حيث طبيعة النتائج العملية ومن حيث وحدة المسار والمصير، وهذا مـا عبرت عنه بعض الأحاديث المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام بالتأويل الـذي

لا يقصد منه إعطاء اللفظ مدلولاً ثانياً غير المدلول الذي يظهر منه بحسب وضعه اللغوي، بل يقصد استحياء المعنى الحقيقي ومن أجل الإيحاء بمعنى آخر. وذلك كما ورد في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ﴾[1] فقد ورد في كتاب الكافي بإسناده عن فضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله الله عز وجل في كتابه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال : من حرق أو غرق قلت : مَن أخرجها من ضلال إلى هدى قال : ذلك تأويلها الأعظم[2]. والظاهر أن المراد من التأويل الأعظم هنا المفهوم الأعمق الأدق، ويبقى إنّما يقف على هذه المفاهيم من خوطب بالقرآن الكريم ومن يحذو حذوهم من العلماء الأعلام والصالحين الكرام، فإنهم ورثة الأنبياء عليهم السلام، أُولئك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فإنهم الراسخون في العلم يمسّون المكنون من كتاب الله عز وجل ومن يحذو حذوهم ويقتدي بهم.

ولما كان القرآن الكريم كلام الله الفصيح والبليغ، وأن البلاغة بمعنى الكلام الفصيح المطابق لمقتضى الحال، وأن بلاغة القرآن من معجزته الخالدة، فما من عالم في أي علم وفن ورد في القرآن الكريم إلا رآه عميقاً ومعجزةً في علمه، وبهذا اختلفت التفاسير وتنوعت إلى أدبية واجتماعية وفلسفية وعلمية وعرفانية وأخلاقية وفقهية وغيرها.

ثم للمفسر قبل أن يدخل في تفسير آيات القرآن الكريم عليه أن يراعي مجموعة مقدمات ولوازم، ومنها ما يخص علم التفسير كعلم، ومنها ما يخصّ الكتاب المجيد من جهة أهدافه وغاياته، ومنها ما يخصّ المفسر من ناحية آدابه

---

(١) المائدة : ٣٢

(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني، ج٩ ص١٠٥.

وشرائطه في ممارسة عملية التفسير، ومنها ما يخص مناهج التفسير المتداولة في الدراسات التفسيرية قديما وحديثا، وما هي خطواتها العامة، وما هي خصائصها ومميزاتها.

والمفسّر يشترك مع تالي القرآن في بعض الآداب والشرائط، فانه ورد في الحديث الشريف «**رب تال للقرآن والقرآن يلعنه**»[1] وكذلك المفسر فرب مفسر يلعنه القرآن لعدم رعاية حقوقه وواجباته وأن يتفاعل مع آياته عقلاً وسلوكاً، قولاً وعملاً...

ثم حق تلاوة القرآن وكذلك التفسير، أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فخط اللسان تصحيح الحروف والمخارج بالترتيل، وحظ العقل إدراك المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالحالات المذكورة، فاللسان والقلم واعظ القلب والجوانح، والعقل مترجم والقلب متعظ. وإذا كان لتلاوة الكتاب الكريم آداب ظاهرة وباطنة، فكذلك التفسير، فان من الظاهرة مثلاً الوضوء والوقوف على هيئة الأدب والطمأنينة واستقبال القبلة وغيره.

وان من الباطنة: فهم عظمة الكلام وعلّوه، وتعظيم المتكلم والخضوع والخشوع والرقّة وحضور القلب وترك حديث النفس والتدبر والتفهم والتخلي عن موانع الفهم والتحلّي بصفات الكمال، وإن القرآن يخصّه أولاً ويتأثر بحسب اختلاف الآيات حتى تدمع عيناه ويقشعر جسده عند آيات العذاب والنار، ثم يترقى ثم يتبرئ من حوله وقوته ويرى نفسه من المذنبين فينقطع إلى ربه، ويفنى في إرادته ويبقى في بقائه سبحانه وتعالى وهذا ما يسّمى بمقام الفناء تالله والبقاء به.

---

(1) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٤ ص٢٤٩.

ثم لا يخفى انه لو صنف كتاب يختص بجماعة من أهل العلم أو العمل فانه سينتفع من ذلك الكتاب تلك الجماعة دون غيرهم لما لديهم من لغة الاختصاص التي صيغ بها محتوى الكتاب ومعلوماته، وكل العلوم من هذا القبيل كالطب والكيمياء وما شابه ذلك، أمّا لو كان الكتاب يصنف لعامة الناس بل للبشرية جمعا، كالقصص العالمية، فانه لابد أن يحتوي على ركنين أساسيين: الأوّل أن يفهمه كل الناس. الثاني: أن يكون نفعه للجميع، فيحتاجه الكل فيكون الكتاب عالمياً حينئذٍ لعموم منفعته فيفهمه الجميع. فيكون بحكم الماء الذي جعل منه كل شي حي، ليس بمنزلة الفاكهة التي تختلف باختلاف المذاق وباختلاف الفصول. والقرآن الكريم إنّما انزله الله هداية للجميع وللبشرية قاطبة، ولازم ذلك أن يفهمه الجميع كما ينتفع به الجميع، والمقصود من فهم الجميع ليس الوقوف على الأدب العربي بأقسامه وفنونه وإتقانه، بل المراد من الفهم الجماعي هو الثقافة التي يشترك فيه الجميع، فإذا كانت خاصة بلغة أو قومية أو طائفية فإنّها لا تكون ثقافة بشرية، ولكن إذا انبعث من الفطرة الإنسانية الطاهرة والسليمة كما في المعتقد الإسلامي وانه «**كل مولود يولد على الفطرة**»(١) أي فطرة التوحيد ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾(٢) تلك الثقافة تكون ثقافةً عامةً لكل الأجيال وفي كل عصر ومصر، يفهمه الجميع ويتفاعل معها بكل وجوده، إذ كلهم سواسي في هذه الفطرة الإنسانية.

ولغة القرآن لغة الفطرة السليمة، فثقافته للجميع ولغته لغة عالمية تحتوي على ما يحتاجه الإنسان حقاً في حياته بكل مجالاتها وأبعادها، كالعطشان الذي يروى

---

(١) الخلاف، للشيخ الطوسي، ج٣ ص٥٩١.

(٢) الروم: ٣٠.

عطشه بالماء العذب صدقاً. فالقرآن يدعو البشرية بلسان الفطرة، فانه بهذا سيسود العالم ويخلّد حاكماً، وينتفع به الجميع رجالاً ونساءً من أي حرفة وفن وعلم، ومن أي فصيلة وأسرة أو غير ذلك من الفوارق الظاهرية العرقية أو القومية أو الجغرافية أو غيرها.وهذا ما يدل عليه القرآن الكريم نفسه في قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[١] فانه يدل على انتشار شعاع القرآن على البشرية جمعاء. وفي قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[٢] أي للناس كافة وجميعاً إلى يوم القيامة، فالرسول الخاتم محمد ـ صل الله عليه وآله ـ ورسالته خاتمة الأديان للناس قاطبة وان كتابه خالد بخلود الرسالة وبخلود الزمن ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣] وهذا يعني بوضوح أن لغة القرآن لغة الجميع وإنه بلسان الفطرة السليمة، وإنها لغة العالمين. ولفظ (العالمين) في القرآن استعمل في مواطن ثلاثة : فتارة المراد منه منحصراً في زمن خاص كسيادة مريم على نساء العالمين في زمانها، وأخرى من عصر النبي الخاتم صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة كما في قوله ﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وثالثة يستعمل ويراد منه الماضي والحاضر والمستقبل، كربوبية الله على العالمين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وإذا كان القرآن للجميع فانه يلزمه ألا يكون فيه إبهام وتعقيد بل فيه تبيان وبيان لكل شي. ثم المراد من لسان الفطرة القرآنية نورانية القرآن الكريم الذي

---

(١) المدثر :٣١

(٢) سبأ : ٢٨

(٣) الفرقان :١

يستضيء بها البشرية جميعاً ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[١] فان الكل يرى النور ويرى ما حوله بالنور الحسي المعنوي القرآني، فان النور ظاهر بنفسه ومظهر لغيره، فأصل النور يراه ويدركه الجميع، إلا أنه من الكلي التشكيكي ذات المراتب الأفقية والعمودية، فربما بعض يرى نوراً لا يراه غيره. وكذلك القرآن الكريم فانه وإن كان للجميع ويحتاجه الكل فانه يدركه الجميع في أصله، إلا أن له مراتب ودرجات وفوق كل ذي علم عليم، فرسالة النبي رسالة النور ويفهمه الجميع بلسان الفطرة الموحدة، وإذا كان في القرآن متشابهات وحروف مقطعة في أوائل السور، فانه رموز لما في السور وإن بعض الآيات مفاتيح أقفالها بيد أهل القرآن وأهل الذكر ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢] فالرسول والعترة الهادية أي الراسخون في العلم ومن يحذوا حذوهم يعلمون المتشابهات والغوامض وما يفتقر إلى إسراج المصابيح لإنارة درب الإنسانية. وما قيل: إن هذا القرآن لا يفهمه إلا من خوطب به ـ كما هو معتقد الإخبارية ـ فانه في الواقع ناظر إلى كنه المعارف لا أصل القرآن، وإلا فكيف يحتج بالقرآن الكريم حينئذ. فلا إبهام فيه إذ أنه نور، والثابت أن نورانية النور من ذاته، وان الذات لا يعلل فلا يحتاج إلى الغير فبالقرآن تتضح الأشياء وتبرز الحقائق، وانه لا ظلمة فيه، إلا أن بعض آياته كشمس في نوره، وبعضها كالكواكب، فان النص مؤداه العلم واليقين وانه غير الظواهر المفيد للظن، إلا إن كلاهما ـ النص والظاهر ـ نوران يستضاء بهما، فأصل الاستدلال بالقرآن الكريم

---

(١) المائدة: ١٥

(٢) النحل: ٤٣

ميسور للجميع، إلا أن معانيه السامية تختلف باختلاف ما عند القارئ من الخزين العلمي والثقافي، ومن الطهارة والقداسة الروحية والعقلية. وبهذا اتضح مما ذكرنا أن القرآن الكريم كتاب عزيز ومجيد أنزله الله سبحانه لهداية الناس وإسعاد البشرية، ولازم ذلك أن تكون اللغة القرآنية لغة الجميع وان لسان الوحيد الذي يتخاطب به في كل زمان ومكان هو لسان الفطرة، ومنه لسان القرآن وإن كان بلغة عربية، وإذا كان هذا الكتاب الإلهي لا ينسخ من بعده، ولا يأتيه الباطل مطلقاً، فلابد أن تكون حينئذ ثقافته ثقافة فطرية لا تتغيّر، فانه خلق الله الناس على الفطرة وأعطاهم مقياس التميز ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[1] وهذا يعني إنّ القرآن مع النفس لا مع البصر والسمع. فلا يضر الأصم صممه ولا الأعمى عميه في فهم القرآن الكريم، فان كل نفس تعلم فجورها وتقواها بالإلهام من الله عز وجل، وان الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، وألقى الستار ليغطي عن حقيقة نفسه، ثم المعرفة للروح كالسمع والبصر للجسد، وأمّا رين القلب وصدأه فانه كل نفس بما كسبت رهينة، وليس للإنسان إلا ما سعى، ولسوف سعيه يرى بعد أن منحه الله العقل ليميز الحق من الباطل والخير من الشر، ورفع القلم عن المجنون من تكليف عليه، وإنما الخطابات القرآنية بقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾ أو ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ لمن كان مستوي الخلقة أي مستوي النفس، ونفس وما سواها، فانه لا يضر نقص الخلقة في الظاهر كالعرج في كسب المعارف والعلوم فتدبر. ثم تحدى القرآن الكريم أن يأتي بمثله ولو كان الجن والإنس بعضهم لبعض ظهيرا وهذا لا يختص بزمان دون زمان بل التحدي عام

---

(1) الشمس : ٧-٨

لكل العصور والأحقاب، حتى عصرنا الراهن وما بعده، إذ القرآن المعجزة الخالدة لخاتم الأنبياء والمرسلين، وفهمه ميسور لكل الناس، و التحدي والمبارزة لم تكن من حيث اللغة والفصاحة والبلاغة وحسب، بل من جهة المحتوى القرآني، وبهذا يتحدى العالم بأجمعه من الإنس والجن، وانه نور لكل البشرية بلا استثناء ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] ودعوته الخالدة إنما هي بلسان الفطرة الموحدة ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2] فإنه يدعو إلى التدبر ويوبّخ من لا يتدبر فيه، ثم الفطرة الإنسانية تارة عليها الغبار وتقفل بالذنوب فيكون القلب أصم وأبكم فلا يتدبر ما في القرآن، ويتخذه مهجوراً في حياته التطبيقية، وأخرى سلمت وطهرت وأينعت فتفتحت زهورها بسنن الأنبياء ونهج الأوصياء وهديهم، فعقلوا أمر الله وتدبروا كتابه الكريم، وفازوا بسعادة الدارين. قال تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[3] هذا تحدٍ عالمي أبدي لا يختص بالعرب ولا بلغة عربية، وان كان بالنسبة إلى فصحاء العرب يتوجه إليهم التحدي أيضا من حيث الفصاحة والبلاغة، إلا أن القرآن أفصح وأبان عن كل شي، فانه ما من رطب ولا يابس ألا في كتاب مبين حتى أسفر وأوضح عن معلم القرآن أيضاً، فان أول معلم للقرآن هو الرحمن سبحانه وتعالى ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[4] فانه معلم الإنسانية فخاطب الناس والمؤمنين في قوله

---

(١) آل عمران : ٤٢

(٢) محمد: ٢٤

(٣) الإسراء :٨٨

(٤) الرحمن ١- ٤

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾[1] فكان الخطاب عاماً ودائماً وبالفعل، ولهذا كان من أدب التلاوة عند وصول القاري إلى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أن يقول لبيك. وهذا يعني أن الخطاب له أيضاً فيلبي دعوة ربه.

فقوله سبحانه ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ يدل على أن الإنسان إنما يصل إلى حقيقة إنسانيته إذا قرأ القرآن وتدبره وفهم ما فيه وعلم به، فإذا تعلم وصار إنسانا يكون كلامه بياناً. وإلا كان صفر القول لا مغزى فيه ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2] فالمعلّم الأوّل علم كل شي، إذ علم القرآن الذي هو بمنزلة الإنسان الكامل التدويني الذي يضاهي الإنسان الكامل العيني والتكويني الذي استخلف الله في أسماءه الحسنى وصفاته العلياء. وان بعض الناس سار وسلك سبيل الله ووصل قاب قوسين أو أدنى، فيفهم ما في القرآن الكريم من الحِكم والأسرار والودائع الإلهية من المعارف والعلوم التي تنتج السعادة الأبدية، ومنهم من توقف وضلّ وأضلّ. ولم يطو المنازل والمقامات والحالات فلم يصل ولم يفهم، فضل سعيه في الحياة الدنيا وكان في الآخرة من الخاسرين.

ولا يخفى أن نزول (سورة الرحمن) لبيان النعم الإلهية، وإن أول النعم هو القرآن الكريم، إلا انه في سورة النحل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يذكر للناس تفصيلات الخطوط الأوّلية والأصلية في كتاب الله غز وجل، فان أصل وجوب الصلاة في القرآن ﴿وَأَقِيمُوا

---

(1) التوبة : ٦

(2) الأنفال :٣٥

الصَّلاةَ﴾ إلا أن رسول الإنسانية ومعلم البشرية محمد صلى الله عليه وآله يبين للناس أحكام الصلاة وفروعها ومسائلها فكان الرسول المعلم الثاني بعد المعلم الأوّل وهو الله سبحانه، وأمّا المعلم الثالث فهم العترة الهادية عليهم السلام امتداداً للنبوة في حفظها وانتشارها وبقائها وفي تفسير كتاب الله، فالقرآن للكل لسلمان الفارسي ولصهيب الروحي وأويس اليماني وبلال الحبشي وهكذا، إذ انه شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً وثبوراً، إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً.

فالقرآن الكريم يسهل الصعاب ويذلّل كل معضلة علميه ومشكلة عملية، وعلى الرسول أن ينذر القوم ويبشرهم، إلا أن الذي ينتفع منه من كان مؤمناً وخشي الرحمن بالغيب، وفهم القرآن بفطرته السليمة، لا بما يحمل من أصول وعقائد وأفكار خاصة. نعم لا شك أن من تفتحت فطرته بأنوار وأقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين فسروا القرآن و ترجموه إلى واقع عملي، فانه يفهم من القرآن أكثر من غيره، ويرتوي بمزيد من عذب ماءه فالقرآن لا إيهام فيه، إلا انه ثقيل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[1] فيخف حمله إذا رجعنا إلى الرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[2] وان رأس المال نفهم القرآن البديهيات الأوّلية والفطرية. وإلا فمجرد النظريّات لا يزيد إلا تعقيداً وبعداً عن المعنى المقصود فتدبر.

ثم المراد من الفهم القرآني للجميع فهم ثقافة القرآن لا مجرد الألفاظ، فان القرآن مع الفطرة السلمية. وإنّما تنميها وتعمقها بتعليم الرسول وتربيته ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

(١) المزمل : ٥

(٢) الحشر: ٧

كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ *لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[1] فمن أراد أن يلمس ظاهر القرآن فأنه يجب عليه أن يكون متطهراً بطهارة ظاهرية من الوضوء أو الغُسل إذا كان محدثاً بالحدث الأصغر أو الأكبر، وأما إذا أراد أن يمس باطن القرآن ومكنونه، فانه لا يمسه إلا المطهرون، أي أُولئك الذين (أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) محمد وآل محمد عليهم السلام ومن يحذوا حذوهم الأمثل فلأمثل كسلمان المحمدي الذي كان (منّا أهل البيت) لكونه كان عالماً، فكلّ عالم صالح وريث الأنبياء هو من أهل البيت عليهم السلام، وبإمكانه بالهام من الله سبحانه أن يمسّ بواطن القرآن ومكنونه المتلائم مع عصره ومصره... فالقرآن وإن كان ثقيلاً إلا أن مفاتح فهمه بيد المطهرين. ثم لما كان لسان القرآن لسان الفطرة وأنّه يفهمه الجميع فكان ميسور الفهم وان كان في مواقعه ثقيلاً كالدرر الثمينة فإنها ثقيلة الثمن إلا أنها خفيفة الحمل وميسورة الأخذ حتى للأطفال، وحينئذ هل نحتاج إلى فهم القرآن أن نرجع إلى علوم أخرى؟ الواقع لما كان القرآن هو الأصل والميزان والمحك وانه يعرف صواب أقوال الآخرين. وحتى صدور روايات المعصومين عليهم السلام بالرجوع إليه، فان الكتاب المعصوم لا يرجع إلى غير المعصوم، فلا يفسر القرآن بالفلسفة أو التاريخ أو الأدب أو العلوم الأخرى إذ لم يكن الكتاب المقدس للفلاسفة أو المؤرخين أو الأدباء وحسب، بل أتى القرآن ونزل بلسان الفطرة ليفهمه الجميع فانه مأدبة الله الكبرى في الأرض ـ كما ورد في الأخبار الشريفة ـ فكل واحد بحسب فهمه واستعداده يفهم ما في القرآن وينال من طعامه بقدر فهمه وخلفية ثقافته وخزين علمه. والمراد من المأدبة المائدة ذات الطعام المتلون لا الخالية حتى يأتي

---

(1) الواقعة : ٧٧ - ٧٩

الإنسان إليها ليضع طعامه فيها فيأكل من طعامه على مائدة الله، بل عليه عند وفوده على مأدبة الله أن لا يأخذ معه شي إلا العطش والجوع والفطرة السليمة، وحين إذن يفسّر القرآن بالقرآن، فان من ذهب سليماً بفطرة سليمة إلى القرآن الكريم لا شك أنه يقف على حقائق القرآن وأسراره بمقدار ما يحمل من الاستعداد والمنح الإلهية والمواهب الربانية. إن الله سبحانه قد وصف نبيه الخاتم في كتابه الكريم بثلاث أوصاف ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1] أي التلاوة والتزكية والتعليم والعلم، ومعطيات هذه الأوصاف للجميع، لما فيه من البرهان والتمثيل للعلماء ولعامة الناس، فان العالم منهم يفهم بالحكمة والبرهان. والعامي بالمثل الأحسن في مقام التعليم، فانه نور للناس كافة وانه نور في التزكية والتلاوة أيضا، والنور من ذاته. فلا يفتقر إلى الغير في نورانيته، بل القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، بمعنى أن نفهم القرآن بنفس آياته أو بآيات أخرى تبين لوازم الآية المفسرة، ويدل على ذلك سيرة العقلاء في كتبهم، فأنه بما يذكرون شيئاً في الفصل الأوّل ويبين ويفسر ذلك بالفصل الثاني من الكتاب، كما يدل عليه استقرار سيرة الفقهاء والأصوليين في رؤيتهم لعام أو مطلق في كتاب الله عز وجل، أن يبحثوا عن خاصه أو مقيده في آيات أخرى،كما أن القرآن نفسه أمرنا بالتدبر فيه وفي كل آياته لا بعضها دون بعض، وانه ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[2] فانه نزل بعض آياته في الحروب وأخرى في الصلح، وبعض في فرح وسرور وأخرى في هم وحزن، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه التناقض والتضاد والاختلاف، بل

---

(١) الجمعة : ٢

(٢) النساء :٨٢

كما في الكتاب التكويني ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[١] فكذلك في الكتاب التشريعي لا تجد في نظمه وسوره وآياته وفي ألفاظه ومعانيه من اختلاف، فانه منسجم من بدوه إلى ختمه، وفي قصص القرآن لو تكررت الآيات فانه لما فيه من النور، فانه في موضعها تتجلى القصة أكثر فأكثر، وتبان حقائقها ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[٢] وكيف يكون القرآن تبيان لكل شي ولا يبيّن نفسه؟ فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فالقرآن تبيان لنفسه ولغيره، كالنور الحسي الظاهر بنفسه والمظهر لغيره. فالآيات بعضها تفسّر بعضاً، كما استدل على أن أقل الحمل بستة أشهر بآيتين من كتاب الله في قوله تعالى ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾[٣] ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٤] أي أربعة وعشرين شهراً فينقص من الثلاثين فيكون اقل الحمل ستة أشهر. فلابد للقرآن من أن يستنطق وتثار دفائنه ويستنهض أسراره. وأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والعترة الهادية عليهم السلام ينبئونا بالحقائق، فإنهم القرآن الناطق، إذ أن مكنون القرآن الصامت عندهم، ففهم القرآن وان كان ميسوراً للجميع لأنه نور الجميع، إلا أن المراتب تتعالى وان الخصائص والأسرار عند أهل الذكر ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾[٥] فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، فاللغة المشتركة بين البشرية هي لغة الفطرة السليمة، فان التطور

---

(١) الملك : ٣

(٢) النحل ٨٩

(٣) الاحقاف: ١٥

(٤) البقرة: ٢٣٣

(٥) النحل ٤٤

التكنولوجي والصناعي والعلمي لا يستوجب الاستغناء عن الفطرة، بل يحس الإنسان انه بحاجة إليها أكثر فأكثر. والقرآن نزل بلسان الفطرة وبلغتها في معانيه ومفاهيمه، وان كان في ألفاظه باللغة العربية كما ذكرنا، واعدناه للتركيز عليه لما فيه من فتح الأبواب في التفسير فالقرآن يجري في البشرية منذ نزوله وإلى يوم القيامة كجري الشمس والقمر، فانه غظ جديد لا يبلى، لأنه لكل الأزمان والأمصار فلا يختص بعصر نزوله، بل في حركة العلم والتطور خالد وباق، فيبقى مع الأجيال في واقعهم الحيوي، وانه يتفاعل مع الناس في كل إبعاد حياتهم الدينية والدنيوية، العلمية والعملية، والفردية والاجتماعية السياسية والاقتصادية وغير ذلك. ويبقى كيف نفسر القرآن الكريم ليتماشى مع عصرنا ومع التقدم الصناعي والمدني، ويحاكي ويواكب التطورات والاتساع العلمي؟

إن منهجية التفسير في البداية وان كانت على نحوين: المنهج الموضوعي والمنهج ألتجزئي، أي تارة تأخذ موضوعاً على ضوء القرآن كله، وأخرى تفسير الآيات واحدة بعد الأخرى، وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف، ويفسرها المفسر بما يؤمن به من آليات ووسائل للتفسير من الظهور اللفظي أو المأثور من الأحاديث أو بلحاظ الآيات الأخرى التي تشترك مع تلك الآية المفسرة في مصطلح أو مفهوم، وبالقدر الذي يلقي الضوء على مدلول القطعة القرآنية التي يراد تفسيرها وكشف القناع عن مدلولها اللفظي فيقف المفسر دائما عند حدود فهم هذه الجزء أو ذاك في النص القرآني ولا يتجاوز ذلك غالباً، فيكون الهدف هدف تجزئي لتفسير القرآن الكريم. وقيل لأنه أشبه بالتفسير اللغوي من دون التعمق إلى المعنى من أجل الوصول إلى المصادر المتعلقة بحركة الواقع وظروفه، وهذا بخلاف المنهج الموضوعي فان الهدف القيام

بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية والاجتماعية أو الكونية، فالمقصود تحديد موقف نظري للقران الكريم وبالتالي للرسالة الإسلامية من خلال ذلك الموضوع المطروح للدراسة لتفاعله مع الواقع الخارجي فيكون القرآن الكريم ملبياً وبشكل مستمر لكل متطلبات المجتمع الإنساني على مر العصور والتي تفرضها حركة التاريخ والحركة التكاملية المتطورة للإنسان كما انه يعطينا نظريات قرآنية كليه شمولية، والتي تمثل القاعدة الأساسية في المفاهيم والنظريات الإسلامية لمختلف المجالات والمواضيع التي يحتاجها الإنسان في حياته على الأصعدة المختلفة. ومن هنا تبقى للقرآن قدرته الدائمة على القيمومة والعطاء المستجد الذي لا ينفد، والمعاني التي لا تنتهي التي نص عليها القرآن نفسه، ونصّت عليها أحاديث أهل البيت عليهم السلام[1]. ولا يخفى ما للمنهج الموضوعي على ألتجزئي من المرجحات كما هو مذكور في المفصلات من كتب علوم القرآن الكريم وإن كانت قابل للنقاش، فان لكل منهج ميزته، تميّزه على الآخر ولا تعني أنه أفضل من الآخر، فان المقصود من كلا المنهجين هو تفاعل الإنسان المعاصر مع المفاهيم القرآنية وتطبيق القرآن الكريم في حياتنا المعاصرة. فان النخبة من الناس كالعلماء والمحققين يميلون إلى المنهج الموضوعي لاستكشاف واستخراج النظريات القرآنية، بينما عامة الناس يتفاعلون مع المنهج التجزئي لانسجامه مع طبيعة الحاجات العامة التي يعيشها الناس لبيان المعالجة الميدانية

---

(1) للشهيد الصدر قدس سره بحث عن التفسير الموضوعي وبيان مصطلح الموضوعية ومعانيها الثلاثة راجع (محاضرات في تفسير القرآن الكريم للسيد محمد باقر الحكيم) والمدرسة القرآنية للشهيد الصدر.

للحالات الاجتماعية والروحية والفردية، ويبقى القرآن الكريم حياً، وتبقى مفاهيمه ممتدة ما دامت هناك حياة على وجه الأرض إلى آخر الزمان. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب ولكنه حي يجري في من بقي كما جرى فيمن مضى**»[1].

ثم القرآن الكريم انزله الله ليبين للناس كل شي، وكيف يكون مبيناً للغير ولا يكون مبيناً في نفسه؟ وأمّا حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين بأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قال: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبداً**»[2] فانه بظاهره يدل على عدم كفاية القرآن الكريم بل لابد من اقترانه بالعترة الهادية والمفسرة للقرآن، فلابد من الرجوع إلى الأحاديث الشريفة وهل هذا يضر باستقلال القرآن في تبيانه لكل شي؟

الجواب: إن لنا مقامين: مقام معنوي: ويثبت فيه أن القرآن ليس أفضل من النبي أو الإمام عليهما السلام بل هما أعظم منه ومن الكعبة كما ورد، وأخرى مقام لفظي للقرآن. والكلام فيه أن الروايات في ظواهرها حجة، فهل بنحو الأصالة أو بالرجوع إلى القرآن؟ فلو سألنا بأي دليل كلام الإمام حجة؟ فالجواب بقول الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ، وإذا قيل بأي دليل قول الرسول حجة؟ لقيل بقول الله سبحانه ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾ فيتم الجواب وينقطع السؤال وهذا يعني أن أقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام ليس منفصلاً عن القرآن الكريم، وكلا منا في التعليم والتفهيم وحجية الظواهر، وليست حجية الأخبار في

---

(1) أصول الكافي، ج١ ص١٩٢.

(2) أصول الكافي، ج٢ ص٤١٥.

عرض حجية القرآن بل في طوله ومن بركة حجيته، فظواهر سنتهم من القول والفعل والتقرير حجة، لقول الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ وقول الرسول حجه لقول الله سبحانه، وإذا بلغ إلى الله فأنصتوا لعلكم ترحمون ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] أي اسمعوا ما يقوله القرآن واتبعوه، وإن الأئمة عليهم السلام أمرونا في أخبارهم العلاجية في الخبرين المتعارضين: أن نرجع إلى القرآن الكريم، فما وافق من قولهم قول القرآن فهو منهم، وإلا فاضربوه عرض الجدار، فانه من زخرف القول، لأن كلامهم لا يخالف كلام الله. فالقرآن هو الأوّل وهو الآخر في الحجة والاستدلال والبرهان، وبه تثبت حجية قول المعصومين عليهم السلام كما مرجع قولهم إلى القران. هذا في الأخبار والأحاديث المعتبرة والمروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأمّا قول الصحابة وشان نزول الآيات وآراء المفسرين فكيف نتفاعل معها؟

أمّا آراء المفسرين فانه يحترم بعنوان قول علمي ولكن لم يكن في ذاته حجة، بل ربما طريقاً لكشف الحقائق. فلقولهم قيمة علمية دون الحجية، وأمّا شان النزول فلو كان بنحو حادث تاريخي فليس بحجة كذلك، والفرق بينه وبين الحديث من جهتين: الأوّل : إن في الحديث يبحث عن رجاله وسلسلته وبهذا ينقسم إلى الموثق والضعيف والصحيح والحسن، وفي معظمها يصل إلى الإمام المعصوم عليه السلام بخلاف التاريخ فانه يصل إلى رجل عادي كما لم يحقق في رجال التاريخ، وهذا يعني أن كلام ابن عباس في شان نزول بوحده ليس بحجة،

---

(1) الأعراف: ٢٠٤

إلا إذا حصل الاطمئنان بقوله، فالاطمئنان حجة فلا تغفل. ولا يخفى أن أقوال المفسرين أو المؤرخين أو الصحابة ربما يكون طريقاً لانفتاح المطلب لكن لا بمعنى انه الحجة. وان المورد لا يخصص ولا يعمم كما في أصول الفقه.

وخلاصة القول : إنّ الأحاديث الشريفة إنّما هي بمنزلة أرضية صالحة لفهم القرآن الكريم، وإذا ورد فيها ما يدل على التفسير فان ذلك من التطبيق ولا يعني غلق يد المفسر، إذ أنّها من باب بيان المصداق الكامل فلا يدل على الحصر. ثم الفرق بين الفقه والتفسير: إن في الفقه الظواهر حجة، ولكن في التفسير والمعارف والعقائد فانا إذا أردنا أن نعرف معنى العرش واللوح مثلاً فلا يُكتفى بالظواهر إذ أنّها ليست حجة، إلا بروايات صحيحة السند تامة الدلالة غير مضطربة المتن. فالقرآن حجته ذاتية، وكل شيء يرجع إليه، فهو الميزان والمقياس، فانه لا يكذب عليه بخلاف غيره، والأحاديث أرضية صالحة لفهمه، كما أن أقوال المفسرين أرضية علمية لتفسيره، وأمّا ما ورد في شان النزول فان انتهى إلى المعصوم فهو حجة وإلا فلا، وكذلك قول الصحابة والتابعين ولما كانت الروايات ظنية السند، وكذا في جهة الصدور والدلالة، فانه نرجع فيها إلى القرآن الكريم حيث هو قطعي السند والجهة، فانه الأصل وغيره الفرع، وأمّا الدلالة القرآنية فان أمكننا إرجاع المتشابهات إلى المحكمات والخصوص إلى العموم والتقييد إلى الإطلاق وغير ذلك، فتكون قطعية الدلالة حينئذ، وكذلك في الخطوط الأصلية والمعارف الأساسية، وإذا لم يصرح في بعض الآيات لأنه أرجع تصريحه إلى الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ ليبين للناس ما جاء من الذكر. فالميزان الذي لا يتغير هو القرآن الكريم وذلك في الخطوط الأصلية وانه بمنزلة كتاب القانون والدستور، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. فالقرآن

الكريم في دلالته كسنده لا يحتاج إلى الغير فهو تبيان لكل شيء، وربما المبيّن والياته يكون الحديث الشريف فان العترة الهادية بما هي العترة لا باعتبار أحاديثها، هي عدل القرآن الكريم بنص حديث الثقلين، وهذا يعني انه لا قرآن بلا حديث، ولا حديث بلا قرآن إلى يوم القيامة، وإذا تعارض الحديث مع الآيات، فانه يضرب الحديث بعرض الجدار إذ أقوالهم لا يخالف القرآن الكريم. ولا يرجع في أصالة القرآن إلى الغير وإلا لزم الدور.

إنّما يفهم حقيقة الإسلام بالرجوع إلى الثقلين معاً الكتاب الكريم والعترة الطاهرة، فهما مصدر التشريع والثقافة الإسلامية، ويبقى القرآن في الخطوط الأصلية هو المقياس والميزان، فانه ورد عن الرسول ﷺ: «**سيكثر من بعدي الكذابة عليّ**»، وهذا الحديث يدلّ على تحقق الكذابين على رسول الله من بعده حتماً، لأنه إمّا أنّ يكون حديثاً صادقاً فثبت المطلوب أو كاذباً فثبت المطلوب أيضا بأنهم كذبوا على رسول الله بهذا الحديث الكاذب، فتدبر. ثم أمرنا الله سبحانه بالاعتصام بحبله، وورد في الصحيح: أن القرآن حبل الله الممدود من الله طرف بيد الناس والآخر بيده عز وجل، وهذا يدل على أن الحبل القرآني محكم أوّلا، وانه متصل بمحكم ثانياً، وانه بين أيدينا ثالثاً، وإلا فلو كان الحبل مفتولاً بالضعف من دون الاستحكام، أو لم يتصل بمحكم أو ليس بأيدينا، فكيف يأمرنا الله سبحانه بالتمسك به؟ ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[1] إن في صدر الآية إشارة إلى الطاعة لثلاثة، فالموضوع ذات أضلاع ثلاثة: الله والرسول وأولي الأمر، وفي وسطها إشارة إلى

(١) آل عمران :٣٢

موضوع ذات ضلعين فالموضوع التنازع في شيء والضلعان (الله والرسول) وفي ذيلها إشارة إلى موضوع ذات ضلع واحد (الإيمان بالله واليوم الآخر) وهذا يعني إذا كان النزاع في أولي الأمر فردوه إلى الرسول، وإذا كان في الرسول فردوه إلى الله سبحانه. وهذا يدل على أن القرآن الكريم هو المبدأ والأصل في كل شيء وان حجيته في الذات وغيره بالعرض. «**تعلموا القرآن فانه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفعوا بنوره فانه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته**»[١] بقراءته وتطبيقه في حياتكم مطلقا.[٢]

ولا يخفى أن للإنسان حيثيتين: حيثية متغيرة كالملبس والمأكل، وحيثية لا تتغيّر كالفطرة وأصل التجارة وما شابه ذلك، والقرآن الكريم إنما تكفّل تربيّة الحيثية الثانية، فإذا قال سبحانه تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾[٣] فان رباط الخيل من باب المثال وما كان آنذاك عند نزول الآية، وإلا فان المأمور به ﴿**مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾كل بحسب زمانه ومكانه، فتارة بالسفن البحرية وأُخرى بالأسلحة المتطورة، فان القرآن لا يبلى بل هو غض جديد يتماش مع الاعصار والامصار جيلاً بعد جيل.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصف القرآن الكريم « **جعله الله ريّاً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء ومحاجّ لطرق الصلحاء ودواءً ليس بعده داء ونوراً ليس معه ظلمة** »[٤] وعنه عليه السلام «**اعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يُضّل والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن**

---

(١) نهج البلاغة : ج١ ص٢١٦

(٢) راجع ما كتبناه في (القرآن الكريم على ضوء الثقلين) و(كيف تكون مفسّراً للقرآن الكريم).

(٣) الأنفال : ٦

(٤) نهج البلاغة : خطبة ١٩٨

أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان في عمىً»(١)

ثم الغي هو السعي من دون هدف، والضلال هو الضياع عن الطريق، كما في قوله تعالى: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾(٢) أي الرسول الأعظم محمد ﷺ يعرف الطريق كما يعرف الهدف.

ثم من أحبّ القرآن فانه يتوجه إلى الله سبحانه في فهمه، فلا تسألوا غيركم في فهم قرآنكم، بل سلوا الله في فهمه، وما كان خلافاً له من الفكر والتفكر فانه يعد خيالاً لا قيمة له، فيستدل بالقرآن على الله سبحانه، وان للإنسان علم وإرادة وبالأوّل يفكر وبالثاني يطلب، وان فكره يعرض على القرآن الكريم، ولا يعتني في طلبه في الأهواء والميول، بل يرجع إلى كتاب الله وما يطابقه فهو جهل وباطل، فان القرآن أصل، وحدوده يؤخذ من الروايات المعتبرة (**فجائهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه**) أي مثل أمير المؤمنين عليه السلام من يحذو حذوا يستنطق القران الكريم «**إلا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم**»(٣) فالمشكلات العلمية والمسائل الاجتماعية والأخلاقية والقضايا الثقافية وغيرها كلّها في القرآن الكريم، إنما يستنطق القرآن ويستخرج ما فيه الشفاء من كل داء من كان معصوماً ومن يحذو حذوا. وان كان فهم أصل القرآن ميسوراً للجميع كما مر، وإنما جمع القرآن في معانيه السامية ومراتبه العليا عند أولياء الله بمعنى الجمع العلمي لا الجمع الكتابي. وإلى هذا المعنى جاء في

---

(١) نهج البلاغة : خطبة ١٧٦

(٢) النجم : ٢

(٣) نهج البلاغة : خطبة ١٥٨

حديث أبي حمزة الثمالي (ما أجد جمع القرآن إلى عند الأوّلياء). هذا والرقي والتكامل والتسامي في الدنيا والآخرة بقراءة القرآن الكريم، أي بتطبيقه في الحياة كما ورد انه يقال يوم القيامة في الجنة للمؤمن :

(إقرء وارقأ) وهذا جار في الدنيا والآخرة ورد عن الإمام السجاد عليه السلام:

إنّ الله علم

أنه يكون في آخر الزمان أقوام يتعمقون (أي يكونوا أهل فكر وعمق في المعاني والمفاهيم وكما يكون التطور العلمي في الصناعة والتكنولوجية كذلك في المعارف الإلهية) **فانزل إليهم قل هو الله أحد وآيات من سورة الحديد**[1].

فالقرآن مأدبة الله فيه طعام لكل واحد من الناس كل بحسب ما عنده من الفهم والعلم فهو للجميع إلا انه تلاحظ كل آية مع هيكل القرآن وآياته الأُخرى، ولا يتخذ القرآن عضين أي يجعل آياته عضواً عضواً من دون ترابط بينها، بل القرآن بمنزلة الجسد الكامل والتّام يتكامل بعضه مع بعض ويفسّر بعضه بعضاً. وكالصورة الواحدة المقطعة إلى أجزاء لابد من ملاحظة كل الأجزاء حتى تتم عندك الصورة بوضوح وشفافية وتقف على الهدف الرئيسي من نزول القرآن الكريم المتمخض والمتبلور بإيجاد عملية التغيير الاجتماعي الجذري. وخلق القاعدة النهضوية والثورية المناسبة لحمل الرسالة الإسلامية الشاملة لكل الاعصار والأمصار بمنهج صحيح وقويم، وعرض الأفكار والنظريات الصائبة من خلال عملية تربوية موضوعيه يعيشها الإنسان المعاصر أثناء تفاعله مع القرآن الكريم ومفاهيمه الرفيعة وتطبيقه في الحياة على جميع الأصعدة وفي كل

([1]) موسوعة العقائد الإسلامية. محمد ري شهري. ج٣ ص٣٣١.

مجالاتها. فانه يشتمل على أبعاد متعددة تتعلق بالدين والشريعة والحياة، كما أنه يمثل من ناحية أُخرى الكلام العربي الذي بلغ حدّ الإعجاز ويواكب حركة الإسلام بدعوته الشمولية التي تضمن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وختاماً:

لا يخفى أنّ القارئ كالمستمع في مقام المخاطبة والكلام في مثل المحاضرات والدروس، فإنهما يشتركان في الإفادة والاستفادة وتلقي المعاني، إلا أن السامع يأخذ المعنى عن اللفظ من خلال الأمواج الصوتية، وأمّا القارئ فيأخذها كذلك إلا أنه عن طريق الكتابة. وكلاهما (الشفهي والكتبي) من الوجود الاعتباري الذي يحكي الوجود الحقيقي الخارجي والذهني. ثم كلاهما (القارئ والسامع) يصابان بالكلل والملل عند عدم التنوع أو عند التطويل وعدم التبويب في الإلقاء. فلابد لمن يريد إيصال المعنى لغيره بفوز ونجاح، أن يستعمل محفّزات وآليات تستوجب الاندماج والتفاعل بين الكاتب والقارئ، ومن ثم ينشد القارئ مع الكتاب. فينبغي لمن يضع المعاني على أجنحة الأوراق أن يفكر كيف يوصلها بسلام وهناء إلى ذهن المخاطب وكيف يربطه معها. وكثير من الكتب والمؤلفات لاسيما التفاسير للقرآن الكريم مليئة بالثمرات والعلوم النادرة والنافعة، إلا أنّها في كثير من الأحيان تكون ضائعة في التقييد اللفظي والمعنوي، وفي دهاليز التطويل وعدم التبويب وما شابه ذلك.

فقرّت عيني بما خطّه يراع الفاضل الكامل الحجة السيد حسين الموسوي دام مجده، في سلسلة تفسيرية جديدة الأسلوب والطرح، فإنه حاول أن يضعها بموضوعية وعلى السياق العصري الحديث يتفاعل معها الشباب المثقف الذي يبحث متعطشاً عن الشي الجديد. فبذل الجهد – جزاه الله خيراً ـ ليشد القارئ ويجذبه إلى القرآن الكريم بأسلوب ناجح في تفسير جديد، فاستخدم لسان الفطرة أولاً، ثم الأسئلة والأجوبة بلا تطويل ممل ولا إيجاز مخل، مقتصراً على الثمار الشهية في سبد التفسير، وعلى الطعام اللذيذ في المأدبة الإلهية. فان القرآن

كما ورد في الحديث الشريف (مأدبة الله) فيها ما تشتهي الأنفس الطاهرة وتلذ الأعين الصادقة، وما لم يخطر على قلب بشر.

فجعل تفسيره الذي بين يديك على ثلاث مراحل:

أولاً: يتعرض لبيان المعنى العام لكل آية (لغة ومعنىً) مع رعاية الاختصار.

ثانياً: يطرح أسئلة يفترضها من مقاصد الآية مع بيان أجوبتها المتعددة.

ثالثاً: بيان أهم الدروس التي يمكن استفادتها من الآية الكريمة على شكل نقاط وذات تبويب وترتيب واختصار.

وإني بدوري أشكر هذا الجهد المبارك والذي هو باكورة أعمال السيد الجليل، ومنذ أن حضر عندنا بعض دروسه الحوزوية من الفقه الاستدلالي (خارج الفقه) ألا وكنت أتفرّس فيه المستقبل الزاهر، فأملي به أن تكون خطواته الأوّلى هذه خطوة ألف ميل، فيتحفنا بين حين وحين ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**﴾ بمؤلفات قيمة تثري المكتبة الإسلامية في علوم وفنون شتى إنشاء الله تعالى. كما آمل من القراء الأعزاء أن ينهلوا من هذا المعين الذي يروي الظمآن ويشفي الغليل، والله المستعان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عادل بن العبد علي العلوي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

القرآن الكريم منهج ودستور لعامة الإنس والجان في كل مكان وزمان ينظم حياتهم ويضيء لهم الطريق في سيرهم التكاملي في شتى المجالات العلمية والعملية؛ ليحظوا بالسعادة الحقّة في الدارين ، وهو بدوره يحتوي على معان وأسرار لا يمكن لأحد أن يقف عليها ويحيط بها إلا من اختصه الباري عز وجل وجعله خليفة في أرضه وأمين سره.

فاجتهد المفسرون الأعلام –من الفريقين – من القرون السالفة إلى يومنا هذا في تفسير القرآن وبيان معانيه، حتى أُلفت كتب تفسيرية عديدة تختلف باختلاف المناهج التي يتخذها المفسر، حيث لا يخفى أن هنالك مناهج خاصة في التفسير، سواء كان تفسير تجزيئياً : وهو الذي يتناول المفسِّر فيه آيات القرآن الكريم وفق تسلسلها وتدوينها في المصحف الشريف آية فآية، أو كان تفسير موضوعياً: وهو القيام بدراسة قرآنية لموضوع من موضوعات القرآن، عقائدية كانت أو اجتماعية أو غيرهما ، كدراسة عقيدة التوحيد أو النبوة أو سنن التاريخ في القرآن.

وهذان القسمان بدورهما يختلفان كذلك باختلاف أدوات ووسائل التفسير، وأذواق المفسرين، فيتصدى له الضليع لكنّه يغلب على طبعه جهة واحدة منه فيطنب فيها حتى يكاد يهمل ما سواها ، فأصبحت كتب التفاسير كأنّ كل كتاب منها أُلّف في غير ما أُلّف فيه الآخر. فإنها اختلفت باختلاف مذاهبهم واختصاصاتهم.

ونحن بدورنا نضع بين يدي القارئ الكريم هذه السلسلة التفسيرية الحديثة الجامعة، التي تمتاز عن غيرها بأمور نوضحها على شكل نقاط:

١ـ جعلت هذه السلسلة من التفسير حسب ترتب آيات القرآن الكريم، فكل آية أو آيات مترابطة تخضع إلى ثلاث مراحل.

المرحلة الأوّلى: تتكفل بيان الآية من الناحية اللغوية والمعنوية بطريقة مختصرة جداً.

المرحلة الثانية: طرح أسئلة نفترضها من مقاصد الآية الكريمة مع أجوبتها.

المرحلة الثالثة: اقتباس دروس وعبر من الآية بشكل مختصر ومرتب.

٢ـ اتخذنا في هذه السلسلة من التفسير المنهج الكامل ولم نقتصر على منهج خاص من المنهاج التفسيرية الناقصة.

٣ـ استقراء أغلب التفاسير لدى الفريقين ، وكتب الحديث وغيرهما؛ لنحظى بالأجوبة الشافية والدروس المرضية المفيدة.

٤ـ أغلب الأجوبة على الأسئلة متعددة وتركنا الخيار للقارئ الكريم وما يميل إليه ، فإن القابليات والميولات العلمية تختلف باختلاف الأشخاص.

٥ـ كُتِبَ التفسير بأسلوب عصري حديث وجذاب ،كي يتفاعل معه وينشد

إليـه القـارئ الكـريم ، فلـذلك، راعينـا عـدة أُمـور ، منهـا: الاختصـار والبسـاطة والتبويب وطريقة السؤال والجواب.

٦ـ الأسئلة والدروس تختلف كمّاً وكيفاً بحسب ما توصلنا إليه مـن مضـامين ومقاصد الآية الشريفة، فهناك إثارات ودروس كثيرة فـي آيـةٍ مـا لـم توجـد فـي غيرها.

يبقى شيء لابـد أن نلفـت النظـر إليـه ، وهـو إنّـا لا نـدعي أنّ هـذه هـي تمـام الأسئلة التي تخطر بالذهن حول الآيات الكريمة ، وانّ هذه هـي أجوبتهـا الأوّلـى والأخيرة ، بل يمكن أن تفرض ثمّة أسئلة أُخـرى فـي البـين ، مع أنّـه قـد تكـون أجوبة أُخرى تغاير ما ذكرناه ودروس أيضاً ، فكما أسلفنا بأنّه لا يمكـن الإحاطـة بكُنه القرآن الكريم ، فعلـى الـرغم مـن كثـرة منـاهج التفسـير وكتبـه، واخـتلاف أبعادها واهتماماتها، بقيت الحاجة قائمـة لتفسـير القـرآن الكـريم ، ليبقـى مواكبـاً للعصر ويأتي أُكله كل حين ، فتقدم العصور وتطور العلوم لا يزيـدان القـرآن إلاّ وضوحاً وجلاءً ، ويكونان من الأدوات المساعدة في تفسيره.

كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام ، أنّه سُئل أبو عبدالله عليه السلام : ما بـال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلاّ غضا ؟ فقـال عليه السلام: «**لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو فـي كـل زمـان جديـد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة**»[٤٢].

(٤٢) عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، ج١ ص٩٣.

تفسير سورة الحمد

تفسير: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ [١]

المعنى العام

اللغة: (الاسم) أصله من السمو بمعنى الرفعة(١). ﴿الرَّحْمَـنِ الـرَّحِيمِ﴾ صفتان مشبهتان من رَحِمَ بالكسر(٢).

المعنى: أستعين على أُموري كلها باللَّه، الّذي لا تحق العبادة إلا لـه، الرحمن بجميع خلقه، الرحيم بالمؤمنين. والرحمة من اللَّه إيصال الخير ودفع الشر.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: هل إن البسملة جزء من سورة الحمد أو لا ؟

الجواب: أجمع علماء الشيعة على أنّ البسملة جزءٌ من سورة الحمد، كما ذكره صاحب التفسير الأمثل في تفسره للآية(٣)، ووافقهم جملة من علماء الجمهور، بينما خالف البعض الآخر، وإليك ما نُقل عنهم (فبعضهم يرى أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة، ومن حججهم أن السلف قد أثبتوها في المصحف مع

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٤٠١.

(٢) تفسير شبر، سيد عبد الله شبر، ص٣٨.

(٣) راجع: تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج١ ص٢٨.

الأمر بتجريد القرآن مما ليس منه، ولذا لم يكتبوا (آمين) فثبت بهذا أن البسملة جزء من الفاتحة ومن كل سورة.

وبهذا الرأي قال ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن جبير والشافعي، وأحمد في أحد قوليه. ويرى آخرون أن البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور...»[١].

والذي يؤكد جزئيتها من سورة الحمد هي النصوص الكثيرة، منها:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إنّ بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات**[٢]. ومنها: عنه صلى الله عليه وآله **إنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم من الحمد، فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية فقد أفسد عليه صلاته**[٣].

وأيضاً: عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثاني والقران العظيم، أهي الفاتحة؟ قال: **نعم قلت: بسم اللّه الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: نعم هي أفضلهن**[٤].

السؤال الثاني: هل أن البسملة جزء من كل سورة؟

الجواب الأوّل: اتفق علماء ألأمامية- بحسب ما استقرأناه، وما نقله صاحب البيان- على جزئيتها بنص عبارتهم «**البسملة جزء من كل سورة فيجب قرآتتها عدا سورة برآءة**»[٥] نعم ذهب بعض الأعلام المعاصرين(حفظه الله)، في مقام

---

(١) راجع: الوسيط، السيد طنطاوي، ج١ ص٢.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ٥ ص ١١٦.
(٣) مكاتيب الرسول ج١ ص٥٧.
(٤) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج٢ ص٢٨٩.
(٥) كما في رسائلهم العملية، والبيان في تفسير القرآن السيد الخوئي، ص٤٣٨.

الفتوى، إنّ الأحوط عدم ترتب آثار الجزئية عليها، وهذه نص عبارته: «**تجب قراءة البسملة في كل سورة غير سورة التوبة ولكن في كونها جزءاً منها فيما عدا سورة الفاتحة إشكال، فالأحوط عدم ترتب آثار الجزئية عليها**».[1]

ويؤيد قولهم: ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «**والتسمية في أول كل سورة آية منها**»[2].

الجواب الثاني: قيل: إنّها ليست من القرآن، بل إنّ اللّه أدب نبيّه وعلّمه تقديم ذكر اسم اللّه أمام جميع أفعاله و أقواله؛ ليقتدي به جميع الخلق في صدور رسالاتهم وأمام حوائجهم. والدليل: أنها لو كانت من نفس الحمد لوجب أن يكون قبلها مثلها لتكون أحدهما افتتاحاً للسورة حسب الواجب في سائر السور والأخرى أول آية منها[3].

وهذا القول ضعيف؛ لما تقدم من الأدلة، بالإضافة إلى خلوه من البرهان. مع أنّه لا ينافي كونها من القرآن وفاتحة للسورة.

السؤال الثالث: هل أن البسملة آية مستقلة أو هي جزء من آية؟

الجواب: إنّها آية مستقلة، والدليل على ذلك النصوص الكثيرة.

منها عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**فاتحة الكتاب سبع آيات إحداهن بسم اللّه الرحمن الرحيم**»[4].

وأيضاً: سُئل الإمام علي عليه السلام عن السبع المثاني فقال: «**الحمد لله، فقيل له**

---

(1) منهاج الصالحين، آية الله السيد علي السيستاني، ج١ ص٢٠٦.
(2) راجع: التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج١ ص٨٢.
(3) نقلاً عن تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، ج١ ص٢٤.
(4) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج١ ص٣٦.

إنما هي ست آيات، فقال: بسم اللَّه الرحمن الرحيم آية»[١].

السؤال الرابع: هل لهذه الآية ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ معنىً واحداً، أو يختلف معناها ومدلولها باختلاف السور؟

الجواب: البسملة في مبتدأ كلّ سورة راجعة إلى الغرض الخاص من تلك السورة؛ لأنّ الأغراض والمقاصد المحصلة من السورة مختلفة، وإن كلّ واحدة مسوقة لبيان معنىً خاص ولغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه. فالبسملة في سورة الحمد راجعة إلى غرض السورة والمعنى المحصل منه، وهكذا في سائر السور[٢].

السؤال الخامس: ما هو المراد من معنى (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾؟

الجواب الأوّل: للمصاحبة والملابسة: أي أقرأ وأكتب وأقوم وأقعد وما إليها من الأمور، مصاحباً ملابساً، بسم اللَّه الرحمن الرحيم.

الجواب الثاني: للاستعانة: أي أقوم وأقعد وأكتب وما إليها من الأمور، مستعيناً به جل وعلا.

الجواب الثالث: للإلصاق: وذلك أن علوم الكتب السماوية مندرجة في القرآن الكريم، وعلومه مندرجة في فاتحة الكتاب، وعلومها مندرجة في البسملة، وعلومها مندرجة في بائها. والمقصود من كلّ العلوم وصول العبد إلى

---

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص٥١٥.

(٢) راجع: تفسير الميزان للآية، للسيد الطباطبائي.

ربّه، وهو نهاية المنى وأقصى الأمر[١].

السؤال السادس: لِمَ قال: (بسم الله) بدل (بالله)؟ فما هو الداعي لذكر الاسم هنا؟ فله أن يقول: (بالله الرحمن الرحيم) بدون ذكر الاسم؟

الجواب الأوّل: لأجل التبرك بالاسم. أو لأنّ الاسم عين المسمى ولا يوجد أي تفاوت بين (الله) وبين (بسم الله).

الجواب الثاني: لأجل الفرق والتميز بين الشروع بالعمل في قولك (بسم الله) مثلا، وبين القسم بـ(الله) حين نقول: بالله.

السؤال السابع: ما هو السبب في اقتصار (البسملة) على صيغة (بسم اللّه)؟ ولِمَ لم يقل فيها (بسم الخالق)، أو (بسم الرزاق) وما شابههما من الصيغ؟

الجواب: السبب يعود إلى أن كلمة (اللّه) جامعة لكلّ أسماء اللّه وصفاته، أما الأسماء الأخرى فتشير إلى قسم من كمالاته، كالخالقية والرازقية. فالخالق يشير إلى الخالقية، والرزاق إلى الرازقية، بخلاف كلمة (الله) يشمل كل الكمالات الاسمية والصفاتية.

السؤال الثامن: قوله تعالى (بسم اللّه) يقتضي فعلاً تتعلق به (الباء) فلِمَ لم يذكر؟

الجواب: يجوز أن يكون ذلك الفعل محذوف، والتقدير قوله (أبدأ أو اقرأ بسم اللّه) أو شبهه، ولم يذكر الفعل هنا لدلالة الكلام عليه، أو لوقوعها في موضع معلوم، لا يخاف منه اللبس.

ويمكن أن يكون هذا الفعل المحذوف متأخراً على البسملة، ليختص اسم اللّه بالإبتداء به. وإنّما قدر المحذوف متأخراً؛ لأنّهم يبتدئون بالأهم عندهم.

---

(١) للتفصيل راجع تفسير البصائر للآية، رستكار جوباري.

ويدل على ذلك قوله تعالى﴿ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾.[١]

السؤال التاسع: لِمَ لم ترد بقية صفات اللّه في البسملة مثلاً يقول: بسم الله الخالق الواهب، أو غيرهما من الصفات؟ فقد خصت صفتان دون غيرهما، وهما الرحمانية، والرحيمية؟

الجواب الأوّل: إعلاما بأنّ التحقيق أن يستعان به تعالى في جميع الأمور، دنيوية وأخروية؛ لأنه المعبود الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، المولي للنعم الجسمية كلّها.[٢]

الجواب الثاني: لأن القرآن إنما نزل رحمة من الله لعباده، ومن المناسب أن يبتدأ بهذه الصفة التي اقتضت إرسال الرسل وإنزال الكتب، وقد وصف الله نبيه بالرحمة في آيات عديدة. منها، قوله تعالى: ﴿هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣] ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤] ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]

السؤال العاشر: ما هو الفرق بين صفة الرحمن وبين صفة الرحيم، في قوله: (الرحمن الرحيم)؟

الجواب الأوّل: صفة الرحمن أعم من صفة الرحيم، فالرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصة.كما ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**والله إله كل**

---

(١) هود: ٤١.
(٢) راجع: التفسير الجديد للآية، محمد السبزواري النجفي.
(٣) الأعراف: ٢٠٣
(٤) الأنبياء: ١٠٧
(٥) النمل: ٧٧

شيء، الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة»[١].

فالرحمة الرحمانية تعم جميع الموجودات، وتشمل كل النعم؛ لأنّ رزق كلّ مخلوق ما به قوام وجوده وكماله اللائق به. وأما الرحمة الرحيمية بمعنى التوفيق في الدنيا والدين فهي مختصة بالمؤمنين.

قريب من هذا الجواب: إنّ الرحمن: رحيم الدنيا. والرحيم: رحيم الآخرة. كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قال، قال عيسى عليه السلام: «**الرحمن رحمان الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة**»[٢].

الجواب الثاني: إن الوصفين متغايران تمام التغاير. فالرحمن: صفة ذاتية وهي مبدأ الرحمة والإحسان، والرحيم: صفة فعل تدل على وصول الرحمة والإحسان وتعديهما على المنعم عليه، ويدلّ على هذا، أنّ الرحمن لم تذكر في القرآن إلا مجرى عليها الصفات، كما هو شأن أسماء الذات. كقوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللَّـهَ أَو ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ**﴾[٣] أو قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّـمَ الْقُـرْآنَ**﴾[٤] أو قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[٥] وهكذا. أمّا (الرحيم) فقد كثر استعمالها وصفاً فعلياً، وجاءت بأسلوب التعدية والتعلق بالمنعم كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[٦] وقوله تعالى:﴿**هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٧].

بعبارة أخصر: إنّ كلمة الرحمن هي صفته في ذاته، بينما الرحيم تمثل صفته

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١ ص ١١٤.
(٢) راجع: تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، ج١ ص٢٩.
(٣) الإسراء:١١٠
(٤) الرحمن:١-٢
(٥) طه: ٥
(٦) البقرة: ١٤٣
(٧) يوسف: ٩٨

في حركة الرحمة في خلقه.

السؤال الحادي عشر: ما هو المرجح في تقديم صفة الرحمن على صفة الرحيم هنا في الآية: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؟ مع أن مقتضى الترقي العكس؟

الجواب الأوّل: لأنّ وصفه بالرحمن بمنزلة الاسم العلم، من حيث لا يوصف به إلا اللّه تعالى، فصار بذلك كاسم العلم، في انّه يجب تقديمه على صفته هذا بخلاف الرحيم، فأنه يطلق عليه وعلى غيره[1].

الجواب الثاني: لأن القرآن عند أصحاب القلوب هو نازلة التجليات الإلهية والصورة الكتابية لأسماء الربوبية الحسنى ولما كان اسم الرحمن أكثر الأسماء الإلهية إحاطة بعد الاسم الأعظم وقد ثبت عند أهل المعرفة أن التجلي بالأسماء المحيطة مقدم على التجلي بالأسماء المحاطة، كما أن الاسم الأكثر إحاطة يكون التجلي به مقدما، لذا كان التجلي أولاً في الحضرة الواحدية هو التجلي بالاسم الأعظم ثم يليه التجلي بمقام الرحمانية ثم التجلي بالرحيمية.

الجواب الثالث: كون الرحمانية دنيوية، وهي مقدمة على الأخروية، فالّذي يدلّ عليها طبعاً مقدم على الّذي يدلّ صفة أخروية.

السؤال الثاني عشر: ألا يلزم من ذكر الصفتين (الرحمن الرحيم) التكرار من حيث أنهما مشتقان من الرَحِم؟

الجواب: الأسلوب هو الّذي أوجب التعبير عن الرحمة بكلمتين، ليزداد تأكيد هذا المضمون في الوعي الشعوري للإنسان تجاه ربّه، وإذا كان التأكيد يمثل لوناً من التكرار للفكرة، فان الحاجة إليه تقتصر على دفع احتمال الاشتباه، بل قد تكون المسألة قيد الحاجة إلى تعميق المعنى، الّذي تضمنته الكلمة بشكل عميق واسع، مما

---

(1) راجع: تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.

لا يحصل الإنسان عليه بالكلمة الواحدة، فلا ينافي ذلك بلاغة القرآن؛ لانّ التأكيد في مدلوله التصويري التعميقي لا يكرر المعنى بشكل جامد، بل يعمقه بشكل حي متحرك. مضافاً إلى إنّ الرحمن يختلف عن الرحيم، كما مرّ مفصلاً في جواب الفرق بينهما.

السؤال الثالث عشر: ما هو السر في حذف (الألف) هنا في الخط في قوله (بسم اللّه) ولم يقل (باسم اللّه)؟ مع عدم حذفها في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[١]، مع أنّ المناط واحد؟

الجواب: حذفت هنا لكثرة استعمالها، ولم تحذف هناك لقلّة استعمالها[٢].

السؤال الرابع عشر: هل إنّ لفظ الجلالة (الله) اسم علم أو لا؟

الجواب: الظاهر إنّ لفظ (اللّه) اسم عَلَم بالغلبة، وذلك، **أولاً:** كان مستعملاً دائراً في الألسن قبل نزول القرآن، يعرفه العرب قبل الإسلام كما يشعر به قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٣]. وكذا قول الشاعر الجاهلي لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[٤]

وثانياً: يدلّ على كونه اسم عَلَم أنّه يوصف بجميع الأسماء الحسنى، وسائر أفعاله المأخوذة من تلك الأسماء، ولا توصف الأسماء به، فيقال: اللّه الرحمن الرحيم. ويقال: رحم اللّه. علم اللّه. ورزق اللّه. ولا يقع لفظ الجلالة صفة لشيء منها.

وثالثاً: التبادر: فإن لفظ الجلالة ينصرف بلا قرينة إلى الذات المقدسة، ولا

(١) الواقعة: ٧٤
(٢) راجع: تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.
(٣) زخرف: ٧٨
(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج٥ ص٣٥١.

يشك في ذلك احد.

السؤال الخامس عشر: إنّ وضع لفظ لمعنى يتوقف على تصور كل منهما، بل حتى الاستعمال، وذات الله سبحانه يستحيل تصورها لاستحالة إحاطة الممكن بالواجب فيمتنع لفظ لها واستعماله؟

الجواب: وضع اللفظ بإزاء المعنى يتوقف على تصوره في الجملة ولو بالإشارة إليه وهذا أمر ممكن في الواجب وغيره، والمستحيل هو تصور الواجب بكُنهه وبحقيقته، وهذا لا يعتبر في الوضع ولا في الاستعمال. ولو أُعتبر ذلك لامتنع الوضع والاستعمال في الموجودات الممكنة التي لا تمكن الإحاطة بكُنهها كالروح والمَلَك وما إليها.

السؤال السادس عشر: طريق ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر، فكل ما وقع النزاع في ثبوته فهو ليس من القرآن، والبسملة مما وقع النزاع فيها، فهي ليست من القران؟

الجواب: تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قرأ البسملة من القرآن حينما يقرأ سورة من القرآن وهو في مقام البيان. وعن أهل البيت.عليهم السلام: أن البسملة من القرآن، ولا فرق في التواتر بين أن يكون عن النبي صلى الله عليه وآله وبين أن يكون عن أهل البيت.عليهم السلام بعد إذ ثبت حق إتباعهم.

أما ذهاب شرذمة إلى عدم كون البسملة من القرآن لشبهة، لا يضر بالتواتر؛ مع شهادة جمع كثير من الصحابة بكونها من القرآن(١).

السؤال السابع عشر: ما هو الفرق بين لفظ الجلالة (الله) وبين (الإله)؟

الجواب: إنّ الأوّل (الله) اسم عَلَم للذات المقدسة ذات الباري عز وجل

(١) راجع: البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص٤٤٦.

المعبود بحق، اما الثاني(الإله) اسم يطلق على الله وعلى غيره. ومعناه المعبود بحق أو باطل. كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٣].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: دلالة الآية على التوحيد

دلت هذه الآية على التوحيد؛ لأنّ وصف الله تعالى نفسه بالرحمن يقتضي مبالغة في الوصف بالرحمة، على وجه يعم جميع الخلق، وذلك لا يقدر عليها إلا اللّه الواحد القادر لنفسه.

الدرس الثاني: قرب البسملة إلى اسم الله الأعظم

روي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انّه قال: (**بسم اللّه الرحمن الرحيم**) أقرب إلى اسم اللّه الأعظم من سواد العين إلى بياضها.[٤]

الدرس الثالث: علة البدء باسم الله

لم يقل بـ(اللّه) بدل بسم اللّه؛ وذلك للتعظيم، فكأن الاستعانة باسمه. وليعم كلّ أسمائه.

---

(١) مريم: ٨١

(٢) آل عمران: ٢

(٣) البقرة:١٦٣

(٤) الوسائل، الحر العاملي، ج٦ ص٥٧.

الدرس الرابع: إبطال قول المجبرة

وصفه- تعالى- بالرحمة يعم كل محتاج إلى الرحمة، من مؤمن وكافر وطفل وبالغ، ومن كلّ حي، وهذا يبطل قول المجبرة الّذين قالوا ليس للَّه على الكافر بنعمة. ولأنّها صفة مدح تنافي وصفه بأنّه يخلق الكفر في الكافر ثمّ يعذبه عليه؛ لأنّ هذا صفة ذم.

الدرس الخامس: البدء باسم الله غرض تربوي

ابتدأ الكلام باسمه عز اسمه ليكون أدباً يؤدّب به العباد في الأعمال والأفعال والأقوال. ليبتدئوا باسمه ويعملوا به فيكون ما يعملونه معلّماً باسمه منعوتاً بنعته تعالى مقصوداً لأجله سبحانه، فلا يكون العمل هالكاً باطلاً متبراً. كما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام قال: **«إنّ الله يقول: أنا أحق من سُئل وأولى من تُضُرِّع إليه فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير وعظيم: بسم الله الرحمن الرحيم»**[1].

الدرس السادس: من أهداف البسملة بيان الرحمة الإلهية

البسملة تعلمنا أنّ أفعال اللَّه تقوم أساسا على الرحمة والرأفة بخلقه، والعقاب له طابع استثنائي لا ينزل إلا في ظرف خاص.

الدرس السابع: في ذكر الرحمن الرحيم بشارة للخلق

اختيار صفتي الرحمن والرحيم فيه بشارة للإنسان، من كونه مورد رحمته وعطفه تعالى مهما تعددت أسباب الشر وقويت. وكذا فيها إرشاد إلى تعليم الإنسان إلى توخي الرحمة والمودة في أفعاله، وجعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى ليعرف انّه مؤمن باللَّه تعالى، وان لا يعتمد على نفسه مهما بلغ من الكمال؛

([1]) الوسائل، الحر العاملي، ج٧ ص٢٠٦.

لأنه المحتاج، بل لابد له من إيكال أمره إلى الغني المطلق.

الدرس الثامن: البسملة مفتاح كل شيء

روى صفوان الجمال قال، قال أبو عبد اللّه عليه السلام: ما أنزل اللّه من السماء كتاباً إلا وفاتحته (**بسم اللّه الرحمن الرحيم**)[1].

الدرس التاسع: ابتداء الأعمال باسمه تعالى

افتتح الله بهذه الآية (**بسم الله الرحمن الرحيم**) سورة الفاتحة وكل سورة من سور القرآن ما عدا سورة براءة؛ وذلك ليرشد المسلمين إلى أن يبدئوا أعمالهم وأقوالهم بها التماساً لمعونته وتوفيقه، ورداً على الوثنيين الذين يبدئون أعمالهم بأسماء آلهتهم وطواغيتهم فيقولون: باسم اللّات، أو باسم العزّى، أو باسم الشعب، أو باسم هبل.

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٩ ص٢٣٦

تفسير: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢]

المعنى العام

اللغة: (الحمد): الثناء الجميل.[١] **(الرب)**: المالك والسيد والمربي والقيم[٢].

المعنى: الآية بصدد تعليم وتلقين من اللَّه عز وجل لعباده، كيف يثنون عليه، أي، قولوا يا عبادي: الحمد للَّه رب العالمين؛ لكونه خالق كلّ شيء ومدبّره.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: كيف يجوز أن يقول: (الحمد للَّه)، والقائل هو اللَّه تعالى، بل المفروض أن يقول: (الحمد لي)؟

الجواب: العالي المرتبة إذا خاطب من دونه لا يقول كما يقول للنظير. كقول السيد لعبده: الواجب أن تطيع سيدك ولا تعصيه، وقول الأب لابنه: يلزمك أن تبرَّ أباك، والخلفاء يكتبون عن أنفسهم، إن أمير المؤمنين رأى كيت وكيت. ليقع ذلك موقع إجلال وإكرام وإعظام.

السؤال الثاني: ما هو الفرق بين الحمد وبين المدح؟

الجواب: الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها. والمدح: هو الثناء على الجميل مطلقاً. فعلى هذا يكون المدح أعم من الحمد.

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج١ ص٩٤

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١ ص٢٩٩.

فيقال حمدت فلاناً أو مدحته لكرمه ويقال مدحت اللؤلؤ على صفاته ولا يقال: حمدته على صفاته.

بعبارة أخرى: الحمد في اللغة الثناء على عمل وصفة طيبة مكتسبة، أي حيثما يؤدي شخص عملاً طيباً عن وعي ويكتسب عن اختيار صفة تؤهله لأعمال الخير فإننا نحمده ونثني عليه، والمدح هو الثناء بشكل عام سواء كان لأمر اختياري أو غير اختياري(١).

مضافاً إلى هذا: أن نقيض الحمد الذم، ونقيض المدح الهجاء.

السؤال الثالث: ما هو الفرق بين الحمد وبين الشكر؟

الجواب: أوّلاً: نقيض الحمد الذم، ونقيض الشكر الكفران. **ثانياً**: الحمد قد يكون من غير نعمة، والشكر يخصّ بالنعمة. فيكون مفهوم الشكر أخص من المدح والحمد. ويقتصر على ما نبديه تجاه نعمة تغدق علينا من منعم عن اختيار.

ثالثاً: الحمد باللسان وحده، والشكر يكون بالقلب واللسان وبالجوارح.

رابعاً: الحمد يختص باللّه تعالى، والشكر عام له ولغيره. **خامساً**: إن الحميد صفة ذات والشكور صفة فعل، فلابد للإنسان أن يحمد اللّه تعالى سواء وصلت إليه النعمة أم لا(٢).

السؤال الرابع: ما هو الداعي في ذكر (رب العالمين) هنا بعد الحمد، كما هو هنا في الآية: ﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾؟

الجواب: وصف (**اللّه**) بأنّه ﴿**رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾ هنا هو من قبيل ذكر الدليل بعد

---

(١) راجع: تفسير كنز الدقائق للآية، وتفسير الأمثل.

(٢) راجع: تفسير البصائر للآية، رستكار جويباري.

ذكر الادعاء، وكأن سائلاً يقول: لِمَ كان كل حمد للّه؟ فيأتي الجواب؛ لأنه ربّ العالمين.

السؤال الخامس: لِمَ قال ﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولم يقل (أحمد اللّه)؟ بعبارة أُخرى: لماذا استخدم الجملة الاسمية بدل الجملة الفعلية؟

الجواب الأوّل: لأن الجملة الاسمية تدلّ على الوقوع والثبوت، فتفيد على أنه تعالى كان محموداً قبل ذلك، سواء حمده الناس أم لم يحمدوه.

الجواب الثاني: تدلّ على أنّ اللّه عزّ وجل للحمد بذاته، ولا تحتمل أيضا الصدق والكذب على حد الجملة الفعلية، فإنها لا تدلّ على سبق الحمد ولا على استحقاقه للحمد بذاته، وأنها إخبار على أن الحمد سيتحقق، والخبر يحتمل الصدق والكذب. كما أنّ قولك: لا إله إلا اللّه لا يحتملهما، بخلاف قولك (أشهد أن لا إله إلا اللّه).

السؤال السادس: ما هو المراد من (العالمين) هنا في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعالَمِينَ﴾؟

الجواب الأوّل: المراد به الأعم: وهو كلّ ما عدا اللّه سبحانه، فيعم جميع الكائنات والمخلوقات، وتدلّ عليه الآية في قوله تعالى: **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾**[1].

الجواب الثاني: هو اسم لكلّ صنف من الأصناف، وأهل كلّ زمن من كلّ صنف ولذلك جمع. أو هو صنف من الملائكة والإنس والجن؛ لأنه يصح أن يكون كلّ صنف منهم عالماً.

الجواب الثالث: يمكن أن يراد بالعالمين هنا العلماء من الإنسان، أمّا في عرف

---

(1) الشعراء: ٢٣-٢٤

أصل اللغة فظاهر، لأنّه عندهم جماعات من الناس، وأمّا على المتعارف بين الناس؛ فلأنّ كلّ عالم بالكسر عالم بالفتح، أما باعتبار أنّ فيه من كلّ ما في العالم الكبير شيء؛ لأنّ نشأته الكاملة مظهر جميع الأسماء والصفات الإلهية ومجمع كلّ الحقائق الكونيّة ولذا سُمي بالعالم الصغير. وأما باعتبار أنه إذا برز باطنه إلى عالم الآخرة وحُشر إلى ربّه يصير علمه عيناً وغيبه شهادة، فكلّ ما يخطر بباله من الأفلاك والعناصر والجنات والحور وغير ذلك يكون موجوداً في الخارج من غير مضايقة ومزاحمة ولو كان أعظم من هذا العالم بكثير، فهو بهذا الاعتبار عالم كبير برأسه. ولذا سمي بالعالم الكبير(١).

السؤال السابع: كيف صح جمع لفظ (العالم) بالواو والنون؟ مع أنّه مختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من أعلامهم؟ أو قل: إنّ كلمة (عالم) جمعت هنا في الآية: ﴿رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ جمعاً مذكراً سالماً، ونعرف أنّ جمع المذكر السالم يستعمل في العاقل عادةً؟

الجواب الأوّل: لمشابهته الصفة في دلالته على الذات، باعتبار معنى هو كونه يعلم أو يُعلم به. واختصاصه بأُولي العلم حقيقة أو تغليباً.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون إشارة إلى سريان الصفات الكمالية من العلم والحياة وغيرهما في معنى كلّ موجود من الموجودات فالكل أُولو العلم.

السؤال الثامن: ما هو الوجه في جمع لفظة (العالم) في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، مع أنّ التعريف للاستغراق يفيد الشمول والّذي هو محقق بالإلف واللام المقرونة به؟

الجواب: لئلا يتوهّم أنّ القصد إلى استغراق أفراد جنس واحد مما سمي به، أو إلى حقيقة القدر المشترك، فلما جمع وأُشير بصيغة الجمع إلى تعدد الأجناس

---

(١) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

وبالتعريف إلى استغراق أفرادها أزال التوهم بلا شبهة.

بعبارة أُخرى: للدلالة على أنّ للعالم أجناس مختلفة الحقائق، وهذا المعنى لا يستفاد من حرف التعريف وان كان مفيداً للشمول ألاستغراقي.

السؤال التاسع: ما هو المراد من معنى الألف واللام هنا في قوله (الحمد اَلْحَمْدُ لِلَّهِ)؟

الجواب: الألف واللام في (الحمد) للجنس أو الاستغراق والمعنى واحد، والفرق بالاعتبار، فإذا لوحظ الحمد من حيث طبعه وذاته الشامل لجميع ما يدخل تحته من الأفراد يطلق عليه الجنس، وإذ لوحظ من حيث الأفراد فهو استغراق، فالحقيقة واحدة والفرق بالإجمال والتفصيل[1].

السؤال العاشر: ما هو وجه تقديم (الحمد) هنا في الآية (﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لفظ الجلالة (الله)؟

الجواب: قُدم الحمد؛ لاقتضاء المقام مزيد اهتمام به، وان كان ذكر لفظ الجلالة (اللَّه) أهم في نفسه.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: دلالتها على دوام الحمد

الجملة فعلية وإنما عدل به إلى الابتداء والظرف خبره والجملة اسمية للدلالة على إثبات الحمد ودوامه دون تجدده وحدوثه.

الدرس الثاني: دلالتها على وجوب الشكر

في الآية دلالة على وجوب شكر اللَّه على نعمه. وفيها تعليم للعباد كيف

---

(1) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، لسيد عبد الأعلى السبزواري.

يحمدونه.

الدرس الثالث: إطلاق الرب لا يصدق إلا على الله

لا يُطلق اسم الرب إلا على اللّه، وأما في غيره فيُقيد بالإضافة، فيقال ربّ الدار، وربّ الضيعة. مع أن إضافة كلمة (رب) إلى (**العالمين**) إنباء إلى التربية المطلقة للعالمين.

الدرس الرابع: إطلاق الرب يفيد التصرف المطلق

ذكره (**الرب**) في الآية يفيد إثبات خمسة أحكام للحق سبحانه تعالى، وهي الثبات، والسيادة، والإصلاح، والملك والتربية؛ لأنّ الرب في اللغة هو المصلح والسيد والمالك والثابت والمربي. ففيه دليل على أنّ الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها مفتقرة إلى المبقي حال بقائها.

الدرس الخامس: دلالة اسم الله على جامعيته لجميع الصفات

لمّا كان (**اللّه**) اسما للذات باعتبار ظهوره، والذات متحدة مع جميع الصفات الحقيقية، وظهور الذات ظهور لتلك الصفات، كان الكلام في قوة أن يقال: الحمد للذات الجامعة لجميع صفات الكمال لجمعها جميع صفات الكمال.

الدرس السادس: دلالتها على حصر الحمد بالله تعالى

هذه الجملة واردة في مورد الحصر، باعتبار أنّ اللّه وحده هو الّذي يملك الحمد كلّه من موقع أنّه يملك الوجود كلّه فيملك الحمد كلّه، فإذا كان بعض خلقه مستحقاً للحمد من خلال صفاته العظيمة أو أفعاله الحسنة، فانّ اللّه هو الّذي وهبه ذلك ومكّنه منه. فما من حمد يحمده حامد لأمر محمود إلا كان للّه سبحانه حقيقته؛ لأنّ الجميل الّذي يتعلّق به الحمد منه سبحانه، فللّه سبحانه جنس

الحمد وله سبحانه كلّ الحمد.

الدرس السابع: دلالتها على تعليم العباد لحمد الله

الظاهر من الآية أنّه سبحانه يلقن عبده حمد نفسه، وما ينبغي أن يتأدّب به العبد عند نصب نفسه في مقام العبودية. فالحمد هنا تأديب بأدب عبودي ما كان للعبد أن يقوله لولا أنّ اللَّه تعالى قاله نيابة وتعليماً لما ينبغي الثناء به.

الدرس الثامن: الواهب للنعم هو الله

يستفاد من قوله (**الحمد**) في الآية أنّ اللَّه سبحانه واهب النعم عن إرادة واختيار، خلافاً لأُولئك القائلين أنّ اللَّه كالشمس مجبر على أن يفيض بالعطاء.

الدرس التاسع: دلالتها لعموم الحمد والثناء

ورد عن الإمام الصادقعليه السلام انه قال: فُقد لأبي بغلة فقال: لئن ردها الله علي لأحمدنّه بمحامد يرضاها، فما لبث أن جيء بها بسرجها ولجامها، و لما استوى وضم إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال: الحمد لله، ولم يزد ثم قال: ما تركت ولا أبقيت شيئا جعلت جميع أنواع المحامد لله عز وجل، فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت[1].

الدرس العاشر: دلالتها على غنى المحمود

إن الفعل الحسن الصادر من الله تعالى لا يرجع نفعه إليه؛ لأنّه الكامل المطلق الذي يستحيل عليه الاستكمال. وفعله إنما هو إحسان محض يرجع نفعه إلى المخلوقين. وأما الفعل الحسن الصادر من غيره فهو وان كان إحسانا إلى أحد في

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص٢٩٠

بعض الأحيان إلا أنه إحسان إلى نفسه أولاً وبالذات، وبه يدرك كماله، كما يشير له قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

الدرس الحادي عشر: مربوبية الإنسان لله تعالى

مَن يجعل نفسه خاضعا لتربية وتصرف رب العالمين مختاراً ويصبح مربوبا لهذه الربوبية بحيث تصير تصرفات أعضائه وقواه الظاهرية والباطنية تصرفات إلهية وربوبية، وليست نفسانية فانه يصل إلى مرتبة كمال الإنسانية، فالإنسان مادام في منزلة الحيوانية فهو يتحرك كما تتحرك سائر الحيوانات وأمامه طريقان طريق السعادة وطريق الشقاء وعليه أن يطوي أحدهما مختاراً.

(1) الاسراء: ٧

تفسير: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ [٣]

تقدم معناها العام في تفسير آية البسملة في المرحلة الأوّلى منها.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ألا يلزم التكرار هنا، من جهة أن هذين الصفتان قد مرّ ذكرهما في آية البسملة؟

الجواب الأوّل: في الآية الأوّلى (البسملة) ذكر الإلهية فوصل بذكر النعم الّتي بها يستحق العبادة، وهاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما يستحق به الحمد والشكر على النعم، فليس فيه تكرار.

الجواب الثاني: يحتمل أن يكون المراد بـ(**الرحمن الرحيم**) في آية البسملة هو المتجلّى بصورة الأعيان الثابتة بفيضه الأقدس، فإنّه تعالى باعتبار عموم هذا الفيض وإطلاقه هو (**الرحمن**) وباعتبار تخصصه وتخصيصه هو (**الرحيم**). والمراد بهما فيما بعدها أي في هذه الآية: هو المتجلى بصورة الأعيان الوجودية بالاعتبارين المذكورين[١].

الجواب الثالث: سوق الرحمن الرحيم هنا من متممات العلة، لوجوب حمده؛ بأنّه تعالى وإن خلق الأكوان كلّها لصالح الإنسان إلا أنّه لم يحتكر خلقته على خلقه، كما يفعل أهل الصنائع الذين يصنعون الصنعة لصالح حياة الإنسان، لكنّهم

---

(١) راجع: تفسير كنز الدقائق للآية، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي.

يحتكرونها ولا يبذلونها إلا بإزاء ثمن، أما اللَّه سبحانه فقد بذلها لهم وجعلها تحت اختيارهم مجاناً وبلا عوض رحمة بهم وتحنناً عليهم.

السؤال الثاني: ما هي الفائدة في ذكر الرحمة ثانياً بعد لفظة (العالمين) وقبل ذكر قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟

الجواب: فيها فائدتين عظيمتين في تفصيل مجارى الرحمة. **أحدها:** تنظر إلى الرحمة في خلق العالمين وأنّه خلقه على أكمل أنواعها وأتاها كلما احتاجت إليه. **وثانيها:** يشير إلى الرحمة في المعاد يوم الجزاء. وهو يلائم ما ورد في الحديث القدسي في حال دعاء الساجد أن يقول: «... **يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة** » حيث قورن (الرحمن) برب العالمين المشير إلى المبدأ (والرحيم) بملك يوم الدين، المشير إلى المعاد.

السؤال الثالث: ما هو تعريف الرحمة المأخوذ منها وصفا ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾؟

الجواب: هي وصف انفعالي وتأثر خاص يلم بالقلب عند مشاهدة من يفقد أو يحتاج إلى ما يتم به أمره فيبعث الإنسان إلى تتميم نقصه ودفع حاجته، إلا أنّ هذا المعنى يرجع بحسب التحليل إلى الإعطاء والإفاضة، لرفع الحاجة وبهذا المعنى يتصف سبحانه بالرحمة.[1]

السؤال الرابع: على أي وزن يوزن هذان الصفتان >الرحمن والرحيم< وما هي صيغتيهما طبق القواعد اللغوية؟

الجواب: الرحمن على وزن فعلان كغضبان، وهي صيغة مبالغة تدل على الكثرة، **والرحيم:** على وزن فعيل كعليم، وهي صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء.

---

(١) راجع: تفسير الميزان للآية، لسيد الطباطبائي.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: تكرار الصفة يدل على اعتنائه بها

كرر سبحانه الرحمة في مفتتح الكتاب الكريم، إشعاراً بشدّة اعتنائه سبحانه بالرحمة، وتنبيهاً للرجاء، بأنّ مالك يوم الجزاء هو البالغ في الرحمة غايتها فلا يقنط من عفوه المذنبون. مع أنّ الرحمة تنقسم إلى ذاتية عامة كإفاضة الوجود. وخاصة تخصيص بعض العبيد للتقرب إليه.

الدرس الثاني: دلالتها على استقلال آية البسملة

في تكرار الرحمن الرحيم إشعاراً بأنّ التسمية (**بسم الله الرحمن الرحيم**) آية مستقلة.

الدرس الثالث: ذكر صفتي الرحمانية والرحيمة

ندب العباد بذكر رحمته يناسب الربيّة الرحمانيّة السائقة إليهم أرزاقهم في الدنيا، والرحيمية الّتي توجب الغفران لهم في العقبى.

الدرس الرابع: الآثار التربوية لصفتي الرحمن والرحيم

القرآن يركز على علاقة الرحمة والرأفة بين رب العباد والعباد أنفسهم، وهذه العلاقة نستحضرها عدة مرات يومياً إذ نقول: (**الرحمن الرحيم**) لنربي أنفسنا تربية صحيحة في علاقتنا باللّه وفي علاقتنا بأبناء جنسنا.

الدرس الخامس: من آثار ذكر صفتي الرحمن الرحيم الحرية

المصلون يصفون اللّه برحمته ستين مرة يومياً، وهذا في الواقع درس لكلّ جماعة بشريّة سائرة على طريق اللّه، وأنّه درس يبعد البشرية عن تلك الحالات

الّتي شهدها تاريخ الرق في ظلّ القياصرة والأكاسرة والفراعنة.

الدرس السادس: دلالتها على رأفة ورحمة الرب بعباده

في ذكر ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ ثانياً: لإفادة أن الرب ليس طاغياً كما هو الشأن في غالب الأرباب البشرية.

تفسير: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤]

المعنى العام

اللغة: **(الملك)**: القادر الواسع المقدرة الّذي له السياسة والتدبير. **(المالك)**: القادر على التصرف في ماله.[١] **(الدين)**: الحساب والجزاء[٢].

المعنى: الآية بصدد بيان أنّه تعالى القادر على إقامة يوم القيامة والقاضي فيه بالحقّ.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: يلزم من ذكر هذه الآية ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ التكرار لِما مضى من قوله تعالى: ﴿ربّ العالمين﴾ فانّه يشمل ملكه كلّ شيء بما فيه يوم الدين؟

الجواب الأوّل: هذا من باب ذكر الخاص بعد العام وله في القرآن نظائر كثيرة منها: قوله ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾[٣] فعم الأوّل، ثمّ خصّ ذكر الإنسان في الآية الثانية. مع أنّه داخل تحت قوله ﴿**الذي خلق**﴾.

---

(١) راجع: مجمع البيان للآية، الطبرسي.
(٢) غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٤٣٠.
(٣) العلق:١-٢

الجواب الثاني: دفع شبهة من يظن أنّ قوله ﴿ربّ العالمين﴾ إنباء عن ملكه إياهم في الدنيا دون الآخرة، فوجب وصله بالنبأ عن نفسه أنّه قد ملكهم في الآخرة على نحو ملكه إياهم في الدنيا بقوله ﴿مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

السؤال الثاني: ما هو المقصود من (يوم الدين) هنا في الآية المباركة: ﴿مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟

الجواب: هو يوم الحساب، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[1] يعني يوم الحساب.

السؤال الثالث: ورد لقوله (مالك) قرآئتين مالك بالألف وملك بدون الألف، فما هو الفرق بين اللفظتين؟

الجواب الأوّل: إنّ المالك من له التصرف فيما في حوزته وتحت يده. والملك من له التصرف في الأمور كلّها أمراً ونهياً للسلطنة والغلبة على الناس، وما في أيديهم وتحت تصرفهم.

الجواب الثاني: معنى المالك هو المأخوذ من الملك بكسر الميم، وأمّا الملك هو المأخوذ من الملك بضم الميم.

الجواب الثالث: إنّ وصف اللّه سبحانه بأنّه ملك كان ذلك من صفات ذاته، وان وصف بأنّه مالك كان ذلك من صفات فعله[2].

السؤال الرابع: ما هو المراد من (اليوم) هنا في الآية المباركة ﴿مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟

الجواب: هو مطلق الوقت وليس المراد منه الوقت الخاص المتعارف الّذي

---

(1) الصافات:٢٠

(2) راجع: تفسير القرطبي للآية.

هو ما بين الطلوع والغروب من الشمس؛ لأنّ له معاني عديدة. **منها**: الزمن الممتد من الفجر الصادق إلى ذهاب الحمرة المشرقية. **ومنها**: الزمن الممتد من طلوع الشمس إلى غروبها. **ومنها**: الزمن المطلق أي مطلق الوقت. تقول جئتني يوماً أي زمناً، سواء كان في ليل أو نهار، وهذا المعنى هو المقصود في الآية. وله نظائر كثيرة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾[2] **ومنها**: زمن مقدر بمقدار لا يعلمه إلا اللَّه، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾[3].

السؤال الخامس: ما هو السبب في تسمية هذا (اليوم) بيوم (الدين) كما هو في الآية: ﴿مالك يوم الدين﴾؟

الجواب الأوّل: لأنّ يوم القيامة يوم الجزاء و(**الدين**) في اللغة: الجزاء. والجزاء أبرز مظاهر القيامة، ففي ذلك اليوم تكشف السرائر ويحاسب الناس عما فعلوه بدقّة. فهو مأخوذ من قولهم: كما تُدين تُدان. أو هو أنّ كل إنسان يوم القيامة يتلقّى جزاءً إزاء دينه ومعتقده.

الجواب الثاني: يمكن أن يراد من ﴿**الدِّينِ**﴾ مبايعة لمّا كانت آثار الدين تظهر في يوم القيامة وتخرج الحقائق الدينية من الحجاب وجب أن يُقال لذلك اليوم ﴿**يَوْمِ الدِّينِ**﴾، مثلما أن يومنا هذا هو (يوم الدنيا)؛ لأنه يوم ظهور آثار الدنيا

([1]) الحاقة: ٢٤.

([2]) المائدة: ٥.

([3]) الفرقان: ٥٩.

وعدم ظهور الصورة الحقيقية للدين.

السؤال السادس: ما هو الوجه في تخصيص (يَوْمِ) إضافة؟ مع أنّه سبحانه وتعالى مالك وملك في كلّ الأوقات ولجميع الخلق بما فيه يوم الدين؟

الجواب الأوّل: أمّا لتعظيمه، أو لتفرّده تعالى بنفوذ الأمر فيه؛ لأنّه قد يسارع الإنسان في هذه الدنيا لمساعدة إنسان آخر ويدافع عنه بلسانه ويحميه بأمواله وينصره بقدرته، لكن هذه الألوان من المساعدات غير موجودة في ذلك اليوم، حتّى الشفاعة لا تتم إلا بأمر اللّه كما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾(١).

الجواب الثاني: مالكية يوم الدين يستلزم مالكيته لجميع العوالم السابقة عليه نحو استلزام النتيجة للمقدمات، كما أنّ مالكية الدنيا ملازم لمالكية يوم الدين كاستلزام المقدّمات للنتيجة المنطوية فيها.

السؤال السابع: كيف قال:﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لم يوجد بعد، فكيف صح أن بصف نفسه تعالى بملك ما لم يوجده؟

الجواب الأوّل: إنّ مالكاً اسم فاعل من ملك يملك، واسم الفاعل قد يضاف إلى ما بعده، وهو بمعنى الفعل المستقبل من قبيل: هذا ضارب زيداً غداً أي: سيضرب زيداً، وهذا وارد في كلام العرب ويعتبروه عندهم كلاماً سديداً. فقوله تعالى: ﴿**مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ على تأويل الاستقبال أي: سيملك يوم الدين أو في يوم الدين إذا حضر.(٢)

---

(١) الانفطار: ١٩

(٢) راجع: تفسير القرطبي للآية.

الجواب الثاني: قصد به معنى المضي تنزيلاً لمحقق الوقوع منزلة ما وقع. أو قصد به الاستمرار الثبوتي[١].

الجواب الثالث: يمكن أن يكون تأويل المالك راجعاً إلى القدرة، أي انّه قادر في يوم الدين أو على يوم الدين وإحداثه؛ لأنّ المالك للشيء هو المتصرف في الشيء والقادر عليه، واللّه عزّ وجل مالك الأشياء كلّها ومصرفها على إرادته.

السؤال الثامن: مَن هو أولى بالمدح صيغة (مالك) أو صيغة (ملك)؟

الجواب: إنّ صفة (**مالك**) أمدح من صفة (**ملك**)؛ **أولاً**: لأنّه لا يكون مالكاً للشيء وهو يملكه، وقد يكون ملكاً للشيء وهو لا يملكه. كما يقال: ملك العرب، وملك الروم، وان كان لا يملكهم. **ثانياً**: قد يدخل في (**المالك**) ما لا يصح دخوله في (**الملك**)، يقال: فلان مالك الدرهم، ولا يقال فلان ملك الدرهم، فالوصف بـ(**مالك**) أعم من الوصف بـ(**ملك**) واللّه وصف نفسه بـ(**المالك**) أبلغ في الثناء والمدح من وصفه بـ(**الملك**). لكن قال بعض آخر أن صفة (**الملك**) أمدح من صفة (**مالك**)؛ لأنّ الملك هو الّذي يملك الكثير من الأشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه، فكلّ ملك مالك وليس كلّ مالك ملكاً. فلا يكون إلا، مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير[٢].

(١) راجع: تفسير الجوهر الثمين للآية. للسيد عبدالله شبر.

(٢)راجع: تفسير مجمع البيان للآية، الطبرسي.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: إثبات المعاد

دلّت هذه الآية على إثبات المعاد، وعلى الترغيب والترهيب؛ لأنّ المكلّف عند تصور ذلك لابدّ أن يرجو ويخاف.

فقد ورد في أصول الكافي بإسناده إلى الزهري قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قرأ مالك يوم الدين يكررها حتّى يكاد أن يموت[1].

الدرس الثاني: تعظيم أصل المعاد

خصّ يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيماً لشأنه تعالى وتفخيماً لأمره، مع أنّ الآية تلفت النظر إلى أصل هام آخر من أصول الإسلام وهو يوم القيامة هو (المعاد).

الدرس الثالث: الهيمنة الكامل لله تعالى في يوم القيامة

تعبير (**مالك**) يوحي بسيطرة اللّه التامة وهيمنته المستحكمة على كلّ شيء، وعلى كلّ فرد في ذلك اليوم، حيث يحظر البشر في تلك المحكمة الكبرى للحساب.

الدرس الرابع: الملك الحقيقي لله وحده

ملكية اللّه هي ليست ملكية اعتبارية نظير ملكيتنا نحن للأشياء في هذا العالم، ملكيتنا هذه عقد يبرم بموجب تعامل ووثائق وينفسخ بموجب تعامل آخر ووثائق أُخرى، لكن ملكية اللّه لعالم الكون ملكية حقيقية وتتمثل في ارتباط

---

(1) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج١ ص١٩، بحار الأنوار، المجلسي، ج٨٢ ص٢٣.

الموجودات ارتباطاً خاصاً باللّه ولو انقطع هذا الارتباط لحظة لزالت الموجودات تماماً، مثل زوال النور من المصابيح الكهربائية حين ينقطع اتصالها بالمصدر الكهربائي.

الدرس الخامس: دلالتها على رحمته بعباده

ذكر﴿مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بعد ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ترغيباً لعباده وحناناً عليهم؛ بأن لا تغلبهم دهشة يوم القيامة، فإنّ الرحمن الرحيم معهم في أي عالم وردوا عليه.

تفسير: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥]

المعنى العام

اللغة: (العبادة): التذلّل يقال: طريق معبّد أي مذلل بكثرة الوطئ عليه[١].

(الاستعانة): طلب المعونة، يقال: استعنته واستعنت به[٢].

المعنى: نطيعك مخلصين موحدين، مع التذلل والخشوع، لا نريد غيرك ونطلب المعونة منك سبحانك لا من غيرك.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو السبب في تقديم المفعول به (إياك) على الفعل (نعبد) وعلى الفاعل (نحن) هنا في الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

الجواب الأوّل: لأنّه أدل على الاختصاص من أن تقول نعبدك ونستعينك؛ لأنّ معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين بغيرك، كما إذا قال الرجل إياك أعني: فمعناه لا أعني غيرك. ويكون أبلغ من أن يقول أعنيك.

بتعبير آخر: تقديم الضمير **(إياك)** على الفعل **(نعبد)** تنبيهاً منه للعابد على أن المنظور إليه من العبادة هو المعبود نفسه لا شيء آخر من طلب ثواب أو دفع

---

(١) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص٣٧٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص٦٣.

عقاب.

الجواب الثاني: لأنّه لو أُخّر لكان قد قدم ذكر العابد على المعبود وهو ليس بجيد.

السؤال الثاني: ما هو الوجه في وجوب تقديم المفعول به (إياك) على الفعل (نعبد)، ولم يجز تأخره هنا؟

الجواب الأوّل: لأنّه ضمير منفصل ولو تأخّر لزم اتصاله في هذا المورد وكان يقال: نعبدك، ولم يجز انفصاله في حال تأخره فوجب تقديمه، بخلاف قولك: الدرهم إياه أعطيتك، فانّه لا يجب تقديم إياه؛ لأنك لو أخرته لجاز اتصاله وانفصاله[1].

الجواب الثاني: إن قلت نعبدك بتقديم ذكر العبادة منك فقبل أن تذكر أنها لمن هي فيحتمل أن الشيطان يقول: أنّها للأصنام أو للأجسام كالشمس والقمر. أمّا إذا غيرت هذا الترتيب وقلت أولاً (إياك) ثمّ قلت ثانيا (نعبد) فلم يبق مجال لهذا الاحتمال وكان أبلغ في التوحيد وابعد عن احتمال الإشراك.

السؤال الثالث: ما هو الداعي في تكرار الضمير المنفصل (إياك) في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾؟

الجواب الأوّل: لأنّ الكاف الّتي فيه هي كاف الضمير الّتي كانت تكون بعد الفعل في قوله (**نعبدك**) فلمّا قُدمت زيد عليها (إيا)، ولمّا كانت الكاف يلزم تكرارها لو كرر الفعل في البدء وجب مثل ذلك في (**إياك**)، ألا ترى أنّه لو قال نعبدك. ونستعينك ونستهديك لم يكن بد من تكرير الكاف. فكذلك لو قدم

---

(1) شرح ابن عقيل، الهمداني، ج٢ ص٩٧.

وقال: إياك نعبد وإياك نستعين.

الجواب الثاني: لأنّه لو اقتصر على واحد ربّما توهّم متوهّم أنّه لا يتقرّب إلى اللَّه تعالى إلا بالجمع بينهما ولا يمكنه أن يفصل بينهما، وهو إذا تفكر في عظمة اللَّه تعالى كان عبادة وان لم يستعن به.

بعبارة أُخرى: تكرار الضمير للتنصيص على التخصيص بالاستعانة فينتفي احتمال تقدير مفعولها مؤخراً، ويرتفع قولهم أراد التخصيص بمجموع الأمرين لا بكلّ واحد منهما.

السؤال الرابع: إنّ عبادة اللَّه تعالى لا تتأتى بغير إعانة منه سبحانه وتعالى، فكان يجب أن يقدم الاستعانة (نستعين) على العبادة (نعبد)؟

الجواب الأوّل: قدمت العبادة على الاستعانة؛ لأنّ تقديم الوسيلة يكون قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها، فتكون العبادة وسيلة لطلب الاستعانة.

الجواب الثاني: لكون العبادة وسيلة إلى الحق أشرف من الاستعانة، لكونها وسيلة إلى الخلق فقدمت على الاستعانة من باب تقديم الأشرف على غيره.

الجواب الثالث: لأنّ المتكلّم لما نسب العبادة إلى نفسه كان كالمعتمد بما يصدر منه فعقبه بـ(**إياك نستعين**) إيذانا بأنّ العبادة لا تتم إلا بمعونته.

الجواب الرابع: إنهم سألوا المعونة على عبادة مستأنفه لا على عبادة واقعة منهم، فهذه استعانة لعبادة أُخرى تأتي بعدها.

الجواب الخامس: المعنى في الحالين واحد لا يتغير بذلك، كما أنّ القائل إذا قال أحسنت لي فقضيت حاجتي أو قضيت حاجتي فأحسنت لي.

السؤال الخامس: في الآيات السابقة: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ....مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

كان الكلام إخبار عن غائب، أمّا في هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عدل إلى الخطاب والحضور. ولم يقل (إياه نعبد وإياه نستعين)، فما هو السر في ذلك؟

الجواب الأوّل: نُزّل الغائب إلى الحضور بواسطة أوصافه المذكورة الّذي أوجب تمييزه وانكشافه حتّى صار كأنه تبدل خفاء عينه بجلاء حضوره منزلة المخاطب في التمييز والظهور، ثمّ أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب ففي إطلاقه ملاحظة لتلك الأوصاف وصار الحكم مرئياً على الأوصاف.

بعبارة أخرى: كان بتمجيده للّه سبحانه وتعالى يتقرب إليه متدرجاً إلى أن يبلغ في القرب مقاماً كأن العلم صار له عيناً والخبر شهوداً والغيبة حضوراً، فيكون تلويح إلى ما في حديث عن النبي ﷺ **«اعبد اللّه كأنّك تراه»**[1] إذ العبادة الكاملة هي ما يكون العابد حال اشتغاله بها مستغرقاً في الحضور كأنّه مشاهد لجناب معبوده.

الجواب الثاني: ذلك على عادة العرب المشهورة في تفننهم وفي محاوراتهم ويسمّى هذا التفاتاً، حيث فيه تنشيطاً للسامع وتنبيهاً لذهنه، وتحصل بهذه الصنعة في الكلام استدرار إصغائه إليه بحسن الإيقاظ فهذا أحسن من الجري على نسق واحد. وأشعار العرب من ذلك مملوءة قال لبيد:

قامت تشكي إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا[2]

السؤال السادس: لِمَ لم يصح أن نفسر العبادة بالطاعة؟

الجواب: لأنّ العبادة غاية التذلل بخلاف الطاعة فإنّها مجرد موافقة الأمر، ألا

---

(1) شرح اصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج٨ ص٢١٧.
(2) الصحاح، الجوهري، ج٢ ص٩٩٩.

ترى أنّ العبد يطيع مولاه ولا يكون عابداً له. والإبن يطيع والده ولا يكون عابداً له.

السؤال السابع: ما هي حدود المستعان فيه هل كل الأمور أو لا؟ أو قل: هل أنّ المراد من طلب الاستعانة هنا في قوله (وإياك نستعين) العموم أو خصوص العبادة؟

الجواب الأوّل: هو طلب المعونة في كلّ المهمات العبادية وغيرها، ولذا أبهم المستعان فيه، فلم يقل: وإياك نستعين على العبادة.

الجواب الثاني: هي طلب المعونة في أداء العبادة بوظائفها المقررة بقرينة توسيطها بين (**نعبد**) و(**اهدنا**). فحذف اقتصارا للقرينة[1].

السؤال الثامن: ما هو الوجه في استعمال صيغ الجمع في تعبير الآيات (نعبد) (نستعين) ولم يقل: إياك أعبد. وإياك استعين؟

الجواب الأوّل: لملاحظة القارئ ودخول الحفظة معه، أو حاضري صلاة الجماعة، أو كلّ موجود لقوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[2]، أو لأنّ كلّ جارحة وعضو منه تشتغل بذلك، كما ورد في الحديث... يا رسول الله إنّ المرأة تذهب في مصلحتها فأبقى أنا وحدي فأؤذن وأقيم فأُصلي أفجماعة أنا؟ فقال صلى الله عليه وآله: **نعم المؤمن وحده جماعة**[3].

الجواب الثاني: لإدخال عبادته واستعانته في عبادة الغير إيذانا بحقارتها بإنفرادها وجعلها مع الغير كبيع الصفقة. أمّا إن يقبل الجميع، أو يرد الجميع وهو تعالى أكرم من أن يرد الجميع، أو لابد من وجود عبادة مقبولة فيهم كإمام

---

(1) راجع التفسير الجديد للآية، الشيخ محمد السبزواري النجفي.

(2) الإسراء: ٤٤

(3) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٣ ص ٣٧١.

الزمان فيقبل الجميع. وللاحتراز عن الكذب لو انفرد في ادعائه قصر خضوعه التام واستعانته عليه تعالى وفي الجميع يمكن أن يقصد تغليب الخلص على غيرهم فيصدق.

الجواب الثالث: إنّ فيه هضماً للنفس بإلغاء تعينها وشخوصها وحدها المستلزم لنحو من الإنيّة ولاستقلال، بخلاف إدخالها في الجماعة وخلطها بسواد الناس، فإنّ فيه إمحاء التعيين وإعفاء الأثر. فإذا التفت أن الكل يعبدونه ويستعينون به عزّ وجلّ فلا يغتر بعمله ولا يحسب لنفسه وزناً.

السؤال التاسع: يفهم من حصر الاستعانة هنا في قوله (وإياك نستعين) حرمة الاستعانة بغير الله سبحانه تعالى، مع أنّه لا يمكن الاستغناء عن الاستعانة بالمخلوقات كالدابة وغيرها؟

الجواب الأوّل: لا مانع من استعانة الإنسان في مقاصده بغير الله من المخلوقات والأفعال بدليل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[2] فليست الاستعانة بمطلقها تنحصر بالله سبحانه، فالحصر هنا ليس حقيقي بالنسبة للاستعانة بعدما ثبتت الاستعانة بالغير، بصريح القرآن وسيرة أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا يستعينون بالخادم والدابة والزوجة. أو المراد منها هنا استمداد القدرة على العبادة منه تعالى.

الجواب الثاني: حصر الاستعانة بالمولى هنا حقيقي؛ لأنّ نظام الوجود إنّما هو صورة فاعلية الحق تعالى ولا مؤثر في الوجود إلا الله وإعانة الموجودات الأُخرى هي صورة لإعانة الحق كذلك. وإلا سيفقد اختصاص المحامد بالحق

---

(1) البقرة: ٤٥

(2) المائدة: ٢

تعالى معناه؛ لأنّ سائر الموجودات لها تصرفات واختيارات وجمال وكمال إذن تليق بالمدح والحمد.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: الجمع بين العبادة والتوسل

قُرنت الاستعانة بالعبادة؛ ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته.

وفي تكرار ضمير (إياك)؛ تعليم لنا أن نجدد ذكره عند كلّ حاجة.

الدرس الثاني: العبادة من مصاديق الشكر

العبادة ضرب من الشكر وغاية فيها؛ لأنّها الخضوع بأعلى مراتب الخضوع مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم ولا يستحق إلا بأصول النعم. الّتي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة، ولا يقدر عليه إلا اللّه، فلذلك اختص سبحانه بأنّه يُعبد.

الدرس الثالث: العبادة للّه وحده

لا يستحقّ بعضناً على بعض العبادة كما يستحقّ بعضنا على بعض الشكر، وتحسن الطاعة لغير اللّه تعالى، ولا تحسن العبادة لغيره.

الدرس الرابع: إشارتها إلى التأديب بالعبادة

في العدول من الغَيبَة إلى الخطاب إيماء إلى أنّ من تأدب وكسر نفسه ورآها بعيده عن ساحة القرب، حقيق أن تدركه رحمة إلهية توصله إلى مقام أهل القرب والخطاب.

كما وأنّ العدول من الغيبة إلى الحضور، فيه تنبيه على أنّ القراءة إنّما يعتد بها

إذا صدرت عن قلب حاضر وتأمل وافر.

الدرس الخامس: رفع الواسطة بين العبد والمعبود

قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾ إنّما أُختير استعماله بلا واسطة الحرف، إشارة للعبد ينبغي أن لا يرى بينه وبين الحق سبحانه واسطة في الاستعانة، بأن يقصر نظره عليه.

الدرس السادس: حضور القلب في العبادة

روي عن الإمام الصادق عليه السلام انّه خرّ مغشياً عليه وهو في الصلاة فسُئل عن ذلك فقال: مازلت أُردد الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على قلبي وعلى سمعي حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته[١].

الدرس السابع: إبطال القول بالجبر

في الآية دلالة على إبطال مقالة الاشعريين بالجبر؛ ضرورة أنّ قيام العباد للعبادة وإسناد الفعل إليهم وقيامهم للاستعانة من اللّه لا معنى له، إلا بكون الأفعال أفعالهم وأنّه تعالى يعينهم على الأفعال الصادرة عنهم.

الدرس الثامن: إخلاص النية في العبادة

إنّ العبادة والاستعانة ينبغي كتمانها عن غير المعبود المستعان؛ لتكون أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، فالمناسب له طريق الخطاب فلذا عدل إليه.

الدرس التاسع: عبادة الله طريق الحرية

ليس معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنّ اللّه أهل للعبادة وكفى، بل تدل الآية أيضا على أنّ الإنسان مخلوق كريم حرره اللّه من العبودية

---

(١) رسائل الشهيد الثاني، ص١٤١.

والخضوع إطلاقا إلا للحق الّذي يعلو على كلّ شيء ولا يعلو عليه شيء.

الدرس العاشر: التوحيد في العبادة

قوله تعالى: ﴿**إياك نعبد**﴾ يتحدّث عن توحيد العبادة وهو الاعتراف بأنّ اللَّه سبحانه هو وحده اللائق بالعبادة والطاعة والخضوع وبالتشريع دون سواه، كما يجب تجنب أي نوع من العبودية ولتسليم لغير ذاته المقدّسة.

الدرس الحادي عشر: التوحيد في الخالقية

قوله تعالى: ﴿**إياك نستعين**﴾ يتحدّث عن توحيد الأفعال، وهو الإيمان بأنّ اللَّه هو المؤثر الحقيقي في العالم لا مؤثر في الوجود إلا اللَّه، وهذا لا يعني إنكار عالم الأسباب، بل يعني الإيمان بأنّ تأثير الأسباب إنما كان بأمر اللَّه، فاللَّه سبحانه هو الّذي يمنح النار خاصية الإحراق.

الدرس الثاني عشر: افتقار الإنسان للاستعانة بالله تعالى

يواجه الإنسان في مسيرته التكاملية قوى مضادة داخلية في نفسه وخارجية في مجتمعه، ويحتاج من مقاومة هذه القوى المضادة إلى العون والمساعدة. ومن هنا يلزم على الإنسان أن يكرر صباحاً ومساءً عبارة﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾؛ ليعترف أولاً بعبودية اللَّه سبحانه، وليستمد العون منه في مسيرته الطويلة الشاقّة.

الدرس الثالث عشر: الدعوة إلى وحدة المسلمين

التعبير بصيغة الجمع في (**نعبد ـ نستعين**)؛ لإفادة كون المسلمين كلّهم منخرطين في هذين السلكين: سلك العبادة وسلك الاستعانة به سبحانه وتعالى؛ لأنّ لفظ الجمع في (**نعبد ونستعين**) للتحريض إلى حفظ وحدة المجتمع، الذين يعبدونه تعالى ويستعينون به، فكما أنهم مجتمعين في وحدة المعبود والعبادة

والمستعان به، لابد وان يكونوا كذلك في جميع شؤونهم، كما تـدلّ عليـه آيـات كثيرة.

الدرس الرابع عشر: نفي الجبر والتفويض بشكل مطلق

قوله تعـالى: ﴿إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وإِيَّـاكَ نَسْـتَعِينُ﴾ فيـه إثبـات أن العبـد فـي أفعالـه الاختيارية وسط بين الجبر والتفويض، فان الفعل يصدر عن العبد باختياره لـذلك أسند إليه الفعل في قوله تعالى: (**إياك نعبد**)، إلا أنه يكون بعون الله لـه وإمـداده آناً فآناً، بحيث لو انقطع المدد عنه في آن لم يستطع إتمام الفعل.

تفسير: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦]

المعنى العام

اللغة: (الهداية): الإرشاد والدلالة[١]. **(الصراط)**: الطريق الواضح المتسع[٢]. **(المستقيم)**: المعتدل والمستوي الذي لا اعوجاج فيه[٣].

المعنى: أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك وطاعتك، والمبلغ إلى دينك وجنتك، والمانع من أن نتبع أهوائنا فنعطب، أو نأخذ برأينا فنهلك.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما معنى المسألة في ذلك وقد هداهم اللّه الصراط المستقيم؟ بل قل هل نحن ضالون كي نحتاج إلى هذه الهداية، وكيف يصدر مثل هذا الأمر عن المعصوم وهو نموذج الإنسان الكامل؟

الجواب الأوّل: المراد أدم لنا توفيقك الّذي به أطعناك في ماضي أيامنا، حتى نُطيعك في مستقبل أعمارنا.

فإنّ الإنسان في هذه المرحلة مؤمن طبعاً وعارف بربّه، لكنّه معرض دوماً

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص١٧٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٧ ص٣١٣. وتفسير مجمع البيان للآية.

(٣) مجمع البحرين، الطريحي، ج٢ ص٣٦٣.

بسبب العوامل المضادة إلى سلب هذه النعمة وإلى الانحراف عن الصراط المستقيم. من هنا كان عليه لزاماً أن يكرر عشر مرات في اليوم على الأقل طلبه من اللّه أن يقيه العثرات والانحرافات. فعلى هذا يكون معنى الهداية هنا الثبات أي ثبتنا على الدين الحق وأدمنا عليه. وهو كما يقول القائل لغيره وهو يأكل: كلّ أي دم على الأكل.

الجواب الثاني: المراد منه الزيادة في الألطاف كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾(١)، فانّ الصراط المستقيم هو دين اللّه، وله مراتب ودرجات ومهما سما الإنسان في مراتبه فثمة مراتب أُخرى أبعد وأرقى، والإنسان المؤمن تواق دوماً إلى السير حثيثاً على هذا السلم الارتقائي وعليه أن يستمد العون من اللّه في ذلك، وطريق التكامل كما هو معلوم غير محدود وهو مستمر حتى اللا نهاية، فمن هنا يفهم سبب تضرع الأنبياء والأئمة أن يهديهم الصراط المستقيم.

السؤال الثاني: ما هو تعريف الهداية في لسان الشرع؟

الجواب: هي الدلالة إلى الحق والدعاء إليه وإراءة طريقه والإرشاد إليه والأمر به(٢).

السؤال الثالث: ما هي أنواع الهداية الإلهية؟

الجواب: لا يمكن عدها لكنّها تنحصر في أجناس مترتبة.

الأوّل: إفاضة القوى والحواس لجلب النفع ودفع الضرر قوله تعالى: ﴿**أَعْطَى**

(١) محمد: ١٧.
(٢) راجع: تفسير القرآن الكريم للآية، للسيد مصطفى الخميني.

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[1].

الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل قوله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2].

الثالث: إرساله الرسل وإنزال الكتب. قوله ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[3]

الرابع: إزالة الغواشي البدنية وإراءة الأشياء كما هي بالوحي والإلهام أو المنام الصادق، وهذا يختصّ بالأنبياء والأوّلياء. قوله تعالى ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4].

السؤال الرابع: أُستعملت الهداية في القرآن بمعنى الدلالة إلى الشيء بلطف، كما هو واضح من الآية هنا. فكيف صح إستخدامها في معنى الدلالة إلى النار. كما في قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾؟[6]

الجواب: إنّ ذلك إنّما أُستعمل فيه مجازاً وعلى نحو التهكم، مبالغة في المعنى كقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[7] والبشارة لا تكون بالشر والعذاب[8].

السؤال الخامس: هل هنالك فرق بين المتعدي بنفسه والمتعدي بالحرف من الهداية؛ لأنّ أصل الهداية يُعدّى بالحرف كما في قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

---

(١) طه: ٥.
(٢) البلد:١٣.
(٣) فصلت: ١٧.
(٤) الأنعام: ٩٠
(٥) الصافات: ٢٣
(٦) الحج: ٤
(٧) آل عمران:٢١
(٨) راجع تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم ص٢١٦.

الجواب: منهم من فرق وقال: إنّ المتعدي بنفسه هو الإيصال إلى المطلوب، ولا يكون إلا فعل اللّه، فلا يسند إلا إليه، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[١]، ومعنى المتعدي بحرف الجر هو الدلالة على ما يوصل إليه فيسند تارة إلى القرآن وأخرى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

السؤال السادس: ما هو المراد من (الصراط المستقيم) في الآية: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾؟

الجواب: هو الدين الحقّ الذي أمر اللّه به من توحيده وعدله وولايته؛ بدليل قوله تعالى:﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾[٢]، وما ذكر من انّه كتاب اللّه، أو النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة القائمون مقامه صلوات اللّه عليهم، فهو ينطوي تحته ويكون من باب ذكر المصداق. والطريق المستقيم هو طريقان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الطريق المستقيم في الدنيا عدم العدول عنه إلى شيء من الباطل. وطريق الآخرة هو طريق المؤمنين إلى الجنّة.[٣]

السؤال السابع: ما هي أنواع الهداية؟

الجواب: الهداية على أنواع. **منها:** عام يشمل جميع المخلوقات لقوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٤]. **ومنها:** هداية خاصة: تختص بجمع بذلوا وسعهم في العمل بالشريعة المقدّسة فزادهم اللّه تعالى بذلك أنحاء الهداية،

---

(١) العنكبوت: ٦٩
(٢) الأنعام: ١٦١
(٣) راجع: التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام في ذيل الآية.
(٤) الإنسان: ٣

لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.[١] ومنها: هو أخص من الثاني كما ورد في شأن رسوله وحبيبه صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣] وغير ذلك مما ورد في شان الأنبياء الكرام.

السؤال الثامن: هل أنّ الهداية واجبة في النظام أو لا؟

الجواب: إنّ هذه الهداية واجبة في النظام عقلاً؛ لأنّ في تركها إهمال للنفوس المستعدة وتضييع لها، وهما قبيحان عقلاً، وكلّ قبيح عقلاً ممتنع بالنسبة إليه جلّ شأنه[٤].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: لزوم الدعاء في كل الأحوال

الآية تدلّ على بطلان قول من يقول: لا يجوز الدعاء بأن يفعل اللّه ما يعلم أنّه يفعله؛ لأنّه عبث؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان عالماً بأنّ اللّه يهديه الصراط المستقيم وأنّه فعل ذلك.

الدرس الثاني: جوهر الهداية عبادة الله

إنّ المهتدي هو الّذي ترك الدنيا والعادة، ثمّ اشتغل بوظائف الطاعة والعبادة لا مَن اتبع هواه أو خلط هواه بهداه. فانّ الإنسان في كلّ آن يحتاج إلى من

---

(١) العنكبوت: ٦٩
(٢) الإسراء: ١
(٣) الأنعام: ٧٥
(٤) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، للسيد السبزواري.

يرشده ويهديه وان كان مهدياً.

الدرس الثالث: طلب المعونة من الله

قوله﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ بيان للمعونة المطلوبة، كأنه قال كيف أعينكم فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم. فتكون الآية هنا مصداق من مصاديق المعونة.

الدرس الرابع: الهداية تحتوي على كل الخير

ليس المراد بالهداية مجرد العلم، بل العلم مع التوفيق إلى العمل فمن دعا لك بالهداية فقد دعا لك بالخير كلّ الخير، ومن دعا لك بالعلم فقد دعا لك ببعض الخير. لكن نرى أكثر الناس يثقل عليهم الدعاء بالهداية، مع العلم بأنّ رسول اللّهصلى الله عليه وآله كان يكرر الدعاء بها ليل ونهار في صلواته وغيرها[1].

والهداية إلى الصراط المستقيم متقوّم بطرفين المفيض وهو اللّه تعالى، والمستفيض وهو ما سواه تعالى؛ لأنّ جميع الموجودات في طريق الاستكمال الّذي أعده الحكيم جلّ شأنه.

الدرس الخامس: للصراط المستقيم أنواع متفاوتة

إنّ الصراط المستقيم كلّي واقعي له أنواع كثيرة متفاوتة في التجرد والتعليق بالمادة وغير ذلك، ويتحد مع الجميع إتحاد الجنس مع أنواعه فالمجرد منه كالعقل الكلي والمتعلق بالمادة منه كنفوس الأنبياء والأوصياء والأوّلياء، والعرضية منه كالكتب السماوية والتشريعات الإلهية[2].

---

(1) راجع: تفسير الكاشف للآية، محمد جواد مغنية.

(2) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.

الدرس السادس: الحث على دوام طلب الهداية

إنّ نعمة الوجود وجميع المواهب الإلهية تصلنا من المبدأ العظيم تعالى لحظة بلحظة، من قبيل المصابيح الكهربائية والنور المستمر في هذه المصابيح يعود إلى وصول الطاقة إليها لحظة بلحظة من المولد الكهربائي، فهذا الوجود وإن بدا ممتد مستمراً وهو في الحقيقة وجود متجدد باستمرار يتطلّب باستمرار هداية جديدة.

الدرس السابع: الحث على طلب الاستقامة

قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ هذا الدعاء دليل على أنّ اللّه لا يمنح الاستقامة إلا لمن يطلبها منه، فإنّه تعالى يعلم أشياء كثيرة تكون أصلح لنا وأنفع لنا إذا سألناه وإذا لم نسأله لا يكون ذلك مصلحة.

الدرس الثامن: أهمية الهداية في حيات البشر

لا ريب في أنّ تشريع الأديان السماوية وإنزال الكتب الإلهية وتكميل النفوس الإنسانية، بل وتنظيم العالمين الدنيا والآخرة متقوّم بهدايته تبارك وتعالى، ولكثرة أهمية ذلك صارت الهداية من شؤنه المختصة به. لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾[1].

---

(1) آل عمران-٧٣

تفسير: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [٧]

المعنى العام

اللغة: (النعمة): الحالة المستلذة، وأصلها المبالغة والزيادة، يُقال دققت الدواء فأنعمت دقه[١]. **(الغضب)**: الشدّة والسخط، وهو خلاف الرضا[٢]. **(الضلال)**: الهلاك والضياع[٣].

المعنى: اللهم اهدنا طريق المؤمنين الّذين رضيت عنهم ووفقتهم لعبادتك وسلوك طريقك المستقيم، وجنبنا طريق الذين انحرفوا وتمردوا، والذين ضلوا الطريق.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو الوجه في تكرار لفظة (الصراط) في هذه الآية والّتي سبقتها؟ ولِمَ لم يقل (اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم) من دون أن يذكر الآية السابقة ليتخلص من التكرار والإطالة؟

---

(١) راجع: لسان العرب، ج١٢ ص٥٨٧.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج٢ ص٢٤٩.
(٣) مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر، ص٢٠٢.

الجواب الأوّل: للتوكيد. والإشعار بأنّ الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط من خصهم اللّه تعالى بعصمته، وأمدهم بخواص نعمته، واحتج بهم على بريته وفضلهم على كثير من خلقه، فيكون ذلك شهادة لصراطهم بالاستقامة على آكد الوجوه كما تقول: هل أدلك على أكرم الناس فلان. فيكون أبلغ في وصفه من قولك هل أدلك على فلان الأكرم؟ لأنّك بينت كرمه مجملاً أولاً ومفصلاً ثانياً، وأوقعت فلاناً تفسير للكرم فجعلته علماً في الكرم، فكأنك قلت من أراد رجلاً جامعاً للكرم فعليه بفلان.

الجواب الثاني: لأهمية الموضوع وأنّ المطلوب ليس مجرد حدوث الهداية فقط بل بقائها وإبقائها.

السؤال الثاني: من هم الذين أنعم اللّه عليهم هنا في الآية؟

الجواب الأوّل: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. لقوله تعالى ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ**﴾[1]. أو هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بولايته، لم يغضب الله عليهم ولم يضلوا. عن الامام الصادق عليه السلام **قال يعني محمداً صلى الله عليه وآله وآله وذريته**[2] وقيل: المراد بهم المسلمون فانّ نعمة الإسلام أصل كلّ النعم[3].

الجواب الثاني: كلّ مطيع تشمله نعمة اللّه ورحمته، حيث أنّ لفظ الآية عام لا تخصيص فيه ولا استثناء وإنما ما ورد في القرآن والسنة من باب ذكر بعض المصاديق، وهم الّذين أطاعوا اللّه تمام الطاعة وعبدوه كمال العبادة.

---

(١) النساء: ٦٩

(٢) راجع: تفسير سيد مصطفى ج٢ ص٢٢.

(٣) راجع: تفسير الوجيز للآية، علي بن الحسين العاملي.

السؤال الثالث: من هم المغضوب عليهم في الآية المباركة: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾؟

الجواب الأوّل: اليهود: لأنّه تعالى قد أخبر عنهم بأنّه غضب عليهم بقوله ﴿مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾[1].

الجواب الثاني: هم العصاة المعاندين الّذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به، وأما تفسيرهم باليهود هو من باب التطبيق لا التخصيص. فلذا ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **كلّ من كفر باللّه فهو مغضوب عليه**[2].

بعبارة أُخرى:من حق اللفظ فيه أن يكون خرج مخرج الجنس، كما تقول نعوذ باللّه أن يكون حالنا حال المغضوب عليهم، فانّك لا تقصد به قوماً بأعيانهم ولكنّك تريد ما تريده بقولك إذ قلت: اللهمّ إجعلني ممن أنعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم، فلا تريد ان هاهنا قوماً بأعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة، فأن القرآن الكريم لا تنحصر مفاهيمة الكلية بأصناف خاصة، فالمغضوب عليهم معنىً كلي ينطبق على كل إنسان محجوب عن الخير.

السؤال الرابع: من هم الضالون المقصودين في الآية الكريمة: (وَلاَ الضَّآلِّينَ)؟

الجواب الأوّل: هم النصارى لقوله ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾[3] يعني النصارى.

الجواب الثاني: هم العصاة فإن كلّ عاصي ضال، وتفسيرهم بالنصارى من باب التطبيق لا التخصص. يؤيده: قوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

([1]) المائدة:٦٠

([2]) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.

([3]) المائدة:٧٧

ضَلالاً مُّبِينًا﴾.[(١)]

الجواب الثالث: هم الّذين لم يعرفوا الحق أصلا أو لم يعرفوه على وجه صحيح؛ لأنّ الضال حقيقة هو التائه الواقع في عماية لا يهتدي معها إلى المطلوب والغاية، وأن العماية في الدين هي الشبهات الّتي تلبس الحق بالباطل وتشبه الصواب بالخطأ.

السؤال الخامس: الضالون هم من جنس الكافرين الّذين يستحقون الغضب والانتقام فيدخلون في قوله: (غير المغضوب) فلِمَ فصلهم هنا بقوله: (ولا الضالين)؟

الجواب: لفظة (لا) هنا زائدة تقديره غير المغضوب عليهم والضالين، كما يقال ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ أي معناه أن تسجد. أو إنما خص اللّه تعالى كلّ فريق منهم بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وإن كانوا مشتركين في صفات كثيرة، فإنّ قوله تعالى ﴿المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ يشمل جميع الكفار، فكلّ مغضوب عليه ضالّ وكلّ ضال مغضوب عليه. لذا ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**كلّ من كفر باللّه فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل اللّه عزّ وجلّ**»[(٢)]. أما ما ورد في بعض الروايات إنّ المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى، لا يحدد السورة في هذين النموذجين؛ لأنّ ذلك قد يكون على نحو المثال، كما هي طريقة القرآن في مواقع النزول للآيات، فيما تتحدث عن أسباب النزول[(٣)]. تحصل أن عطف الضالين من قبيل عطف الأوصاف المتعددة لذات واحدة،

---

(١) الأحزاب:٣٦

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٥ ص٢٧٤.

(٣) راجع تفسير البرهان للآية، السيد هاشم الحسيني البحراني.

السؤال السادس: ما هو الفرق بين المغضوب عليهم وبين الضالين؟

الجواب الأوّل: يستفاد من التعبيرين في القرآن أنّ المغضوب عليهم أسوأ وأحط من الضالين أي أن الضالين هم التائهون العاديون، والمغضوب عليهم هم التائهون المتعنتون والمنافقون.

الجواب الثاني: الضالون هم التائهون الّذين لا يصرون على تضليل الآخرين، بينما المغضوب عليهم هم الضالون المضلون الذين يسعون إلى جر الآخرين نحو الانحراف لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[1].

السؤال السابع: ما هو المعنى المراد من (الغضب) المنسوب إليه تعالى هنا في الآية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؟

الجواب: الغضب من اللّه هو إرادته إنزال العقاب المستحق بهم وبراءته منهم، وأن يفعل بهم ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده، وليس المراد منه ثوران النفس عند إرادة الانتقام وحصول الغليان في دم القلب؛ لشهوة التشفي والانتقام المنسوب إلى النفوس الممكنة فإنّه في حق اللّه سبحانه محال.

السؤال الثامن: ما هي النعمة التي أنعم بها سبحانه وتعالى على عبادة المقصودين في الآية المباركة؟

الجواب الأوّل: هي التوفيق لدينه وطاعته لا نعمة مال أو صحة، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «**ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من اللّه ظاهرة ألا ترون أنّ هؤلاء قد يكونون كفاراً و**

---

(١) الأعراف: ٥

فساقاً فما ندبتم إلى أن تدعو بأن ترشدوا إلى صراطهم وإنما أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين انعم عليهم بالإيمان باللّه والتصديق لرسوله وبالولاية لمحمد وآله الطيبين...الخ»[1].

الجواب الثاني: النعمة هي الولاية، لما كان السلوك على الصراط المستقيم الإنساني لا يحصل إلا بالولاية والولاية هي النعمة الحقيقية، وبها يصير الإسلام نعمة، أبدل تعالى عنه قوله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾؛ فانّ الإنعام للإنسان إتيانه ما يلائم إنسانيته والملائم لإنسانيته هي الولاية المخرجة له إلى فعلياته الإنسانية[2].

الجواب الثالث: النعمة هي النبوة والولاية والإيمان والطاعة وصالح العمل الّتي تستتبعها النعم الدنيوية، من العيش ألهنيء والعلو والرفعة والعزّة والكرامة والظفر على غيرهم.

السؤال التاسع: **نسب النعمة إلى الله عز وجل. (أنعمت عليهم) ولم ينسب إليه الإضلال والغضب. فلماذا عدل عن إسناده إليه تعالى إلى صيغة المجهول، فلم يقل (غير الذين غضبت عليهم)** أو **(الذين أضللتهم)**؟

الجواب: تأسيس لمباني الرحمة، وتعليم العباد الأدب مع الله تعالى، فكأن الغضب صادر من غيره تعالى. ومثله في التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد. وهو كثير في الكتاب المجيد منه قوله تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

---

(1) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٣٧.

(2) راجع تفسير بيان السعادة للآية، سلطان علي شاه.

عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١].

السؤال العاشر: ما هي أنواع النعم؟ وما هي النعم المقصودة في الآية؟

الجواب: أنواع النعم ثمانية. إمّا: دنيوي موهبي روحاني. كإفاضة العقل. أو جسماني: كخلق الأعضاء. وإمّا: دنيوي كسبي روحاني، كتحلية النفس بالأخلاق الزكية أو جسماني كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة. وإمّا: أخروي موهبي روحاني، كغفران ذنب من لم يتب، أو جسماني كأنهار العسل. وإمّا: أُخروي كسبي روحاني، كغفران ذنب التائب، أو جسماني كالذات الجسمانية المستجلبة بالطاعات. والمقصود في الآية الأربعة الأخيرة[٢].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الحث على إتباع الصالحين

في هذه الآية حثّ ضمني للإنسان على طلب طريق ﴿**الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم**﴾ وعلى اجتناب طريق (**المغضوب عليهم**) وطريق (**الضالين**).

ونحن في هذه السورة سورة الحمد نطلب من اللّه صباحاً مساءً أن نكون في خط هذه المجاميع الأربعة: خط الأنبياء وخط الصديقين وخط الشهداء وخط الصالحين، وعلينا أن ننهض في كلّ مرحلة زمنية بمسؤوليتنا ونؤدي رسالتنا.

---

(١) إبراهيم: ٧

(٢) راجع: التفسير الوجيز للآية، علي بن الحسين العاملي.

الدرس الثاني: عمومية النعمة لكل خير

النعمة في لسان العرف هي كلّ خير ولذّة وسعادة، بل كلّ مطلوب ومؤثر يسمّى نعمة عند الناس، وهذه تختلف بالإضافة، فرب نعيم لأحد يكون أليما لآخر.

الدرس الثالث: حقيقة النعمة السعادة الأخروية

النعمة الحقيقية هي السعادة الأخروية، وأصلها المعرفة باللّه وملكوته ولها صورة وروح وسرّ، فصورتها الإسلام والإذعان، وروحها الإيمان والإحسان، وسرها التوحيد والإيقان، فحكم الإسلام متعلق بظاهر الدنيا، والإيمان بباطنها وباطن النشأة الظاهرية والإحسان للحكم البرزخي ونشأته.

الدرس الرابع: الضال قد يكون مغضوبا عليه

الضال المنحرف عن الطريق يمكن أن يكون مغضوباً عليه إذا كان عن تقصير، ويمكن أن يكون غير مغضوب عليه إذا كان عن قصور، والمسلم يطلب من اللّه تعالى أن لا يكون من هؤلاء ولا من هؤلاء.

الدرس الخامس: اختلاف مراتب أهل الضلال

ذكره تعالى المغضوب عليهم والضالين بعنوان الجمع، إشارة إلى التعدد والاختلاف وعدم الوحدة فيه، بخلاف الصراط المستقيم، فأنّه واحد لا تعدد فيه بوجه وهو النور الّذي لم يستعمل في القرآن إلا مفرداً بخلاف الظلمات.

الدرس السادس: وصف الصراط من قبل الله

قد بيّن تعالى صراط المستقيم بنفسه؛ لأنّه صراطاً يكون مبدأه من اللّه تعالى ومنتهاه إليه، كيف يمكن وصفه وبأي وجه يمكن نعته، فلا يقدر لمخلوق أن يصفه إلا بما وصفه الخالق بالقول الجامع. قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾.

الدرس السابع: عمومية النعم

أطلق لفظ (النعمة) في الآية المباركة ليفيد التعميم من كلّ جهة يتصور من النعم الظاهرية والباطنية. قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1].

الدرس الثامن: تعظيم الأنبياء والصالحين

قوله تعالى: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ بيان للآية السابقة واهتماماً بصراط المنعم عليهم واعتناء بشأنهم، وأنّه يباين طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين، فالجملة الأوّلى وقعت في مقام المدح لعباد الرحمن والأخيرة كأنّها وردت في مقام رجم الشيطان ومن تبعه.

الدرس التاسع: التخلص من الضلالة الواعية واللاواعية

التخلص من الضلالة اللاواعية لا يكون إلا بعد التخلص من الانحراف الواعي إذ أن نور اللّه لا يدخل قلباً متكبراً معانداً مصمماً على الانحراف؛ لذلك نجد القرآن يأمر بالتخلص من غضب اللّه أولاً ثمّ يأمر بالتخلص من الضلال.

الدرس العاشر: الضلال من عوامل الجهل

من عوامل الانحراف الجبرية الّتي تدفع الإنسان إليه، الجهل والغفلة، حيث أنها من عوامل الضلالة الّتي يجب التخلص منها هي الأخرى حّتى تتم الاستقامة وكثير من الناس ينحرفون لجهلهم بالدين وبما فيه من سعادة وخير.

الدرس الحادي عشر: صراط المستقيم حقيقة واقعة

علينا أن نعرف أنّ اللّه يجسد الصراط المستقيم في أشخاص، إذ أن الإيمان

---

(1) لقمان: ٢٠

لابدّ أن يكون له رصيد واقعي، لئلا يتحول إلى أفكار مجردة، ربّما لا تكون قابلة للتطبيق.

الدرس الثاني عشر: أصناف الناس في طريقهم إلى الله

إن الناس في طريقهم إلى اللَّه على ثلاث طوائف. **الأوّلى:** هم الّذين طريقهم إلى فوق وهم المؤمنون المخلصون. **الثانية:** هم الّذين طريقهم إلى السفل وهم المغضوب عليهم. **الثالثة:** هم الّذين ضلّوا الطريق وهم حيارى فيه وهم الضالون.

الدرس الثالث عشر: مميزات الغضب

غضب المخلوقين على قسمين: منه محمود وهو ما كان في جانب الدين والحق، ومنه المذموم وهو ما كان خلافه.

تفسير سورة البقرة

تفسير: ﴿الم﴾ [١]

المعنى العام

ما يقارب ٢٩ سورة ابتدأت بآية مكونة من الحروف الهجائية، واختلف المفسرون في معانيها حتى وصل بهم الكلام إلى أحد عشر رأياً تقريباً.

ولا يخفى أن هذه الكلمات المؤلفة من هذه الأحرف الهجائية آيات قرآنية صادرة عن المولى عز وجل، وليس أنها وضعت فيما بعد كما قيل، فأنها ثابتة ومسلمة تاريخاً و سيرةً.

لكن كل ما هنالك أُختلف هل لها معنى أو لا، وهذا ما سيأتي الكلام فيه في المرحلة الثانية.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: إنه قبيح عند العقل أن يُنزل الله سبحانه آية لا نعرف معناها، وكيف وأن القرآن هدىً ولسانه عربي مبين، و قد أُمرنا بالتدبر في آياته؟

الجواب: إن هذه الكلمات المؤلفة من الأحرف الهجائية المقطعة لها أكثر من معنىً و تفسير، فلا مجال للشك هل لها معنىَ أو لا.

والدليل: مضافاً إلى أقوال المفسرين والروايات الشريفة، التاريخ الذي لم يحدثنا أن العرب الجاهلية والمشركين عابوا على الرسول ﷺ بوجود هذه

الحروف المقطعة بالقرآن، ولم يتخذوا منها وسيلة للطعن و الاستهزاء و لو كان لبان. وهذا يدل على أن لها معنىً مسلم عندهم، و نحن نذكر بعض الأجوبة المناسبة في المقام.

الأوّل: إنها حروف مقطعة من أسماء يعرفها النبي صلى الله عليه وآله.

والراسخون بالعلم وهم المعصومون عليهم السلام. وهذا ينسجم مع القول أنها حروف من حروف اسم الله الأعظم المقطع بالقرآن فتكون معانيها سراً خاصاً بأهل البيت عليهم السلام،كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **يا أبا لبيد إن في حروف القرآن المقطعة لعلما جما.**[١] وعن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: **الم: هو من حروف اسم الله الأعظم المقطع في القرآن الذي يؤلفه النبي والإمام فإذا دعا به أُجيب.**[٢]

الثاني: المراد بها الإعجاز ليكون أول ما يقرع الإسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز وما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام **كذبت قريش و أليهود بالقرآن و قالوا سحر مبين تقوله قال الله عز وجل الآية أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلته عليك هو بالحروف المقطعة التي منها الألف واللآم والميم هو بلغتكم و حروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين و استعينوا على ذالك بسائر شهدائكم ثم إنهم لا يقدرون عليه. (قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا)**[٣].

أشار الأمام عليه السلام إلى أنه من جنس الحروف المتداولة بين ألسن الناس،

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٥٢ ص١٠٦.
(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٢٣.
(٣) الإسراء. ٨٨ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٦٢.

ولاسيما في عصرٍ اشتهر بالفصاحة والبلاغة والأدب فحار به الفصحاء من العرب وغيرهم، وكان تحدي للجن والإنس في عصر الرسالة وكل العصور، فالمولى عز وجل خلق من هذه الحروف الهجائية المتداولة معان سامية في قوالب لفظية جميلة وأسلوب خاص مدهش ومعجز وهذه الحروف موجودة تحت تصرف الإنسان ولكنه عاجز عن صنع جمل وعبارات شبيهة بالقرآن.

ويؤيده: أغلب الآيات التي جاءت بعد هذه الحروف مباشرةً تدل على عظمة القرآن وسموه، منها: ﴿**الَر * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ... الخ**﴾(١). ﴿**الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ... الخ**﴾(٢). ﴿**المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ... الخ**﴾(٣).

الثالث: فواتح تفتح بها سور القرآن، فائدتها بيان إبتداء سورة جديدة وانقضاء ما قبلها، وذلك معروف في كلام العرب شعراً و نثراً. قال الأخفش: وربما استعملت العرب بل في قطع كلام واستئناف آخر، فينشد الرجل منهم الشعر، فيقول في قول العجاج:

بل ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا   من طلل كالأتحمي أنهجا هنا(٤)

قوله (بل) ليس من الشعر، وإنما أراد أن يُعلم أنه قطع كلامه وأخذ في غيره.

فيه: أن يكون في كل السور وليس البعض منها.

الرابع: ابتدأت بذلك أوائل السور، كي يهيئ لاستماعه أسماع المشركين والمنافقين لأنهم آلو وتواصوا بالإعراض عن القرآن، فهذه مسكتة لهم ومثيرة

---

(١) هود:١
(٢) لقمان: ١-٢
(٣) الأعراف: ١-٢
(٤) تاج العروس، الزبيدي، ج ١٤ - ص ٦٩.

لانتباههم حيث سمعوا كلاما غريبا[١].

الخامس: المراد بها حسابات رياضية على الأحرف الأبجدية وهو معروف عندهم ووردت لذلك روايات. فالألف: سنة. واللام: ثلاثون سنة. والميم: أربعون سنة[٢].

السؤال الثاني: لماذا سميت هذه السورة الكريمة بـ(سورة البقرة)؟

الجواب: إحياءً لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى عليه السلام. وقد ذكرت في هذه السورة، حيث قُتل شخص من بني إسرائيل ولم يُعرف قاتله، فعرضوا الأمر على موسى عليه السلام لعله يعرف القاتل، فأوحى الله تعالى إليه أن يأمر بذبح بقرة وأن يضربوا الميت بجزءٍ منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل، وتكون برهاناً على قدرة الله عز وجل في إحياء الخلق بعد الموت.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: اختصاص أهل البيت بمعرفة معاني الأحرف.

خص الله تعالى معرفة معاني هذه الأحرف أهل العصمة والطهارة عليهم السلام كما في بعض الأقوال فيقيمون بها الدلائل ويظهرون المعجزات، ولو عم الله تعالى جميع الناس لكان في ذلك ضد الحكمة وفساد التدبير، وكان لا يؤمن من غير المعصوم أن يدعو بها على نبي أو مؤمن ممتحن.

---

(١) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، ج١ ص٤٨.

(٢) البرهان، الزركشي، ج١ ص١٧٤.

الدرس الثاني: دلالتها على فوائد تجويدية ومعنوية

بما فيها من فائدة تجويدية، باعتبار المخارج، فالألف مخرجها أقصى الحلق، والميم مخرجها الشفة، والآم، الواقع بينهما، تشير إلى معان دقيقة لطيفة، الأوّل إلى مرتبة الغيب والثاني إلى مرتبة الشهادة والثالث ما يتوسط المراتب. فهنا إشارة إلى الغيب والشهادة وما بينهما.

الدرس الثالث: التمسك بولاية الإمام علي عليه السلام

عند حذف الأحرف المكررة، التي هي في الآيات المكونة من الأحرف المقطعة، وتركيب الأحرف الباقية تخرج جملة (**صراط علي حق نمسكه**)

الدرس الرابع: دلالتها على إعجاز القرآن

إثبات أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل، وان العجز موضوعي وليس ذاتيا.حينما يعجزون عن الإتيان بمثله مع أن الحروف العربية بين أيديهم وعلى ألسنتهم.

تفسير: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢]

المعنى العام

اللغة: (ذلك): لفظة يشار بها إلى ما بعُد قبال هذا: يشار بها إلى ما قرب وذاك إلى البعيد المتوسط في بعده. **(الكتاب)**: مصدر بمعني المكتوب.كالحساب. قال الشاعر:

بشرت عيالي إذا رأيت صحيفة   أتتك من الحجاج يتلى كتابها[١]

أي مكتوبها. **(الريب)**: الشك. قيل هو أسوء من الشك؛ لأنه الشك مع التهمة: رابني الشيء وأرأبني بمعنى شككني.[٢] **(التقوى)**: من الاتقاء: وهو الحجز بين الشيئين. إتقاه بالترس جعله حاجزاً بينهما. قال الشاعر:

فألقت قناعاً دونها الشمس واتقت   بأحسن موصلين كف ومعصم.[٣]

المعنى: إن هذا القرآن ليس هو محل إرتياب وشك، ولا ينبغي أن يرتاب ويشك فيه، وانه هدى للذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقاب من فعل أو ترك.

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج١٩ ص٥٨٥. وتفسير المحيط، ابن حيان الأندلسي، ج١ ص١٥٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١ ص٤٤٢.

(٣) خزانة الأدب، البغدادي، ج١٠ ص١٤٠، ج٥ ص١٨٥.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: من الواضح أن لفظة ذلك اسم إشارة يراد بها البعيد، بينما القرآن قريب إلى قارئيه وسامعيه، فكيف أُشير له باسم الإشارة الدال على ما بعد؟

الجواب الأوّل: المراد إن هذا القرآن هو ذلك الكتاب الذي وعدت به في الكتب السالفة والذي أخبرت به موسى عليه السلام ومن بعده من الأنبياء. كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾[1] فأخبروا بني إسرائيل إني سأنزل عليك يا محمد كتاباً عربياً عزيزاً. وقريب من **هذا الجواب**: إنه تعالى وعد رسوله عند مبعثه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماحي وهو صلى الله عليه وآله أخبر أُمته بذلك. وروت الأمة ذلك.[2]

و لعل الآية أشارت لهذا بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾[3] فيكون إشارة إلى الكتاب الموعود وهو القرآن.

الجواب الثاني: للإشارة إلى كون القرآن سامي المقام عالي المنزلة فانه أشتمل على علوم عظيمة، وإن كان حاضراً بصورته ولكنه غائب عن الصورة البشرية بسيرته وأسراره، فجاز أن يُشار له بذلك؛ لتعظيم تلك الحقائق وبعدها غاية البعد عن إدراك الأبصار والبصائر.

وبتعبير آخر: المراد من (ذلك) الكتاب الكامل بهدايته الجامع لجميع الخصائص في كل مجالات العصر. فتكون الكاف للتعظيم لا للبعد. كقولك: أنا

---

(١) البقرة: ١٤٦

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج١٧ص٢١٧. التفسير المنسوب للإمام العسكري ح١ ص٦٢.

(٣) المزمل:٥

ذلك الرجل. كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[1] وهو موجود في الحال. وقول الشاعر:

أقول له والرمح باطر متنه تأمل خفافا انني أنا ذالكا.

المراد إنني أنا هذا إذن اللغة العربية تتسع التنزيل، فيمكن تنزيل القريب منزلة البعيد، لمكانة تقتضي ذلك لعلو مكانة هذا الشيء.

الجواب الثالث: يمكن أن يكون إشارة إلى الكتاب الذي نزل دفعة على قلب النبي محمد ﷺ قبل البعثة، ولم يعرف زمان نزوله على قلب النبي ﷺ قبل ولادته أو بعدها، أما الآية ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ....﴾ مطلقة لا تعين شهر رمضان بحاله.

السؤال الثاني: كيف استُعملت كلمة الكتاب للقرآن، وهو آنذاك لم يكتب كله؟ حيث ن الله تعالى أنزل الكتاب بعضه بعد بعض، فنزلت بعد سورة البقرة أو هذه الآية سور وآيات كثيرة؟

الجواب الأوّل: استعمال هذه الكلمة لا تستلزم أن يكون القرآن كله مكتوباً، حيث نزلت قبل سورة البقرة سور كثيرة، فيصح إطلاق لفظة الكتاب عليها. فإن اسم القرآن يطلق على كل هذا القرآن وعلى بعضه أيضا.كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[2] فالجن لم يستمعوا إلى كل القرآن، وإنما استمعوا إلى بعضه.

الجواب الثاني: يطلق بمعنى أوسع يشتمل كل ما يليق أن يكتب ويظهر

---

(1) السجدة: ٦

(2) الجن:١

مكتوباً، وإن لم يُكتب حين إطلاق اسم الكتاب عليه، فيكون المراد ذلك الكتاب الكامل مثل ذلك الرجل الكامل. والألف واللام في الكتاب تدل على النوع، نوع الكتاب. أو المراد به الكتاب الذي نزل على قلب دفعة واحدة، أو الذي وعد الله به فهو كامل.

الجواب الثالث: يمكن أن يراد بالكتاب هنا هو الإمام علي عليه السلام، الذي لا مرية ولا ريب فيه، فإن كمالاته مشاهدة من سيرته وفضائله منصوص عليها من الله ورسوله، وإطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف أهل الله وخواص أوليائه.

وقد أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**دواؤك فيك ولا تبصر، و داؤك منك ولا تشعر، وأنت الكتاب المبين، الذي بأحرفه يظهر المضمر، أتزعم انك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر**»[١]. فصح إطلاق لفظة (الكتاب) على الإنسان.وهناك روايات تؤيد هذا الجواب: منها: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **الكتاب علي عليه السلام لا شك فيه بيان لشيعتنا.**[٢]

ومنها: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: **الكتاب أمير المؤمنين لا شك فيه انه أمام هدى للمتقين**[٣].

السؤال الثالث: في هذه الآية الشريفة أن الله تعالى نفى الريب والشك، بينما نرى

---

(١) راجع التفسير الصافي للآية، الفيض الكاشاني. وشرح الأسماء الحسنى، ملا هادي السبزواري، ج١ ص١٢.

(٢) تفسير البرهان للآية، الزركشي.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٤ ص٣٥٢.

الكفار قد ارتابوا وشكوا فيه، وكذا المبتدعون قد شكوا في معاني متشابهة. فما معنى نفي الريب على سبيل الاستغراق، وإن أداة النفي نافية للجنس والماهية التي تدل على نفي جميع أفراد الشكوك؟

الجواب الأوّل: المراد لا ريب فيه: إن الكتاب ليس فيه سبب ريب وشك؛ لأن الأسباب التي توجب الشك في الكلام التلبيس والتعقيد والتناقض والدعاوى العارية من البرهان، وهذه منفية عن الكتاب فهو حق في نفسه لصدقه التام ليكون المعنى ذلك الكتاب الذي لا ينبغي أن يرتاب به أحد.

الجواب الثاني: المراد لا ريب فيه. نفي بمعنى الجنس: أي لا ترتابوا فيه، ولا تشكوا. فهي تنهى عن الارتياب في الكتاب والشك فيه. كقوله تعالى: ﴿**فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾[1]. أو المراد أمر: أي تيقنوه و لا ترتابوا فيه.

الجواب الثالث: المراد لا ريب فيه:عند الأنبياء السالفين الذين اخبرهم الله تعالى بالكتاب، وانه سينزله على النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، فلا يشكون فيه ولا في عدم نزوله.

السؤال الرابع: هل الكتاب هدى للمتقين فقط كما يفهم من هذه الآية، مع أن آية أُخرى تقول ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أعم من المتقي وغيره؟ وهل يحتاج المتقون الذين يعيشون الهداية في كيالهم إلى هداية فيكون القرآن هادياً لهم، أليس هذا تحصيل الحاصل؟

الجواب الأوّل: هذه الهداية خاصة بالمتقين غير الهداية الأوّلى، حيث أن المتقين محفوفون بهدايتين هداية أُولى بها صاروا متقين وهي من أنفسهم، وهداية ثانية أكرمهم الله سبحانه بها بعد التقوى، كما يدل عليه قوله تعالى:

---

(1) البقرة: ١٩٧.

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[١]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾[٢]. كما أن الكفار والمنافقين واقعون بين ضلالتين. الآية: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾[٣] المرض الأوّل منهم و الثاني منه تعالى.وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٤] فالأوّل ابتدائي والآخر جزائي.

الجواب الثاني: إن المتقين هم الذين يشعرون بمسؤوليتهم الفكرية والاجتماعية تجاه العقيدة والحياة، فهم الذين يعيشون تقوى الفكر والتفكير العميق فيطلبون الهداية من موقع المواجهة الحادة للمشاكل الصعبة التي تعترضهم في قضايا الصراع، فهم بحاجة إلى هداية القرآن.

بتعبير آخر: إن المتقين هم الذين يخافون الله ويحبونه بإخلاص وإيمان، فيشعرون من خلال ذلك بالمسؤولية التي تتحول إلى مراقبة ومحاسبة النفس في الفكر والعمل، فينتفعون بالقرآن ويهتدون بهداه. بخلاف غير المتقين الذين لا يشعرون بالمسؤولية اتجاه أنفسهم واتجاه ربهم، فيواجهون الحياة مواجهة أللا مبالاة، والهروب من كل شيء يتعب الفكر والوجدان، فلا يحاولون أن يهتدوا ولا يفكروا بالهدى، فلا يمكن للكتاب أن يكون هدى لهم، لكنه يظل يطرق أسماعهم منتظراً حالة الوعي الجديدة ليهديهم من موضع إرادتهم للهداية.

لتوضيح الجواب أكثر: يمكن أن نمثل ذلك بالمعلم الذي يلقي دروسه على

---

(١) التغابن:١١.
(٢) محمد: ١٧
(٣) البقرة:١٠
(٤) الصف: ٥

جميع الطلاب الأذكياء والبلداء، ولكن الذين ينتفعون بالمعلم هم الأذكياء التي تكون عاقبتهم إلى النجاح فيصح أن يقال: أن المعلم هو معلم الناجحين. فكذا القرآن خاطب الجميع دون إستثناء ولكن الذين إنتفعوا به هم المتقون. كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾[١] وقوله: ﴿إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾[٢]

السؤال الخامس: من أين نفهم أن قوله (لا ريب فيه) يدل على نفي الريب بالكلية؟

الجواب: إنّ قوله (لا ريب) نفي لماهية الريب ونفي الماهية يقتضي نفي كل فرد من أفراد الماهية؛ لأنه لو ثبت فرد من أفراد الماهية لثبتت الماهية، وذلك يناقض نفي الماهية.

السؤال السادس: ما هو المعنى المراد من (الكتاب) هنا في الآية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾؟

الجواب: الألف واللام في لفظة الكتاب للعهد، وان المراد بالكتاب هنا: هو القرآن الكريم في مقابل كتاب التوراة، والإنجيل، حيث أن من أسمائه المشهورة بعد القرآن الكتاب، فإذا يذكر مطلقا يتبادر الذهن إلى القرآن. كما اشتهر كتاب سبويه بالبصرة، عندما يقول: (قرأ فلان الكتاب) فيعلم أنه كتاب سبويه. وهذا بخلاف الكتب السماوية الأُخرى، حيث عندما تذكر في القرآن لابد أن تشخص بالإضافة من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾[٣].

فتحصل أنّ المراد من الكتاب هنا هو القرآن.

---

(١) النازعات:٤٥

(٢) طه: ٣

(٣) هود:١٧.

السؤال السابع: ما هو وجه تسمية القرآن بالكتاب، كما هو في الآية المباركة؟

الجواب: سمي القرآن بالكتاب كما في الآية الشريفة أو غيرها، من باب ذكر الشيء بصفاته، وإنما اسمه في المصطلح الإسلامي والحقيقة الشرعية هو القرآن، الذي يقابله الشعر والنثر.

السؤال الثامن: هل أن دور القرآن الكريم الهداية والإرشاد فحسب، أو يتطرق إلى العلوم الطبيعية وما شابهها؟

الجواب: إن القرآن دوره الأصيل الهداية، فهو كتاب دين وأخلاق وعقيدة، وليس دوره أن يكون كتاباً يتحدث عن الاختراعات أو الاكتشافات أو عن شيء آخر، بل هو كتاب هدى للإنسان ليوجهه إلى الطريق الصحيح. ولا مانع من ذكره إلى بعض الأسرار الكونية والظواهر الطبيعية، لكنها لا تأتي مستقلة بل تركز على عنصر الهداية وأهدافها.

بعبارة مختصرة: إن القرآن أولاً وبالذات كتاب هداية وإرشاد، وثانياً وبالعرض ذكر العلوم الطبيعية وما إليها.

السؤال التاسع: أسند الهداية هنا للقرآن في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، أي القرآن يهدي المتقين، بينما الهداية لله عز اسمه؟

الجواب: هذا من باب المجاز العقلي وهو من الإسناد للسبب، فالهادي في الحقيقة هو الله رب العالمين، والقرآن صادر من الله وهو الذي جعله سبب للهداية.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: مواكبة القرآن للعصور.

من المسلم والمشهود أن مر العصور وكر الدهور لم يقلل من طراوة القرآن، بل حقائقه ازدادت وضوحا وجلاء بتطور العلوم وانكشاف أسرار الكون، وكلما ازداد العلم تكاملا ازدادت آيات القرآن جلاء وسطوعا. وهذا بخلاف المنهج غير الإسلامي الذي بُني على الاحتمال دون اليقين، فنلاحظ كلما تطور العصر وتقدم انقرضت فقراته وأُبدلت بأُخرى، حتى أكل عليها الدهر وشرب.

الدرس الثاني: التمسك بالقرآن طريق للسعادة.

من يتخذ مضامين هذا الكتاب مخططا لشونه الداخلية والخارجية فهو سعيد قطعا؛ لأن هذا الكتاب حدد خطى الإنسان بحدود صحيحة بعيده عن المضايقة.

الدرس الثالث: الطاعة سبب للهداية الإلهية.

سلامة الفطرة والالتزام بالأحكام الشرعية يكونان سبباً لهدايته بالهداية الإلهية، كما تشير إليه الآية: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1] ومن يغير فطرته ويبدلها فماله نصيب من الهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

---

(1) محمد:٧
(2) المائدة:٥١

تفسير: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٣]

المعنى العام

اللغة: (المؤمن): المصدق آمنت بكذا أي صدقت به، ويمكن أن تكون مأخوذة من الأمان، وهو من يؤمن نفسه من الضرر.[١] **(الغيب)**: هو خفاء الشيء عن الحس قرب أو بعُد.[٢] **(يقيمون)**: يؤدون.

المعنى: يؤمنون بما غاب عن حواسهم كالبعث والحساب، ويؤدون الصلاة بحدودها وفرائضها والدوام عليها من الإقامة وليس من القيام. ومما رزقنهم من نعم مادية ومعنوية كالمال والعلم وغيرهما ينفقون.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المراد من (الإيمان) بالغيب في هذه الآية (ويؤمنون بالغيب...)؟

الجواب الأوّل: هو الإيمان بالأشياء التي لا يصل إليها الحس بشكل مباشر، كالتوحيد، والمعاد، والملائكة والرسل...الخ. كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[٣] ومنها: الإيمان بقيام الحجة (عج) وأنه حق وورد لذلك روايات كثيرة منها: عن الإمام الصادقعليه السلام **من أقر بالأئمة من آبائي**

---

(١) معاني القرآن، النحاس، ج١ ص٨٢.
(٢) راجع: تاج العروس، الزبيدي، ج٢ ص٢٩٥.
(٣) البقرة: ٢٨٥

وولدي وجحد المهدي كان كمن أقر بالأنبياء وجحد محمدا ﷺ منا اثنا عشر مهدياً مضى ستة وبقي ستة. ثم تلى قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب...الخ) هم من اقر بقيام القائم (عج) انه حق)[١] ومنها: عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال من أقر بقيام القائم (عج) وأنه حق.**[٢]. فيكون إيمان بعالم الغيب الذي يقابله عالم الإشهاد **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾**[٣].

الجواب الثاني: المراد من الإيمان بالغيب هو الأعم حتى المشهود من الأحكام كالقرآن، وإن كان مشهوداً للناس لكنه من الغيب، من حيث معارفه وعلومه، وكالصلاة، عمل حاضر لكنها غيب من حيث أنها حافتي الصراط...الخ. إذن فالغيب جميع ما أنزل الله تبارك وتعالى مشهوداً كان أو غير مشهودا[٤].

الجواب الثالث: يؤمنون غائبين عن مرآة الناس ولا يريدون تصنعاً لأحد، بل يخلصون لله وحده. قوله: **﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ﴾**[٥] عكس المنافقين الذين يؤمنون ظاهراً وتصنعاً. كقوله: **﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾**[٦].

السؤال الثاني: الواجبات من الأصول والفروع في الكتاب والسنة أكثر بكثير مما ذكر في هذه الآية، فَلِمَ خص سبحانه وتعالى ثلاثة منها بالذكر (الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة،

---

(١) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي، ج٢ ص٢٢٨.
(٢) بحار الانوار، المجلسي،٥١ ص٥٢
(٣) الحشر:٢٢
(٤) راجع تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.
(٥) يس:١١
(٦) البقرة:١٤

وإيتاء الزكاة) وأغفل الباقي؟

الجواب الأوّل: ذكر أبرز العناوين، فإن في دائرة التكاليف وغيرها أهم ومهم فإذا ذكر الأهم انطوى المهم في ضمنه. ولا ريب أن الإيمان بالغيب نقطة رئيسية في عالم التعبد. وباعتبار أن الصلاة أمر متكرر الوقوع في كل يوم وليلة وتحتوي على ألفاظ مقدسة كانت أشخص العبادات في الخارج، وأنها أول العبادات التي علمها الله نبيه ﷺ مباشرة من وراء الغيب ليلة المعراج إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدت رُد ما سواها. وأما الإنفاق فإنه من الخدمات الاجتماعية التي يقوم بها الفرد اتجاه إخوته بالله. فهذه العناوين الثلاثة من أبرز النقاط المبدئية في أُصول العقائد والفروع العملية، فذكرها يُغني عن ذكر الباقي.

الجواب الثاني: ذكرها من باب إعطاء المثال، كقول النحوي. الفعل والفاعل مثل قام زيد.

السؤال الثالث: **قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ لماذا هنا جاء بضمير الجمع، ولم يقل مما رزقتهم بضمير المفرد،مع أنّ الله واحد لا شريك له؟**

الجواب الأوّل: هذا خطاب الملوك الذي يفيد التفخيم والعظمة، وهو جل وعلا مالك الملوك وخالقهم.

الجواب الثاني: إن ما يصدر عنه سبحانه من الأفعال إنما هو بوساطة الأسماء، وللأسماء جهتان: وحدة حقيقية من حيث ألذات، و جهة كثيرة من حيث النسب والاعتبارات، فإذا اختص المقام اعتبار الجهة الأوّلى أتى بما يدل على الوحدة، وإذا اختص المقام اعتبار الجهة الثانية أتى بما يدل على الكثرة، و لما أعتبر هنا جانب المرزوقين روعيت الجهة الثانية، فإن لكل رزق استعداد خاص يناسبه.

بينما في قضايا التوحيد يأتي التعبير بالمفرد ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[١].

السؤال الرابع: لِمَ قدم الإيمان بالغيب هنا في قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ...﴾ على الصلاة والإنفاق في الآية المباركة؟

الجواب: من جهة أن الإيمان فعل القلب وعمل مجرد يحصل للنفس، أما الصلاة والإنفاق من الأفعال القالبية ومتعلقات الأبدان، فالإرادة والمحركية مقدمة على الفعل.

السؤال السادس: ما هو المراد من الصلاة هاهنا في الآية: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾؟

الجواب: الفرائض. أو الفرائض والنوافل؛ لأن اللفظ عام والمتقي يأتي بهما جميعا.

السؤال السابع: ما هو المراد من الإنفاق ها هنا في الآية: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: الزكاة المفروضة، لمقارنتها بالصلاة. أو الحقوق الواجبة العارضة في الأموال؛ لأن الله لما قرنه بالصلاة كان فرضا.

الجواب الثاني: هو عام من كل ما رُزقوا مادياً كان أو معنويا. كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام **المراد مما علمناهم يبثون**[٢].

السؤال الثامن: ما هو المعنى المقصود من الرزق هنا في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾؟

الجواب: المراد من الزرق هنا أعم من الرزق المالي فيشمل نعمة العلم والقوة والجاه ونحوها. ويؤيد ذلك: الحديث المتقدم عن الإمام الصادق عليه السلام **المراد مما علمناهم يبثون.**

السؤال التاسع: ما هو الدليل على أن هذه الآية تشمل حتى غير المخاطبين؟

---

(١) طه:١٢

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٨٩ ص٣٧٥

الجواب: مضافاً إلى أن آيات القرآن نزلت على نحو القضية الحقيقية، وأنه هدىً لكل الناس. إتيان الجمل الثلاثة في هذه الآية بصيغة المضارع يدل على التجدد والاستمرار، فلا مجال لتوهم اختصاصها بالموجودين في عهد النزول، بل هي أعم من ذلك.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الإيمان بالغيب من صفات المتقين

الغيب: كل ما كان غائباً في مقابل عالم الشهادة، الذي هو مورد إيمان كل احد؛ لكونه محسوسا ويدرك بالحواس الظاهرية. و هذا بخلاف عالم الغيب ليس هو إلا مورد إيمان المتقين والمؤمنين. لذلك عبرت الآية: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

الدرس الثاني: دلالتها على تحقيق حدود الصلاة واقعا

عبرت الآية. يقيمون الصلاة: إشعار إلى الإتيان بالصلاة على مستوى القوانين الشرعية الواردة في تعيين حدودها، **أولاً**: من ناحية ماهية الصلاة وكيفيتها وأجزائها وترتيبها، **وثانيا**: من ناحية شروطها وخصوصياتها، **ثالثا**: من ناحية موانعها وقواطعها. **ورابعا**: من النواحي الراجعة إلى أحكامها القلبية، من قبيل حضور القلب وإخلاص النية والتوجه التام.

الدرس الثالث: ربط الإنسان مع الخالق والمخلوق

ذكر الصلاة والإنفاق؛ لحصول التكامل بين جانب يربط الإنسان بالله لينطلق في الحياة من خلال الوعي، وجانب يربطه بالحياة والمجتمع، ليوحي له بأن عليه أن يعيش للعطاء، فيعطي مما رزقه الله ويشعر أن العطاء مسؤلية ووظيفة.

الدرس الرابع: الفارق بين المؤمنين والملحدين

الإيمان بالغيب هو النقطة الفاصلة بين المؤمنين بالأديان السماوية، وبين منكري الخالق والوحي والقيامة، ومن هنا المؤمنون خرقوا طوق العالم المادي واجتازوا جدرانه وأصبحوا مرتبطين بعالم أكبر لا منتها له، دون معارضيهم على جعل الإنسان مثل سائر الحيوانات محصوراً في العالم المادي. فمن هنا يسود في حياة المؤمنين الحقيقيين روح التفاهم والإخوة والتعاون. بينما تهيمن على حياة الماديين روح الاستعمار والاستغلال وسفك الدماء.

الدرس الخامس: دلالتها على كيفية الإنفاق

لفظة(من) في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ تفيد التبعيض هنا: أي ينفق من بعض أمواله، وهذه إشارة لعدم لزوم التقتير على أنفسهم. كقوله تعالى: ﴿لاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُوراً﴾[1] بل ابسطها بقدر محدود وخاص.

الدرس السادس: التكسب بالحلال

إن الله أسند الرزق لنفسه، وقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. وهذا إشارة، أن الشيء تارة يحصل بأمر من الله ومن الوجه الذي قرره لتحصيله فيصدق عليه رزق ويسند إلى الله. وتارة يحصل بأمر الشيطان ومن الوجه الذي نهى الله عنه. وأُخرى يحصل بشركة الشيطان، فالمؤمن لا يوجد في ملكه ونفسه إلا ما رزقه الله.

الدرس السابع: بيان معنى المؤمن

المؤمن من يؤمن نفسه من عذاب الله، والله المُؤمّن لأوليائه من عذابه ﴿فَمَن

([1]) الإسراء: ٢٩

يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾[١].

(١) الجن: ١٣

تفسير: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [٤]

المعنى العام

اللغة: (يوقنون): يعتقدون بلا شك، واليقين في اللغة: هو إزاحة الشك، نقيض الشك.[١]

المعنى: والذين يؤمنون بما أُنزل إليك يا محمد من الكتاب والسنة، وما أُنزل من قبلك على الأنبياء الماضين، كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وسائر كتب الله المنزلة على الأنبياء بأنّها حق، ولا يشكون بالدار الآخرة.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: من هم المعنيون في الآية من قوله: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ...﴾؟

الجواب الأوّل: عطف على أعيان المذكورين في الآية السابقة، وجيء بلفظة (والذين) اهتماما وتأكيدا، ويكون العاطف هنا كتوسيطه بين الصفات، في قولك هو الشجاع والجواد، بمعنى أنهم جامعون بين الإيمان العلمي ولوازمه، والتقوى عن محارم الله والعمل بما فرضه الله عليهم من العبادات، وبين الإيمان الكشفي

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣ ص٤٥٧.

بما لا يستقل العقل بإثباته في كيفية إنزال الوحي على الأنبياء وأحوال البعث والحشر، وأنهم الجامعون بين المعقول والمسموع من الإيمان بالله واليوم الآخر مع العمل الصالح. فيكون المعنى إنّهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه.

الجواب الثاني: يحتمل أن يراد بهم طائفة أُخرى، وهم أهل الكتاب، كعبد لله بن سلام وأمثاله من الذين آمنوا بالله لا عن شرك فاشتمل إيمانهم على كل وحي أُنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيمانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات. فتحصل هنا أنهم قسم آخر من المتقين وأعيد لفظ الذين لتحقيق التمايز بين القسمين.

السؤال الثاني: ذكر في الآية السابقة ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾، وهي عامة وشاملة لكل الموارد. فما أُنزل على الرسول' وما أُنزل على الذي من قبله غيب ومنطوي تحت الآية السابقة، أفلا يلزم التكرار في هذه الآية: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ... الخ﴾؟

الجواب الأوّل: ذكر مؤمني أهل الكتاب في العلم واليقين لا ينافي هذا التخصيص بالذكر، بل هو مزيد تشريف لهم، كما في ذكر جبرائيل وميكائيل بعد الملائكة، وترغيب أمثالهم في الدين. فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام.

الجواب الثاني: الإيمان بالغيب لازم أولاً حتى يتمكن الإنسان من الإيمان بما أُنزل إليه وما أُنزل من قبله؛ لأن ما هو النازل على الأنبياء كله من الغيب وشاهد على الغيب وناطق بالغيب فمن هنا يظهر وجه تقديم الغيب عن الإيمان بما أُنزل إليه؛ لأنه بمنزلة السبب والعلة والأساس.

الجواب الثالث: اختصاص تلك الآية بالحجة عجل الله فرجه الشريف. أي يؤمنون بالغيب،

يؤمنون بالغائب وقيام الحجة (عج)، وهذه الآية يؤمنون بما جاء به الأنبياء، وهو بعضه غيب فلا يلزم التكرار.

الجواب الرابع: الآية السابقة بصدد مدح الإيمان بالغيب، وهذه الآية في مقام تعيين ما هو المراد من الغيب، وهو ما جاء به النبي صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وما جاء به الأنبياء عَلَيْهِمُالسَّلَامُ من قبله. فلا تكرار في المقام.

الجواب الخامس: الآية بصدد ذكر أوصاف المتقين فالكل عام، الذين يؤمنون بالغيب عام، وما أُنزل إليك عام، وهذا باختلاف المؤمن به، فيكون هذا القسم أرقى من القسم الأوّل؛ لأن أوصافه تقتضي الأوصاف التي أُجريت مع زيادة فهذه الصفة الرابعة من صفات المتقين وهي صفه الإيمان بالوحي المنزل على الأنبياء لينسجموا في إيمانهم مع كل مفهوم من مفاهيم الإسلام سواء كان غائباً أم مشهوداً.

السؤال الثالث: الآية جاءت بلفظ الماضي في قوله: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾، فلا تشمل الإيمان بما يترقب النزول في المستقبل أو الحاضر؟

الجواب الأوّل: إن القرآن شيء واحد في الحكم، ولأن المؤمن ببعضه مؤمن بكله.

الجواب الثاني: هذا من باب التغليب للموجود على ما لم يوجد، والتنزيل للمنتظر المتوقع وقوعه منزل منزلة الواقع، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى**﴾[1] إذا الجن لم يسمعوا جميع القرآن، ولم يكن الكتاب مُنزلاً حينئذ كله.

الجواب الثالث: بما أن الآية في مقام المدح لا تكون قضية خارجية، ولا هي دالة على أمر خارجي، بل هي قضية صادقة بالنسبة إلى التلبسات في الزمان الآتي

---

(1) الاحقاف: ٣٠

بعد التلبس به، وبعد حصول ذلك الزمان، فيكون المراد بها على نحو القضية الحقيقية. فإذا أُنزلت سورة بعد هذه السورة فلا شبهة أنه يصدق عليها أنها نزلت عليه، وتكون داخلة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

الجواب الرابع: إن الأشياء المتجددة في مواطن الدنيا المتعاقبة في أزمنة كثيرة منها، إنّما هي مجتمعة ثابتة في المواطن العالية في زمان واحد دفعة واحده كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.[1]

السؤال الرابع: ما هو الوجه في ذكر تقديم نزول القرآن على الكتب السابقة في هذه الآية، مع أن نزولها(الكتب السابقة) متقدما على نزوله خارجا؟ وما هو المراد من الإيمان بالكتب السالفة؟

الجواب الأوّل: كون الإيمان بتلك الكتب النازلة فرع الإيمان بالقرآن، وأن الإيمان بهذا المنزل يلازم الإيمان بما أُنزل من قبله. ولأجل ذلك لم يكرر حرف الجار، بل قال يؤمنون ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾.

بتعبير آخر: قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ تفصيل لقوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ لأن الإيمان بما انزل إليه ﷺ مشتمل إجمالا للإيمان بما أُنزل على من قبله من الأنبياء والمرسلين، والشريعة الإسلامية تحتوي على أصول جميع الشرائع السماوية من أصول الدين، وأُمور استكمالية أُخرى، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[2].

الجواب الثاني: يؤمنون بما أُنزل إليك إيمانا يلازم الإيمان بما أُنزل من قبلك عليك من الكتب السماوية، فأن الإنسان الكامل هي الصورة الأخيرة الإنسانية،

---

(1) الحج: ٤٧

(2) البقرة: ٢٨٥

فيكون جميع ما أُنزل من قبله ـ صلى الله عليه وآله ـ نازلاً عليه في السر، ولأجل ذلك لم يكرر الجار. ولا يفيد أن ما أُنزل من قبلك نازلا على غيرك من الرسل، فيكون في الآية إشعار جدا إلى وحدة الإيمان بما انزل إليك وما انزل من قبلك فأن القرآن هو الكتاب الأخير الجامع لكمالات سائر الكتب وللصور التي بها تكون الكتب السماوية كتابا إلهيا.

السؤال الخامس: كيف نفهم من الآية: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وجوب الإيمان بالسنة؟

الجواب: السنة أيضا نازلة على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بدليل قوله تعالى: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾**[1].

السؤال السادس: كيف يمكن الأيمان بجميع الكتب، مع تنافي أحكامها، من حيث بعض الأحكام كانت جائزة في بعض الكتب السابقة محرمة في غيرها؟

الجواب: هو أن يؤمن بأن جميعها نزل من عند الله، مع غض النظر عن منسوخها، أو تغيير حكمها.أو يؤمن بما لم ينسخ منها من الأحكام والتي تشترك به جميع الشرائع.

السؤال السابع: ما هو المراد بالآخرة هاهنا في قوله: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؟ هل هي القيامة أو تشمل البرزخ أيضا؟

الجواب: إنّها الدار التي فيها جزاء الأعمال. وهي أعم من البرزخ والقيامة. أي في مقابل الأوّلى.

([1]) النجم:٣-٥.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: دلالتها على العظمة الإلهية

في تعبير الآية بالإنزال دلالة على عظمة المولى وعلوه، و المراد به الإنزال المعنوي تحريكه بالحركة المعنوية إلى مظاهره السفلية بعد ظهوره في المظاهر العلوية.

الدرس الثاني: شمولها خلافة الإمام علي عليه السلام

من جملة ما أُنزل على النبي صلى الله عليه وآله وعلى الأنبياء عليهم السلام من قبله، بل العمدة والأصل هي خلافة الإمام علي عليه السلام، **جاء رجل إلي الإمام السجاد عليه السلام قال: ما تقول في رجل يؤمن بما أنزل على محمد وما أُنزل على من قبله ويؤمن بالآخرة ويصلي ويزكي ويصل الرحم ويعمل الصالحات، لكنه يقول مع ذلك لا أدري الحق لعلي أم لفلان؟ قال الإمام: ما تقول أنت في رجل يفعل الخيرات كلها إلا انه يقول: لا ادري النبي محمد أم مسيلمة؟ هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟ فقال: لا قال: فكذلك صاحبك هذا**(١).

الدرس الثالث: تعريض بأهل الكتاب

قوله تعالى: ﴿**وبالآخرة هم يؤمنون**﴾ هنا قدم الظرف والضمير العائد؛ تعريض بغيرهم من أهل الكتاب إن ما هم عليه من أمر الآخرة غير مطابق ولا عن إيقان. وكذلك إشعار أن الإيمان بالآخرة والإذعان بها لا يحصل إلا لجملة خاصة من المؤمنين.

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٥ ص٢٨٥

الدرس الرابع: إبطال قول اليهود

إن المسلم لا يعتقد بالكتب السماوية السابقة، إلا لأجل تصديق القرآن. فلا يقين بالأحكام السابقة مع الشك في نزوله، ومع اليقين بنزوله لا يقين بحجية ما سبق وشك فيما لحق كي يجري الاستصحاب. فلا مجال للمتمسكين من اليهود أنهم كانوا على يقين لأنهم يعتقدون بما يعتقدون المسلمين ويشكون فيما يدعيه المسلم.

الدرس الخامس: الإسلام مكمل للأديان

يُفهم من الآية: أن الإنسان المسلم لا يعيش أي عقدة نفسيه إزاء الرسالات الأُخرى كالنصرانية و اليهودية، ولا يرفض مقدساتها الأصلية على أنها مقدسات، بل الإنسان المؤمن هو الذي يؤمن بالأديان الأُخرى ومقدساتها، لكن ضمن إطارها الزمني الخاص الذي أراده الله للرسالات أن تعيش فيه؛ لأن الإسلام يعتبر نفسه امتدادا للأديان الأُخرى مكملاً لها، كما كان في كل دين مكملاً للدين الذي سبقه. عن الرسول ﷺ **إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**[1].

الدرس السادس: جامعية الإسلام لخصائص الأديان

نفهم من الآية أيضا أن الإسلام يجمع الخصائص الأساسية في اليهودية

والنصرانية وفي رسالة إبراهيم والرسل من قبله، و يحوي بالإضافة إلى ذلك خصائص جديدة اقتضتها طبيعة الحاجات التي استحدثتها الحياة.

الدرس السابع: دلالتها على خلق القرآن

تدل على أن الكلام (أي القرآن) مخلوق؛ لأن المنزل لابد وأن يكون حادثاً

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي: ج١٦ ص٢١٠

وممكناً ولا يكون قديماً. خلاقاً للأشاعرة ومن اتبعهم، والمتكلم: هو الخالق فيخلق الكلام بإرادته ومشيئته.

الدرس الثامن: القرآن ناسخ لما قبله

تدل الآية على أن إيمان أهل الكتاب بموسى وعيسى عليهما السلام وكتبهما لا أثر له ما لم يؤمنوا بالقرآن، وما أُنزل على خاتم النبيين؛ لأنه من غير المعقول للإنسان أن يدع الإيمان بما هو الكامل الأبدي ويلتزم بما كان كاملا في وقته وزمانه.

تفسير: ﴿أولئك عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥]

المعنى العام

اللغة: (الفلاح): النجاح والفوز، وأصل الفلح القطع، ومنه قيل الفلاح للأكار الحرّاث؛ لأنه يشق الأرض، على هذا كأنه قطع له بالخير.(١)

المعنى: هو إن هؤلاء الموصفين بهذه الصفات المتقدمة على بيان وصواب من ربهم وعلم بما أمرهم به وهم الناجحون مما منه يوجلون والفائزون بما يؤملون.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو الداعي في استعمال اسم الإشارة (أُولئك) للبعيد في هذه الآية: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى...﴾، ولم يقل هؤلاء على هدى من ربهم...؟

الجواب الأوّل: إشارة لعظمتهم وبعد مرتبتهم وعلو درجتهم.

الجواب الثاني: لإحضار المسند إليه بأوصافه المذكورة؛ ليكون كالعلة للحكم(٢).

السؤال الثاني: ما هي النكتة والفائدة في تكرار اسم الإشارة (أُولئك) في هذه الآية الكريمة؟

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٢ ص٥٤٧-٥٤٨.

(٢) راجع: تفسير بيان السعادة للآية، سلطان علي شاه.

الجواب الأوّل: للتنبيه على كل واحد من المسندين على إنفراده يكفي في إثبات الفضيلة للمسند إليهم، بخلاف ما لو اقتصر على واحد منها، فإنه يمكن أن يتوهم حينئذ أن الفضيلة في الجمع بينهما لا في كل واحد.

الجواب الثاني: إن الإشارتين تبين نوعي المؤمنين المذكورين في الآية السابقة بأسلوب اللف والنشر المرتب، فالإشارة الأوّلى للفرقة الأوّلى وهم الذين ينتظرون الحق و البيان من الله تعالى ليأخذوا به، والإشارة الثانية للفرقة الثانية؛ لأنهم المفلحون بالفعل؛ لاتصافهم بالإيمان وبالقرآن و بما تقدم من الكتب السماوية.

الجواب الثالث: يفيد اختصاص هؤلاء وتميزهم عن غيرهم بكل واحد من المرتين. أو قل: تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح أيضا.

السؤال الثالث: ما هو السر في إضافة الهداية إلى الله عز وجل في هذه الآية الكريمة (على هدىً من ربهم)؟

الجواب الأوّل: لأن كل خير وهدى من الله، ولا يثبت لغيره البتة، إلا على نحو المجاز. أو لما فعل لهم من الدلالة على الهدى والإيضاح له والدعاء إليه، ولأنه يثيب عليه.

الجواب الثاني: إن المتقين قبل كشف حجب المظاهر عن نظر شهودهم، كانوا يشاهدون الهدى عن مظاهر الاسم الذي كان ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ واحد منها، فلذلك أُضيف الهدى أوّلا إلى الكتاب في الآية الثانية من السورة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ

لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١] فلما تمكنوا من التقوى وتحققوا بالصفات الجارية عليهم، كشف عنهم حجب المظاهر، وشاهدوا فيها الظاهر، فاسند الهدى إليه في هذه الآية حسب ما اقتضاء المقام[٢].

السؤال الرابع: ما هي الفائدة من ذكر الضمير (هم) في الآية: ﴿وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؟ ولم يقل: (وأُولئك المفلحون) بدون ذكره؟

الجواب الأول: له فائدتان. **أوّلاً:** يدل على أن الوارد بعده(أي المفلحون) خبر لا صفة. **وثانياً:** حصر الخبر في المبتدأ، فانك لو قلت الإنسان ضاحك فهذا لا يُفيد أن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان، أما لو قلت: الإنسان هو الضاحك فهذا يُفيد أن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان.[٣]

الجواب الثاني: جيء به لتقوية إسناد الفلاح إليهم، ولحصر الفلاح بهم.

السؤال الخامس: ما هو السبب في مجيء لفظة (الهدى) نكرة في الآية: (على هدى من ربهم)؟

الجواب: جاءت لفظه(هدىً) نكرة لكمال تفخيمه، كأنه قيل على هدى أي هدى لا يبلغ كنهه، كما تقول لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلا.

السؤال السادس: ما هي الفائدة في إدخال العطف في قوله: ﴿وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؟

الجواب: أُدخل العاطف في قوله: **﴿وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** لاختلاف الجملتين مفهوما، من حيث اتصافهم بالهدى غير اتصافهم بالفلاح. بخلاف قوله

---

(١) البقرة: ٢

(٢) راجع: تفسير كنز الدقائق للآية، محمد بن رضا القمي.

(٣) راجع: التفسير الكبير للآية، الفخر الرازي.

تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(١) هنا الثانية مقررة للأولى، فلا يحسن العطف.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الهداية بمثابة السفينة الموصلة للسعادة

حرف الجر في قوله: ﴿عَلَى هُدًى﴾ للاستعلاء، وذلك إشارة إلى تشبيه تمسكهم بالهدي وثباتهم عليه باعتلاء الراكب مركبه فإن الهداية الإلهية مثل سفينة يركبها هؤلاء المتقون لتوصلهم إلى السعادة والفلاح.

الدرس الثاني: التقوى طريق للهداية الإلهية

الآية تدل على النتيجة التي يتلقاها المؤمنون ذو الصفات المذكورة. فالمولى ضمن لهؤلاء هدايتهم وفلاحهم، فالاتقاء استعداد لنيل الهداية من الله عز اسمه.

الدرس الثالث: علي عليه السلام وحزبه المفلحون

عن سلمان قال: ما كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله قط فطلع علي عليه السلام إلا ضرب النبي صلى الله عليه وآله بين كتفي ثم قال: **يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون.**(٢)

الدرس الرابع: مدح للعارفين والسالكين

في إسناد الهداية إليه كما في الآية: ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فيه مدح لطائفة خاصة من العرفاء والمحققين، وهم الذين أيقنوا بالآخرة بمعناها الحق والرؤية

(١) الاعراف: ١٧٩

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٤ ص٢١٣

الحقّة، ليس مجرد إيمان ظاهري بل إيمان عن الرؤية.

تفسير:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [٦]

المعنى العام

اللغة: (الكفر): ستر وتغطية النعم، ولذا سمي الزارع كافر؛ لأنه يغطي النعم في الأرض.قال الشاعر. **في ليلة كفر النجوم غمامها**. أي غطّاها.[١] **سواء**: معتدل مأخوذ من التساوي.[٢] **(الإنذار)**: إعلام معه تخويف.[٣]

المعنى: الآية بصدد إخبار النبي صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إنه يوجد طائفة من الناس لا يفيد معهم الترهيب والترغيب، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المقصود من الكافر في لسان الشارع؟

الجواب: هو كل من جحد ما اوجب الله معرفته، من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من أركان الشرع، فمن جحد شيئا من ذلك فهو كافر.

السؤال الثاني: إن كان المقصود في الآية جميع الكافرين يلزم من ذلك نقض الغرض،

---

(١) مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر، ص٢٩٤. تفسير التبيان للآية،الشيخ الطوسي.
(٢) راجع لسان العرب، ابن منظور، ج١١ ص٤٢٣.
(٣) الفروق اللغوية، أبو اهلال العسكري،ص٧٨.

حيث أن غاية القرآن هدى لجميع الناس، مع أن كثير من الكافرين في عصر الرسالة وما بعدها أسلموا وآمنوا؟

الجواب الأوّل: نزلت في طائفة معينة، قيل في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، وقيل رهط بأعيانهم من أحبار اليهود.

الجواب الثاني: تشمل كل المعاندين والمنكرين الذين علم الله بشقائهم وعدم إيمانهم، وهو إخبار على نحو القضية الحقيقية سواء في عصر الرسالة أم العصور المتأخرة، حيث أن القرآن لا يخمد بخمود عصر النزول وبمضي زمان الوحي.

بتعبير آخر: هي عامة ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمت العذاب وسبق في علم الله أنه يموت على كفره.

السؤال الثالث: ألا يلزم من ذلك إجبارهم على الكفر وعدم قدرتهم على الإيمان فيكون تكليفهم تكيف بما لا يطاق؟

الجواب: الآية بصدد الأخبار بأنهم لا يؤمنون بمقتضي علم المولي بهم، وليس بصدد نفي قدرتهم على الإيمان. فلا يكون تكليفهم تكليف بما لا يطاق.

السؤال الرابع: لما علم الله أنهم (الذين كفروا) لا يُؤمنون فَلِمَ أمر نبيه بدعائهم إلى الإسلام؟

الجواب: قوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.[1] فيكون إتمام الحجة عليهم ولم تكن لهم معذّرية يوم القيامة بأنهم لا يعلمون ولم

---

(1) النساء: ١٦٥

يصلهم الإبلاغ.

السؤال الخامس: إن لفظ (سواء) مفرد، فكيف أخبر به عن اثنين، على القول بأنه خبر مقدم؟

الجواب: إن أصل هذا اللفظ الذي هو (سواء) مصدر والمصدر يخبر به عن الواحد والاثنين والجمع.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: انحطاط طائفة من الناس

في الآية إشعار وإعلان أن من الناس يصل إلى حالة من الانحطاط بحيث لا يؤثر فيه الإرشاد والنذير والعظة.

الدرس الثاني: التباين بين المؤمنين ولكافرين

لم يفصل بعاطف بين هذه الآية وبين الآية التي قبلها لتباين المؤمنين والكافرين، بخلاف آية المنافقين التي بعدها فإنه فصل بعاطف لكمال المناسبة بينهما.

الدرس الثالث: الإنذار تخويف مع سعة الزمان

قوله تعالى: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ هو إبلاغ وإعلام ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز منه، فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعار ولم يكن إنذار قال الشاعر:

أنذرت عمرا وهو في مهل   قبل الصباح فقد عصى عمرو[1].

---

(1) تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.

تفسير: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ [٧]

المعنى العام

اللغة: (الختم): الطبع طبع عليه أي ختم عليه[1] **(الغشاوة)**: الغطاء، غاشية السيف والرحل غطاؤه[2].

المعنى: شهد الله على قلوبهم وعلى سمعهم بأنها لا تقبل الحق ولا تسمعه (ومنه قولهم للمخاطب اختم على كل ما يقوله فلان: أي اشهد على قوله)، وجعل على أبصارهم غطاء وستر فلا يبصرون الهدى.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: يفهم من ظاهر الآية المباركة عدم قدرتهم على الإيمان، حيث أن الله ختم على حواسهم الأساسية التي من خلالها يكتسب الإيمان؟

الجواب الأوّل: المراد بالختم والغشاوة ليس شيء يصد بهما عن الإيمان، بل المراد بالختم شهادة عليها بأنها لا تقبل الحق ولا تعي الذكر ولا تصغي إليه، والعلم والشهادة لا يكون مانع عن اكتساب الإيمان، وإنما إخبار بما يعلمه الله عنهم.

---

(١) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص٢٣٢.

(٢) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج٤ ص٤٢٩

الجواب الثاني: إنها جاءت في قوم مخصوصين من الكفار فعل الله بهم هذا الختم والطبع، في الدنيا عقاباً لهم في العاجل كما عجل لكثير من الكفار عقوبات في الدنيا كقوله في طائفة منهم ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾(١)

الجواب الثالث: إن هذا الختم وهذا الحجاب نتيجة إصرار هؤلاء ولجاجتهم وتعنتهم أمام الحق، كقوله تعالى في آية أُخرى ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**﴾(٢) وقوله ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾(٣) فتحصل إن الختم والطبع حاصل من عملهم وفعلهم وليس من الله عز وجل.

السؤال الثاني: لماذا خص الله هذه الأعضاء بالذكر (القلب، والسمع، والبصر) في الآية دون غيرها من الأعضاء؟

الجواب: لأنها أي هذه الثلاثة من الأعضاء طرق العلم، فالقلب محل العلم وإمام الجوارح، وطريقه إما السماع من قبيل سمعهم الوعظ والإرشاد وغيرهما، أو الرؤية في آيات الله وحكمته وكثرة نعمه التي لا تحصى.

السؤال الثالث: لماذا وحد السمع ولم يجمعها كما في أبصارهم وقلوبهم، حيث قال وسمعهم ولم يقل وأسماعهم؟

الجواب الأوّل: لأن السمع مصدر في أصله، والمصادر لا تجمع، ولذا في لفظ الأُذن قد جمعها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**﴾(٤)

---

(١) البقرة:٦٥
(٢) النساء: ١٥٥
(٣) غافر: ٣٥
(٤) فصلت: ٥

الجواب الثاني: هو تقدير لمضاف محذوف. والتقدير وعلى حواس سمعهم.

الجواب الثالث: إن الادراكات القلبية والمشاهدات العينية تزيد بكثير على المسموعات، كما تصرح به الفيزياء الحديثة وتقول: إن الأمواج الصوتية المسموعة معدودة لا تتجاوز عشرات الآلاف، بينما أمواج النور والألوان المرئية تزيد على الملايين فحق لها الجمع دون السمع.

السؤال الرابع: لِمَ أسند الختم إلى الله تعالى في قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾؟

الجواب: لأن النسبة هنا نسبة المقدور والمقضي إلى القدر والقضاء، لا نسبة المعلول إلى علته، فالله يقضي ذلك عليه على حسب اختيارهم وإرادتهم، فيكون المقام نضير قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ**﴾[1].

وبتعبير آخر: إن في الأُمور التكوينية الجارية على مجاريها الطبيعية لها إضافتان، إضافة إلى فاعلها المباشري فتنسب إليه أولاً وبالذات، وإضافة إلى خالقها بواسطة الفاعل المباشري فتنسب إليه تعالى، كما في قوله: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**﴾[2].

السؤال الخامس: هل أن الأسماع داخل في حكم الختم (أي أن الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم)، أو داخل في حكم الغشاوة بمعنى أنّ الله جعل غشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم؟

الجواب: اللفظ يحتمل أن يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم

---

(1) الأنفال: ٢٣

(2) النساء: ١٥٥

الغشاوة إلا أن الأوّلى دخولها في حكم الختم. وذلك لقوله تعالى في آية أُخرى ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾[1].

السؤال السادس: ما هو المراد من الختم على الحواس، هل يشمل الحواس المادية أو يختص بالحواس المعنوية؟

الجواب: الختم على القلب وعلى سائر المدارك إنما يكون بالنسبة إلى المعارف الإلهية، وذلك لا ينافي بقاء إدراكها بالنسبة إلى الجهات المادية الدنيوية؛ لتغاير عالم الغيب وعالم الشهادة وعدم ارتباط أحدهم بالآخر، ولذا نلاحظ كم من نابغة في الدنيا ليس له حظ في الآخرة، حيث أنّ حواسه التي في عالم الدنيا والشهادة تعمل، أمّا حواس الآخرة والغيب فقد عطلت وختم عليها.

السؤال السابع: ما هي الفائدة في تكرار حرف الجر (على) في قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾؟

الجواب: لاستقلال كل منها بالحكم وهما القلب والسمع، فكأنما قال: ختم الله على قلوبهم، وختم الله على سمعهم، ولما أُعيدت للأسماع كان أدل على شدة الختم في الموضعين.

---

(1) الجاثية: ٢٣

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: أفضلية السمع على البصر

تقدم السمع هنا على البصر دليل على أفضليته على البصر، فلذا ما بعث نبي أصم وقد كان فيهم مبتلي بالعمى، وكذلك حاسة السمع تعمل قبل حاسة البصر في أول مجي الجنين إلى عالم الدنيا، فلذا يستحب الآذان في إذنه اليمني والإقامة في اليسرى.

الدرس الثاني: تعطيل المعاند عقله

تُشير الآية إلى فئة لم تفتح قلوبها للإسلام لتفكر فيه ولتتبعه على قناعة، وإنما وقفت موقف المعاند الذي يصر على موقفه ولا يسمح لنفسه أو للآخرين بأي تجربه فكرية أو عملية.

الدرس الثالث: عظمة عذاب الكافرين

العظيم ضد الحقير ويراد به (بالعذاب العظيم) العظمة من كل جهة، كماً وكيفاً وزماناً ومكاناً، ويشمل عذاب الدنيا والآخرة.

الدرس الرابع: القلب محل للمعرفة

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يدل على أن محل العلم هو القلب.كما يدل عليه قوله تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾[1].

---

(1) الشعراء: ١٩٣-١٩٤

الدرس الخامس: للعبد أربع أعين

عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: في حديث طويل يقول فيه: ألا إن للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه[1].

(1) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٤٠

تفسير: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٨]

المعنى العام

المعنى: الآية تشير إلى أن هناك طائفة من الناس توجد في كل عصر ومصر يظهرون الإيمان ويستبطنون الكفر، وما يريدون به إلا الفتك بالمؤمنين وكشف أسرارهم.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: خص الله عز وجل في هذه الآية الإيمان بالله واليوم الآخر، ولم يذكر الإيمان بالأنبياء والرسالة؟

الجواب الأوّل: لأنّ الإيمان بالمبدأ والمعاد يستلزم الإيمان بالأنبياء والرسالة كذلك.

الجواب الثاني: من باب ذكر الفرد الأعظم والأكمل والأتم، وهو العلم بأحوال المبدأ والعلم بأسرار المعاد، فحاز الإيمان من جانبيه وأحاطه بكلا قطريه.

السؤال الثاني: إنّ هذه الآية نزلت لتوضيح حال المنافقين، وكان أكثرهم من اليهود وهم قائلون بالمبدأ والمعاد، أي بالله واليوم الآخر، فلا معنى لنفي إيمانهم في قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾؟

بتعبير آخر: ما كذبوا عندما قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر حسب اعتقادهم؛ لأنهم يؤمنون بالله وبالمعاد بحسب ديانتهم اليهودية، فكيف صح درجهم في زمرة المنافقين؟

الجواب الأوّل: لو سلمنا أنهم آمنوا بالله و اليوم الآخر لكن هذا بحسب الصور الظاهرية لا بحسب الحقيقة؛ لأن الإيمان بالله من ضرورياته التوحيد وعدم الشرك فهم قد أشركوا بالله وجحدوا نعمه التي من أهمها بعثة النبي الخاتم.

الجواب الثاني: المراد من آمنا بالله واليوم الآخر قسم: أي أظهروا إيمانهم مقسمين بالله واليوم الآخر، فتكون جملة بالله واليوم الآخر حلفاً على إيمانهم، وحيث يكون متعلق الإيمان محذوفاً فيعلم منه المراد هو الإيمان بالرسالة، فهم يقسمون بالله وبالمعاد أنهم مؤمنون بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وبالرسالة.

السؤال الثالث: قوله تعالى في ذيل الآية ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هذه تفيد الحال والفعلية أنهم ليس بمؤمنين فلا يلزم كذبهم في ذلك الزمان؛ لأنه يمكن أن يقال إنهم آمنوا حين دخلوا الإسلام، ثم الآن ارتدوا عن الإيمان، نعم لو قالت الآية وما كانوا يؤمنون لما توجه السؤال، فعلى هذا لا يمكن نفي إيمانهم؟

الجواب: إنّ الآية ناظرة إلى حال قول المنافقين في ذلك الزمان الماضي بقرينة صدر الآية الذي يتكفل حال المنافقين في الماضي، فيكون الجري بلحاظ الزمان، فالمراد من نفي الإيمان هنا تكذيباً لقولهم السابق.

السؤال الرابع: لماذا أُرجع الضمير على واحد في قوله: ﴿مَن يَقُولُ﴾، ولم يقل: ومن الناس من يقولون، بينما في ذيل الآية ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ جمع؟

الجواب الأوّل: إفراد الضمير أولا في ﴿مَن يَقُولُ﴾ بالنظر إلى اللفظ، وجمعه بالنظر إلى المعنى، لأنهم في قولهم آمنا بمنزلة شخص واحد؛ لاتفاقهم عليه من

غير اختلاف، وأما إتيانهم بما ينافي الإيمان فالتعدد فيه ممكن، بل واقع فلذلك لوحظ فيه جهة كثرتهم بإيراد ضمير الجماعة.

الجواب الثاني: (من) لفظ يخبر به عن الواحد من العقلاء واثنين وجماعة. فلما قال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ دل على انه أراد الجمع.

السؤال الخامس: الأصل يقتضي أن يقول: وما آمنوا، بدل ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ ليطابق قولهم وهو(آمنا)، لكنه قدم المسند إليه (هم) وجعل المسند صفة، فصارت الجملة اسمية غير دالة على ذات الزمان؟

الجواب: لأن في ذلك سلوكا لطريق الكناية في رد دعواهم الكاذبة، فإن انخراطهم في سلك المؤمنين وكونهم طائفة من طوائفهم من لوازم ثبوت الإيمان الحقيقي لهم، وانتفاء اللازم دل على انتفاء الملزوم، ففيه من التأكيد والمبالغة ما ليس في نفي الملزوم ابتداء، وأيضا فيه مبالغة في نفي اللازم بالدلالة على دوامه المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقا.

السؤال السادس: ما هو الدليل على أنّ هذه الآية ناظرة إلى حال المنافقين، بل المستظهر منها ناظرة إلى الذين يظهرون الإيمان مجرد لقلقة لسان من غير عقد قلبي. فتكون هذه الآية الكريمة بمثابة قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1].

الجواب: هو الرجوع إلى الآيات التي بعد هذه الآية تبين أن هذه الآية تصدت لبيان حال المنافقين الذين لا يكون الإيمان والإسلام في نفوسهم، بل كان ذلك لإضلال المؤمنين والتعمية على المسلمين.

---

(1) الحجرات: ١٤

السؤال السابع: من هم المقصودون من الناس هنا في الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾؟

الجواب: المنافقون من اليهود والأوس والخزرج ومن كان على أمرهم إلى يوم الدين. عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **إن الحكم ابن عتيبة، وسلمة، وكثير النوى، وأبا المقداد، والتمار (يعني سالما) أضلوا كثيرا ممن ضل من هؤلاء وإنهم ممن قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾**.[1]

السؤال الثامن: ما هي الفائدة في تكرار الباء هنا في قوله: ﴿بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾؟

الجواب: لإدعاء إيمانهم بكل واحد على الأصالة. وفيه تقوية لأذهان المؤمنين لغرض إنسلاكهم في زمرتهم وانحرافهم في خريطة الإسلام، حيث الإيمان بالآخرة كان مورد اهتمام القرآن.

(١) معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ج٩ ص٣١

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: إبطال من يقول الإيمان مجرد قول

هذه الآية تدل على فساد قول من يقول: إنّ الإيمان مجرد قول، بل محله في القلب، إنما هو ينعكس على الجوارح والجوانح، فلذلك نفت عنهم الإيمان حقيقة بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ لكونهم اتخذوا الإيمان مجرد لقلقة في اللسان، أو من دون عمل.

الدرس الثاني: تحذير من الجواسيس

الآية تلفت النظر إلى أن هناك أناس يدخلون في سلك المؤمنين للتجسس والفتك و أغراض أُخرى، فينبغي الحذر منهم والابتعاد عنهم.

الدرس الثالث: التقاء طبيعة الكافرين مع المنافقين

قصة المنافقين هنا معطوفة على قصة الذين كفروا، وليس ذلك من باب عطف جملة على جملة ليطلب مناسبة الثانية مع السابقة، بل من باب ضم جملة مسوقة لغرض إلى أُخرى مسوقة لآخر، وشرطه المناسبة بين الغرضين، فكلما كانت المناسبة أشد كان العطف بينهما أشد وأحسن.

تفسير: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [٩]

المعنى العام

اللغة: **(الخدع)**: هو الإخفاء والإبهام هو إظهار خلاف ما تخفيه.[1] **(النفس)**: مأخوذة من النفاسة لأنها أجل ما في الإنسان.[2] **(الشعر)**: الإحساس بالشيء من جهة تدق، ومن هذا اشتقاق الشعر؛ لأن الشاعر يفطن لما يدق من المعنى والوزن.[3]

المعنى: أخبرت الآية عن هذه الطائفة (المنافقين) إنها تعامل الله معاملة المخادع وتفعل الخداع مع الرسول والمؤمنين بابدائهم لهم خلاف ما في داخلهم، وما يضرون في تلك الخديعة إلا أنفسهم من غير أن يشعرون ويحسون، فهم لفرط غفلتهم كفاقد الحس.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل:كيف يفرض الخداع بساحة المولى عز وجل وهو العالم الذي لا يخفى

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج١١ ص٨٤
(٢) تاج العروس، الزبيدي، ج٩ ص١٨.
(٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص٩٩.

عليه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[١]؟

الجواب الأوّل: يعملون عمل المخادع الذي يريد أن يصل إلى غرضه بطريقة خفية لا يشعر بها المخدوع، وهذا بحسب اعتقادهم. وهذا يعبر عن نقص عقولهم وسوء فهمهم الذي بلغ بهم حداً تصوروا معه أنهم قادرون على أن يخفوا على الله شيء من أعمالهم.

الجواب الثاني: المراد بالخداع هنا للنبي ﷺ؛ لأن معصية النبي هي معصية الله وطاعته طاعة الله، فنسب المولى المخادعة إلى نفسه إبتداء إشارة إلى أن الذي يخادع النبي والمؤمنين إنّما يخادع الله، كما في كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[٢] أو قول النبي ﷺ **من رآني فقد رأى الله**[٣].

الجواب الثالث: قال أهل اللغة: أصل المخدع في كلام العرب الفساد، فيكون قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر كما أفسد الله عليهم نعيمهم بالدنيا بما صاروا إليه من غذاب الآخرة[٤].

السؤال الثاني: لما كان الله قادرًا على أن يوحي إلى نبيه ' جميع ما قصدوه فَلِمَ لم يفعل ذلك، لكي يهتك أسرارهم ويكشف نواياهم؟

الجواب الأوّل: إن المولى أطلع رسوله على ذلك، لكن أمره أن يعامل الناس على الظاهر.

الجواب الثاني: إن في إبقاء المنافقين على حالهم حكمة، فإن الحياة محل

---

(١) غافر: ١٩

(٢) الفتح: ١٠

(٣) شرح الاسماء الحسنى، ملا هادي السبزواري، ج١ ص١٢٢

(٤) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص٦٢٦

للاختبار و الامتحان وإلا السؤال: إنّ الله قادر على أن يستأصل إبليس وذريته أجمعين ولكنه أبقاهم وقواهم وأجراهم مجرى الدم في عروق الآدميين؛ لأن في ذلك من الحكمة والمصلحة ما لم يعرفه إلا الله ومن اهتدى بنوره.

السؤال الثالث: كيف يكون المنافق مخادع لله ولرسوله وللمؤمنين وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما في قلبه إلا تقية لأجل النجاة؟

الجواب: العرب تسمي كل من أظهر بلسانه بما يخالف قلبه مخادعاً فيشمل المنافق. مع أنهم يريدون الفتك بالمسلمين وكشف أسرارهم.

السؤال الرابع: المخادعة من باب المفاعلة والمشاركة، فيكون المنافقون يخادعون الله، والله هو خادعهم، مع أن الخدعة من الأوصاف المذمومة فكيف تصدر منه جل شانه؟

الجواب الأوّل: يمكن أن تكون الخدعة التي هي جواباً عن الخدعة ليست مذمومة، ولو كان الله يخادعهم فهو لما خادعوا الله تعالى.

الجواب الثاني: إن خداع الله تعالى معناه إظهار ما في قلوبهم من الكيد والمكر مع عدم اطلاعهم على اطلاع المؤمنين على سوء حالهم، فعندئذ يصح أن يقال: إن الله خادعهم.

السؤال الخامس: يفهم وقوع الخدعة من قبل المؤمنين، بالنسبة إلى المنافقين بقضية المشاركة؟ مع أنه منتفي ولا شاهد له بحسب التاريخ؟

الجواب: يمكن أن يكون جمعاً من خواص المؤمنين كانوا مطلعين على مقاصد المنافقين. ولعل لتلك النكتة اندرج ذكر الرسول الأعظم في سلك المؤمنين، وعلى هذا كان يتوجه إليه من قبل المؤمنين أيضا خداع لكتمانهم عليه ما قصدوه.

السؤال السادس: ما هي الخدعة الصادرة من المنافقين، التي ذكرها الآية: ﴿يُخَادِعُونَ

اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾؟

الجواب: خداع المنافق ربه والمؤمنين: هي إظهار بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب.

السؤال السابع: متى يعود وبال خداعهم عليهم. أي على المنافقين؟

الجواب الأوّل: في دار الدنيا وهو استدراجهم وإمهالهم حتى يزدادوا عذابا.

وباطلاع النبي والمؤمنين على أحوالهم التي أسروها.

الجواب الثاني: إن عود الخداع عليهم بالآخرة وهو العذاب الشديد. قوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾[١]

السؤال الثامن: ما هو الذي نفاه الله عنهم (أن يشعروا) هنا في قوله: ﴿مَا يَشْعُرُونَ﴾؟

الجواب: هو ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار. أو أن الله يطلع نبيه ويأمره بلعنهم في لعنه الظالمين، وذلك العن لا يفارقهم، في الدنيا يلعنهم خيار عباد الله، وفي الآخرة يلبثون بشدائد عذاب الله.

السؤال التاسع: ما هو الحد الفاصل بين التقية وبين النفاق؟

الجواب: التقية: هي أن تتكلم بكلام لا تؤمن به إنطلاقا من وجود خطر يهدد حياتك أو أُمتك أو دينك، أما النفاق: هو أنك تظهر بغير ما أنت تؤمن به لطمع تطمع به ولشهوة تريد تحقيقها.

السؤال العاشر: لماذا عبر بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ ولم يقل (وما يخادعون)، كي يكون مطابق لصدر الآية (يخادعون)؟

---

(١) الحديد: ١٣

الجواب: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ أولى بالصحة من القول (وما يخادعون)؛ لأن الله جل ثنائه قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية، فمحال أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوا؛ لأن ذلك تضاد في المعنى وهو غير جائز من الله عز و جل، فالخداع صادر منهم لكن هذه المخادعة راجعة عليهم.

السؤال الحادي عشر: ما هو الدليل على أن هذه الآية: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا....﴾ عامة تشمل المخاطبين وغيرهم سواء كانوا في صدر الإسلام أم بعد ذلك؟

الجواب: ويمكن أن يكون الشاهد على ذلك فعل المضارع الدال على التجدد في قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ. وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ مشعراً أن هذه الصفة ليست صفة خاصة لطائفة معينة، بل هو أمر ثابت لطائفة من الناس في طول الأزمنة والعصور. فهذه الآية فيها العموم الأفرادي والأزماني ولا تختص بطائفة خاصة أو بعصر خاص. بالإضافة إلى أن آيات القرآن نازلة على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، فتشمل الذين في صدر الإسلام ومن يأتي بعهم.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: من صفات المنافقين الخداع

أشارة الآية الكريمة إلى صفة من صفات المنافقين وهي الخداع، فهذه الصفة من صفات المنافقين فينبغي تجنبها في كل الأحوال كي لا تكن داخلاً فيهم.

الدرس الثاني: تعظيم مكانة المؤمنين عند الله

قرن المؤمنين باسمه تعالى إلى حد يقع اسمهم تلو اسمه، بقوله: ﴿يُخَادِعُونَ

اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا....﴾ وذلك تعظيماً للمؤمنين وتشويقاً وفخراً لهم وشاناً عاليا.

الدرس الثالث: الحذر من المخادعين

هذه الآية تفيد العموم في كل عصر وزمان، أن هناك طائفة من الناس قائمة على خداع المؤمنين فاحذروهم، كما تقدم بيانه في الأسئلة.

الدرس الرابع: الرياء نوع من الخداع

هذه الآية الكريمة تشمل حتى المرائي، فان المرائي يتشكل بشكل العابد إلا أنه يعبد الشيطان، فهو مستبطن شيء ومستظهر شيء آخر فهو مخادع، فتنهاه الآية عن مخادعة الله ورسوله والمؤمنين. سئل النبي صلى الله عليه وآله فيمَ النجاة غداً قال: **إنّما النجاة في أن لا تخادعون الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو شعر. فقيل له: فكيف يخادع الله؟ قال يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره، فاتقوا الرياء فانه شرك بالله.**[١]

الدرس الخامس: إفلاس المرائي وعقابه

قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ من أن وبال الخدعة والرياء يرجع إليهم، فالمرائي مضافاً إلى فعله الخالي الصوري يستحق العقاب.

الدرس السادس: المخادع يحارب الله

إن الذي يخادع المؤمنين فهو يخادع الله، ومعركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم، إنما هي مع الله القوي الجبار، فهم يحاربون الله حين يحاربون أولياءه.

---

(١) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج٣ ص٢٢١

الدرس السابع: المنافقون لا يعرفون الله

في الآيـة دلالـة علـى أن المنـافقين لـم يعرفـوا الله إذ لـو عرفـوه لعرفـوا أنـه لا يخدع؛ لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن، وأما من عرف البـواطن فمن دخل معه في الخداع فإنما يخدع نفسـه. ومـن كلامهـم (مـن خـدع مـن لا يُخدع فقد خدع نفسه).

الدرس الثامن: الشعور علم مع الفطنة

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: وما يعلمون علم تفطن، وهي لفظة مأخوذة من الشعار، كأن الشيء المتفطن له شعار للنفس وقولهم: ليت شعري. معنى ليـت فطنتي تدرك.

تفسير: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [١٠]

المعنى العام

اللغة: (المرض): السقم في البدن[١]. **الأليم**: بمعنى المؤلم الموجع الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ[٢].

المعنى: الآية في صدد بيان حال المنافقين وما في قلوبهم من الشك والحسد، ثم إشارة إلى العقاب اللاحق بهم في الدنيا، وهي زيادة هذه المرض، وفي الآخرة العذاب الموجع.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المراد من المرض في هذه الآية الشريفة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً...﴾؟ وهل يكون في غير البدن؟

الجواب الأوّل: المراد منه الشك والنفاق هنا، وأُستعمل في القلوب مجازاً؛ لأن أصله السقم في البدن، فشبه ما في قلوبهم من النفاق و الشك بمرض الأجساد.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٧ ص٢٣١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٢٢.

الجواب الثاني: المراد منه الألم، وأُستعمل فيها حقيقة، حيث كانت قلوبهم متألمة حزناً على نفوذ النبيﷺ ونزول القرآن.

الجواب الثالث: المرض أعم: هو كل ما يخرج نفس الإنسان عما هي عليه بحسب التكوين والتكليف، والشك والحسد مرض؛ لأنه يخرج النفس عن حد الاعتدال فان البدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحا،كذلك القلب ما لم تصبه آفة يكون صحيحا، وهنا عرضته آفة الشك والنفاق.

السؤال الثاني: **كيف صح إسناد زيادة المرض إلى المولى عز وجل هنا في قوله: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾؟ ألا يلزم من ذلك أنّ الله جعل الكفر والشك فيهم، وهو خلاف ما تذهبون إليه من نفي الجبر؟**

الجواب الأوّل: ليس الأمر كذلك، بل المعنى أن المنافقين بطبعهم يزدادون، وهذا كل ما أنزل الله آية أو سورة أو زاد رسوله بسطة في النفوذ ازدادوا بسبب ذلك كفراً وغيضا وحسداً زيادة إلى كفرهم وشكهم، فجاز أن يقال: فزادهم الله مرضاً جرياً على سلسلة الأسباب المنتهية إليه، ومثل ذلك قوله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام بقوله: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا﴾**.(١)

الجواب الثاني: من باب حذف المضاف والمعنى زادتهم عداوة الله مرضاً نظير قوله تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾**(٢) أي من ترك ذكر الله.

الجواب الثالث: إنّ الله سبحانه لما وجدهم مصرين على العناد متمردين عن

(١) نوح: ٦
(٢) الزمر:٢٢

قبول الحق قطع عناياته عنهم وألطافه بهم فبذلك ازدادوا مرضاً. أو تكون هذه الزيادة من الله وذلك بعد اختيارهم له بالمرة الأولى أزاده الله عليهم ثانية، كما تقدم من تفسير الآية الثانية من سورة البقرة.

السؤال الثالث: في آية الكفار السابقة استعملت كلمة عظيم.﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أما في هذه الآية، آية المنافقين استعملت كلمة (اليم) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فما هو الفارق بين الموردين؟

الجواب الأوّل: لبيان الفرق بين العذابين، فان عذاب المطرودين في الأوّل أعظم، ولكن لا يجدون شدة ألمه؛ لعدم صفاء إدراك قلوبهم فحالهم حال العضو الميت بالنسبة إلى ما يجرى عليه من القطع و الضرب، أما المنافقون فلثبوت استعدادهم في الأصل، وبقاء إدراكهم يجدون شدة الألم.

الجواب الثاني: إن العذاب الأوّل لمكان كونه من تبعات الذات أو الصفات وصف بالعظيم، والعذاب الثاني لمكان كونه من الأعمال والأفعال وصف بالأليم[1].

السؤال الرابع: ما هي الفائدة في تقديم الخبر على المبتدأ هنا في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؟

الجواب: لتخصيص المبتدأ النكرة، مع أنه لا يجوز الإبتداء بالنكرة، وإفادة الحصر إدعاءً؟

السؤال الخامس: ما هو السبب في مجيء لفظ (المرض) مفرد هنا في الآية ﴿في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، ولم يقل: في قلوبهم أمراض؟

([1]) راجع: تفسير سيد مصطفى الخميني للآية.

الجواب الأوّل: إشعار بتوحيد مرض المنافقين، وتفريد فساد قلوبهم، فلو قال: في قلوبهم أمراض فربما يوهم أن في قلب كل واحد مرض خاص، مع أن النظر إلى أن إنحرافهم عن الصراط، يستند في الكل إلى شيء واحد.

الجواب الثاني: الإتيان بالجمع يلزم كون جميع الأمراض، أو الأمراض الكثيرة في قلب كل واحد منهم، مع أن ذلك ربما ينتهي إلى الكذب، وخلاف الواقع لما في قلب كل واحد منهم ليس إلا مرض واحد يقتضي انحرافهم عن الحق وميلهم إلى الباطل.

السؤال السادس: لِمَ قال ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، ولم يقل في صدورهم مرض؟

الجواب: يمكن أن يقال: إن الصدر محل الخطور والزوال. كما يستظهر من بعض الآيات الإلهية. وقد كان المنافقون يظهرون الإسلام بأفواههم فحسب، فيكون اختيار القلب لأجل عدم رسوخ الحقائق في باطنهم وعدم تمركز الإسلام في قلوبهم، فكان المنافقون في قلوبهم المرض لا في صدورهم.

السؤال السابع: لماذا سمي القلب قلباً؟

الجواب: لأنه يقلب الأمور برأيه ويحتال عليها، وعليه سمي البئر: بالقليب؛ لأن الماء ينقلب إليه، وسمي القلب: لتقلبه الخواطر، قال الشاعر:

ما سمي القلب إلا من تقلبه والرأي يعزب والإنسان أطوار[1]

السؤال الثامن: ما هو الفرق بين القلب وبين الفؤاد وبين الصدر، فقد نجد أنّ الله تعلى يعبر عن الثلاث بشيء واحد، قوله تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[2] وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ

---

(١) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج٥ ص١٧١.

(٢) الفرقان: ٣٢

صَدْرَكَ﴾.[1] وقوله: ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾؟[2]

الجواب: أن الصدر محل للفؤاد، والفؤاد محل للقلب ومثوى له، والقلب مصدر ومركز الإدراك، أما تعبير المولى بالفؤاد والصدور من باب إطلاق المحل وإرادة الحال الذي هو القلب[3].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: أسباب الأمراض الروحية

تُشير الآية إلى أن بعض الناس مصابون بمرض القلب، وهم أكثر من المصابين بمرض الأبدان وهذا لعلل ثلاثة. **الأولى**: صاحب القلب المريض لا يدري أنه مريض. **الثانية**: عاقبته غير مشاهدة في هذه العالم، بخلاف مرض البدن فإن عاقبته مشاهدة. **الثالثة**: فقد العلماء الذين هم الأطباء للقلوب، أو فقد الإيمان بما يقول الطبيب العالم، أو عدم مراجعة المريض والاهتمام بها.

الدرس الثاني: استقرار المرض في القلب

قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ جاء هنا المرض في جملة ظرفية إشارة إلى استقراره ورسوخه في قلوبهم. وإلا لقال قلوبهم مرضى.

الدرس الثالث: شدة عذاب المنافق

جاء في كلمة، أليم في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إشارة إلى شدة عذاب المنافق الذي هو أعظم مراتب الألم الموجع.

---

(١) الشرح: ١
(٢) البقرة: ٩٧
(٣) تفسير القرطبي، ج١ ص١٨٩.

الدرس الرابع: الكذب من الكبائر العظام

يستفاد من الآية الكريمة حرمة الكذب، وإنه من الكبائر العظام التي وعد الله عليها بالنار، فلحوق العذاب الأليم بسبب كذبهم.

الدرس الخامس: زيادة الأمراض الروحية

قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ هنا أتى بالجملة الفعلية في المعطوف دون المعطوف عليه، إشارة لتجدد ذلك التزايد، بخلاف أصل المرض فأنه كان ثابتاً مستقراً في قلوبهم.

الدرس السادس: الحث على مراجعة أطباء الأخلاق

كما أن الأمراض الجسمية لها أطباء يعالجونها بأدوية حاسمة كذالك للأمراض الروحية أطباء يعالجونها بأدوية التهذيب، وكما يلزم المريض مراجعة الأطباء ليصح بدنه فكذلك يلزم المريض روحاً مراجعة أطباء هذا المرض ليخرجوه من سوء هذه العاهة، ليصح ويصلح في نفسه.

الدرس السابع: تعدد الأمراض في قلب المنافق

في تنكير لفظة المرض ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إشارة إلى تعدد ثبوت جميع أنواعه (المرض) حسب مفاسد أخلاقهم واستقرارها في قلوبهم.

الدرس الثامن: المبالغة في النهي عن الكذب

خص الكذب بالذكر في الآية: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ من بين جهات استحقاقهم إياه مع كثرتها، مبالغة في قبح الكذب لينزجر السامعون منه.

تفسير: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [١١ ـ ١٢]

المعنى العام

اللغة: (الفساد): هو خروج الشيء عن الاعتدال. **(والصلاح)**: ضد الفساد.[١] **(الشعور)**: الإحساس والفطنة لا يشعرون: لا يحسون ويفطنون.[٢]

المعنى: أخبر المولى عز وجل في هذه الآية الكريمة عن صفة أُخرى خاصة من صفات المنافقين التي هي الفساد، والصد عن الخير، وارتكاب المعاصي، وإثارة الفتن، وتهيج الحروب، وسفك الدماء، ويعتقدون بذلك أنهم أهل الصلاح، وهذا العمل عمل إصلاحي، فنفى الله عنهم ذلك، وكذبهم وأكد أنهم هم أهل الفساد، ولكن لا يحسون.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: فيمَ نزلت هذه الآية المباركة: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ...﴾؟

الجواب الأوّل: إنها نزلت في المنافقين الذين ذكرتهم الآيات المتقدمة،

---

(١) تفسير الرازي، ج٢٦ ص٩٨. لسان العرب، ابن منظور، ج٢ ص٥١٦.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج٢ ص٥١٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا...﴾، فهذه الآية تذكر صفة أُخرى لهم.

الجواب الثاني: نزلت في الذين نكثوا بيعت الغدير. يؤيده ما ورد عن سلمان الفارسي قال: إن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد.[1]

ويمكن الجمع: أن يراد بها من صورتهم صورة هؤلاء. فيكون قول سلمان محمولا على أنه أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية فهو يشمل المنافقين في عصر النزول وما بعده.

السؤال الثاني: ما هي الفائدة من ذكر قيد (الأرض) هنا في قوله: ﴿لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾، مع أن الفساد لا يقع إلا في الأرض؟

الجواب: تنبيه على أن المحل الذي فيه شأنكم وتصرفكم، ومنه مادة حياتكم جديرا ألا يفسد فيه، إذ محل الإصلاح لا ينبغي أن يجعل محل للإفساد.

السؤال الثالث: من هو القائل هنا في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ...الخ﴾؟

الجواب الأوّل: الله على لسان نبيه، أو النبيﷺ، أو المؤمنون.

الجواب الثاني: القضية ليست إلا فرضية و إيماء إلى سوء حال المنافقين من غير لزوم وقوع هذه القضية خارجاً حتى يلزم تحديد الفاعل.

الجواب الثالث: يحتمل أن يكون بعض جماعة المنافقين الغير المغرضين قالوا للجماعة الأُخرى المغرضة، وأخذ الطرف الآخر في إقناعهم من أنهم أهل صلاح و أنهم على حق.

السؤال الرابع: ما هو المراد من الإفساد الصادر من قبل المنافقين على وجه التحديد؟

الجواب الأوّل: هو إظهار معصية الله، وإنّما كان فساداً في الأرض؛ لأن

---

(1) تفسير ابن كثير، ج١ ص٥٢

الشرائع الإلهية سنن وطرق موضوعة بين العباد فإذا تمسكوا بها زال العدوان ولزم كل احد شأنه فحقنت الدماء وسكنت الفتن، فكان فيه صلاح الأرض وأما إذا تركوا التمسك بالشرائع، وإقدام كل أحد على ما يهواه لزم الهرج والمرج والحروب و الفتن والفساد.

الجواب الثاني: هو مداراة المنافقين الكافرين، فكان ذلك يجر الكفار على عداوة الرسول ﷺ والدين ومن ثم نصب الحرب لهم وطمعهم بالغلبة. **أو قل:** إن المنافقين كانوا يمايلون الكفار ضد المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم، وذلك يؤدي الفتن بينهم وفيه فساد عظيم في الأرض.

الجواب الثالث: هو نكث بيعة الغدير، كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير هذه الآية **إذ قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير لا تفسدوا في الأرض بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين فشوشوا عليهم دينهم وتحيروهم في مذاهبهم**[1].

السؤال الخامس: ما هو المراد من الصلاح الوارد عن لسان المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: إن الذي يسمونه فساداً هو عندنا صلاح؛ لأنا إنما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين، حيث نرضي محمد في الظاهر ونقضي في الباطن إلى شهواتنا وفي هذا إصلاح حالنا.

الجواب الثاني: أنكروا وقالوا: إنا لا نعمل بالمعاصي ولا نمالي الكفار ولا نحرف الكتاب وكان ذلك نفاقاً وكذباً منهم.

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي، ج٣٧ ص١٤٦. تفسير كنز الدقائق ج١ ص١٢٨.

السؤال السادس: كيف يوجه قصر الإصلاح على المنافقين في هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، فهذا التعبير يفيد حصر الإصلاح في المنافقين؟

الجواب الأوّل: ذلك على حسب اعتقادهم من حيث أنهم يعتقدون في دينهم هو الصواب وعين الصلاح، وكان سعيهم لأجل تقوية ذلك الدين. والداعي إلى هذه الاعتقاد أمور. منها: شدة تعصبهم فيما اعتقدوه تقليداً من غير بصيرة و أخذوا من آبائهم وأسلافهم

ومنها: اعتقادهم لأصول خفي فيها أخطاؤها عليهم وهي ظاهرة الشناعة فيما يترتب عليها ويتفرع عنها فيلتزمون بتلك الشناعات في الفروع مخافة أن ينقض عليهم الأصول ويطلبون لها وجوهاً من المراوغة.

الجواب الثاني: إنهم لما سمعوا قول المسلمين لهم لا تفسدوا، توهموا أنهم يجعلونهم مصلحين تارة ومفسدين أُخرى، لاستبعادهم أن يجعلوهم مفسدين في جميع الأحوال، فأجابوا أنهم مقصورون على الإصلاح لا يتجاوزونه إلى الفساد.

السؤال السابع: عبرت الآية هنا بالشعور ﴿وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾، ولم تعبر بـ(العقل) فلم تقل (ولكن لا يعقلون)؟

الجواب: لكي تكشف لنا أن القضايا البسيطة الواضحة التي لا تحتاج إلى التفكير والتعقل.

(كالتمييز بين الفساد والصلاح) لم يعد يفهمها المنافق فكيف بالقضايا المعقدة التي تحتاج إلى تفكر وتأمل.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: دلالتها على خطر فساد المنافق

لما بالغ المنافقون في إظهار الإصلاح ﴿قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ بولغ في إفسادهم ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾، فذكر مجموعة من التأكيدات التي تدل على خطر فسادهم.

الدرس الثاني: المنافق يرى المنكر معروفا

الإنسان لما تمادى في الغي والضلال يصبح الذنب والإثم والفساد جزء من طبيعته، فالمنافقون بإصرارهم على انحرافهم يتطبعون بخط النفاق وتترآئى لهم أعمالهم بالتدريج وكأنها أعمال إصلاحية.

الدرس الثالث: فقد المنافق للحواس

قوله تعالى: ﴿لاَ يَشْعُرُونَ﴾ دال على كونهم مفسدين وقد ظهر ظهور المحسوس لكن لا حس لهم ليدركوه لكثرة انهماكهم في الغي والضلالة.

الدرس الرابع: دلالتها على عموم النهي عن المنكر

ذكر القول بالفظ المجهول ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يشتمل كل عن المنكر رسولاً كان أو ولياً أو كان من عرض الناس.

الدرس الخامس: تعدد أنواع الفساد

ذكر تعالى: ﴿الأَرْضِ﴾ وحدها؛ لأنها محل فساد المفسدين، والفساد تارة بالنسبة إلى الشخص يفسد فيما بينه وبين ربه، كالرياء. وأُخرى بالنسبة إلى شخص آخر مثله، كالغش مثلاً. وثالثة إلى المجتمع كالخيانة بالنسبة إليهم.

الدرس السادس: الفساد نقيض الصلاح

مادة الفساد تدل على المبغوضية كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[١]، بخلاف مادة الصلاح فإنها تدل على المحبوبية كما في قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.[٢]

الدرس السابع: الحذر من المنافق

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قطع ظهري رجلان من الدنيا: رجل عليم اللسان فاسق، ورجل جاهل القلب ناسك، هذا يصد بلسانه عن فسقه، وهذا بنسكه عن جهله، فاتقوا الفاسق من العلماء والجاهل من المتعبدين، أولئك فتنة كل مفتون، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي هلاك أمتي على يدي [كل] منافق عليم اللسان[٣].

---

(١) البقرة: ٢٠٥

(٢) النساء: ١٠

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٦٩.

تفسير: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣]

المعنى العام

اللغة: (السفه): أصله الخفة والطيش، ومعنى السفيه الخفيف العقل ويقال الجاهل[١].

المعنى: إذا قيل للمنافقين صدقوا بمحمد وما أُنزل إليه، كما صدق أصحابه، أو قيل: كما صدق عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود قالوا: أنصدق كما صدق الجهال، ثم كذبهم الله وحكم بأنهم هم الجهال في الحقيقة.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: مَن هم الناس المعنيون في قوله تعالى: ﴿آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾؟

الجواب الأوّل: أناس معهودون، أمثال عبد الله بن سلام وأضرابه، ويدل على ذلك والألف واللام هنا في لفظه الناس فهي للعهد.

الجواب الثاني: الناس هنا هم الكاملون في الإنسانية، فتكون الألف واللام للجنس أي جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣ ص٤٩٨

السؤال الثاني: ما هو الغرض من التشبيه في هذه الآية حيث قالت ﴿آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ فشبهت الأمر بالإيمان بإيمان الناس، كأنه قال: آمنوا مثل إيمان الناس؟

الجواب الأوّل: هو أنهم كانوا مؤمنين ومشتركين مع الناس في أصل الإيمان ومختلفين معهم في مراتبه وخصوصيته فجاءهم الأمر مثل إيمان الناس المؤمنين، هذا إذا قلنا المراد بالتشبيه تشبيه المفرد بالمفرد، أما إذا قلنا المراد تشبيه الجملة على الجملة فيستفاد منه الدعوة إلى الإيمان ويكون التشبيه ترغيبا إليه وموجبا لانبعاثهم نحوه.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون التشبيه هنا أعم أي: اتركوا النفاق وكونوا مؤمنين كسائر الناس سواء كان يهودياً أو نصرانيا أو مسلماً أو غير ذلك، بل تشتمل هذه الآية من هذه الجهة تمام المشركين الذين يظهرون شركهم فأنهم مؤمنون بشركهم وكفرهم، أما المنافق أسوأ حالاً من جميع الناس لما فيه الشر الكثير والإفساد العام.

السؤال الثالث: كيف أظهروا ما هو مستبطن مع المجاهرة بقولهم للمؤمنين ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ حيث أنه انتفت عنهم صفة النفاق الذي هو الإخفاء؟ مع أنّ هذا تجاوز على المؤمنين؟

الجواب الأوّل: إن المنافقين كانوا يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم سراً دون أن ينطقوا به جهراً، أو كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين.

الجواب الثاني: خاطبوا المؤمنين مباشرة وجهراً لا سراً منهم ولا تكتماً، وإنما خاطبوهم نفاقاً وخداعاً، حيث قالوا نومن نحن كما آمن السفهاء والعوام والأراذل والمبتدئون، هيهات إنا لسنا مثلهم فإنا آمنون كما آمن الأخصّاء

والمخلصون فليس هذا إفشاء لما هو مخفي.

السؤال الرابع: إنّ ردّ ما صنعوه بالمسلمين وما نسبوا إليهم من السفاهة غير لائق بالكتاب الإلهي، حيث خاطبهم بنفس ما خاطبوا به المسلمين ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾؟

الجواب الأوّل: إن مقتضى المجاوبة هنا أُريد بها نفي السفه عن الآخرين وعن المنتسبين إلى السفاهة في كلامهم.

الجواب الثاني: السفه بأصل اللغة: هو الجهل كما تقدم في المعنى العام، فعلى هذا يكون في قوة (ألا إنهم هم الجاهلون) ولا يدرون إنهم جاهلون فيكون بيان لواقعهم فلا محذور بذكره.

السؤال الخامس: لماذا عبر في ذيل هذه الآية: ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وفي الآية التي قبلها ﴿لاَ يَشْعُرُونَ﴾؟

الجواب الأول: للفارق الملحوظ في مضمون الآيتين من أن الوقوف على حقيقة طريق الإيمان وباطلية طريق الكفر يحتاج إلى العقل و النظر. أما الوقوف على النفاق وما فيه من البغي والفساد في الأرض فأمر ضروري بديهي يجري مجرى المحسوس لأنه يشاهد من أقوالهم وأفعالهم فعبر بالشعور الذي هو الإحساس.

بعبارة أُخرى: لأنه ذكر السفه هنا الذي هو نقص العقل، فكان ذكر العلم أحسن طباقا من مكان ذكر الشعور.

الجواب الثاني: إشارة أن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهو على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يعلم، وأما النفاق وما فيه من الفساد فأمر دنيوي فهو كالمحسوس المشاهد فعبر بالشعور.

السؤال السادس: من هم المعنيون هنا بالخطاب في هذه الآية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ﴾؟

الجواب: هم المنافقون الذين وصفهم تعالى بأنهم يقولون: ﴿**آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾، أو أعم من المنافقين، بل كل الكافرين والمنحرفين عن الصراط المستقيم.

السؤال السابع: إذا تحقق منهم السفه ووصفوا به ألا يكون ذلك بحد ذاته عذراً لهم؟

الجواب: إنه إنما لحقهم ذلك إذ عابوا الحق فانزلوا أنفسهم تلك المنزلة، كما قال تعالى: ﴿**ألا إنهم كالأنعام**﴾ لصدهم وإعراضهم، فهم اختاروا طريق السفهاء والجهلاء.

السؤال الثامن: قوله: ﴿آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ لازمه أنهم كانوا مؤمنين ومشتركين، مع الناس في أصل الإيمان ومختلفين معهم في مراتبهم؟

الجواب: لا يستفاد منه إلا الدعوة إلى الإيمان ابتداءً، ويكون التشبيه ترغيبا به موجبا لانبعاثهم نحوه، وترك تثبيتهم في الكفر والنفاق، فيكون حاصله: اتركوا النفاق وآمنوا كما آمن الناس المخلصين.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: عمومية الناهي عن المنكر

القائل لا يختص بشخص مخصوص، بل يشمل كل من أظهر الحق، وأمر بالمعروف، فلهذا أتى سبحانه وتعالى القول بصيغة المجهول (وإذا قيل).

الدرس الثاني: من صفات المنافق التكبر

أشارت الآية إلى إحدى الملامح البارزة للمنافقين، وهي مواجهة الرأي العام بمشاعر الكبرياء والعظمة التي تدفعهم إلى احتقار الناس في مستوى تفكيرهم والتعالي عليهم واعتبارهم سفهاء.

الدرس الثالث: التحلية بعد التخلية

ذكرت هذه الآية أمرهم بالإيمان بعد نهيهم عن الإفساد؛ وذلك لأن التحلية لا تتيسر إلا بعد التخلية، أولاً أن يتخلى من النفاق ثم بعد ذلك يتحلى بالإيمان.

الدرس الرابع: المنافق يرى الضلال هدى

نسبوا المؤمنين إلى السفاهة، مع أنهم في الغاية من الرشد والرزانة، لكمال انهماكهم في الغواية، فمن حسب الضلال هدى فسمى الهدى لا محال ضلال.

الدرس الخامس: دلالتها على تمامية النصح والإرشاد

في الآية تمام النصح والإرشاد، فان الإيمان مجموع لأمرين هو الإعراض عما ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا، والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله: ﴿آمَنُوا﴾.

الدرس السادس: مخالفة الشرع من السفاهة

تعبير الآية ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾ فيه إشارة إلى أن كل من خالف طريق الأنبياء والأوّلياء فهو سفيه، وذلك لجهله وضعف عقله.

الدرس السابع: المؤمنون ثمرة الإنسانية

جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل. وعليه مَن لم يؤمن كما آمن الناس أمره دائر بين أن يؤمن فيكون من الناس وبين أن لا يؤمن فيكون من غير الناس.

تفسير: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [١٤]

المعنى العام

اللغة: (اللقاء): الاجتماع، الشيء مع الشيء على طريق المقاربة.[١] **(الخلوة)**: الإنفراد بالشيء، خلوت بفلان انفردت معه.[٢] **(الاستهزاء)**: الاستخفاف، والتهكم، السخرية.[٣] **(الشيطان)**: فيعال من شطن إذا بعد. والشيطان: كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب.[٤]

المعنى: تشير الآية إلى صفة أُخرى من صفات المنافقين، وهي كان الواحد منهم إذا لقي أصحاب النبي ﷺ قال نحن على دينكم، وإذا خلو إلى شياطينهم أي رؤسائهم قالوا: إنا معكم وإنّما نتردد عليهم لأجل الاستهزاء.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: لزوم التكرار في هذه الآية من قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ وبما مرّ من قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾؟ أو قل: إن الآيات السابقة وضحت وبينت

---

(١) الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، ص٥٠٦.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص٦٩٧.
(٣) تاج العروس، الزبيدي، ج١ ص٢٨٦ وج١٧ ص٧٦١.
(٤) لسان العرب، ابن منظور،ج١٣ ص٢٣٧.

حال المنافقين فما الفائدة من ذكرهم ها هنا مرة أُخرى؟

الجواب: إظهار الإيمان في الآية الأوّلى نفاق للخداع، وفي هذه الآية نفاق للاستهزاء، مضافا إلى أن الآيات الأوّلى كانت بيان لمذهبهم، وهذه الآية كانت بيان لصنعهم مع المؤمنين والكفار فلا تكرار.

بتعبير آخر: كانت الفقرتان الأوّليان لبيان حالهم في أنفسهم وأنهم بإعجابهم بأنفسهم وارتضائهم لأفعالهم لا يسمعون نصح الناصح.وهنا لبيان حالهم مع المؤمنين والكفار وبيان خديعتهم للمؤمنين.

السؤال الثاني: **كيف صح إطلاق معنى الشيطان في هذه الآية على الإنسان؟ وهل هذا الإطلاق من باب المجاز أو الحقيقة، من قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾؟**

الجواب الأوّل: صح ذلك لصيرورته مظهراً للشيطان ومسخراً تحت حكمه فيصح أن يقال له شيطان، فكل عات متمرد فهو شيطان. أو قل: إنه أحد مصاديق الشيطان باعتباره اللغوي كما تقدم في معناه اللغوي، فانه مشتق من شطن إذا بعُد لبعد شياطين الإنس والجن عن الخير وقرب من الباطل والفساد.يقول جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزل وهن يهوينني إذ كنت شيطانا(١)

وكما في قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾**(٢) فيكون استعمال الشيطان هنا على الحقيقة.

الجواب الثاني: المراد بشياطينهم إطلاق على رهبانهم وقسيسيهم وكهنتهم، وهذا من باب المجاز بعلاقة القرينة؛ لأن هؤلاء كانوا يدعون أنهم يعلمون الغيب

---

(١) الصحاح، الجوهري، ج٥ ص٢١٤٤
(٢) الأنعام: ١١٢

ويشافون المرضى وغير ذلك، فكان العرب يعتقدون أن الذي يخبر عن الغيب يكون معه قرين من الشيطان يعلمه طريق تداوي المرضى ويعرفه الأمور الخفية والأسرار المجهولة، والقرآن نزل بلسان عصر نبيه ﷺ لإتمام الحجة عليهم، فكانوا يسمون بالشياطين من هذا الباب.

السؤال الثالث: لماذا خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية الخالية من المؤكدات ﴿وَإذا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا﴾، بينما خاطبوا الشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة ﴿وَإذا خَلَوْاْ إلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: لأنهم قصدوا بالأوّلى أحداث الإيمان، و بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه. وإيهام المؤمنين أن إيمانهم لا ينبغي أن ينكر أو يشك فيه، ولعدم مساعدة قلوبهم على المبالغة والتأكيد.

الجواب الثاني: إن المنافقين حين المقابلة ولقاء المؤمنين يظهرون الإيمان من غير تأكيد، بخلاف خلوتهم مع شياطينهم وذلك؛ لأن الإسلام قد أمر بسماع قول الشاهد وإقرار المقر و ترتب أحكام الإسلام عليه من غير حاجة إلى التأكيد والحلف. بينما عبرت عن قول المنافقين حين الخلوة مع شياطينهم بالتأكيد؛ لأنهم لا يقبلون ظواهر الأقوال لشيطنتهم وخبثهم، وهذا مقتضى القياس إلى أنفسهم حمل كلام الغير على الكذب والافتراء فيحتاجون إلى التأكيدات وإلى الحصر.

السؤال الرابع: كيف تعلق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ بقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؟

الجواب الأوّل: هو توكيد له؛ لأن قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ معناه الثبات على الكفر وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ ردّ للإسلام وردّ نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه؛ لأنه من حقّر الإسلام عظّم الكفر.

الجواب الثـاني: يكـون استئناف، كـأنهم اعترضـوا علـيهم حـين قـالوا ﴿إِنَّـا مَعَكُمْ﴾ فقالوا أن صح ذلك فكيف توافقون أهـل الإسـلام، فقـالوا ﴿إِنَّمَـا نَحْـنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ أي لقائنا مع المسلمين إنما هو للاستهزاء وليس إقرار لدينهم.

السؤال الخامس: لِمَ أُوصلت كلمة (خلوا) بــ(إلى) في قوله: ﴿وَإِذَا خَلَـوْاْ إِلَـى شَيَاطِينِهِمْ﴾ مع أن المعروف منها أن توصل بــ(الباء)؟

الجواب الأوّل: ﴿خَلَوْاْ﴾ هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا، فيكون المعنى إذا ذهبوا إلـى شياطينهم. أو إنّ (إلى) هنا بمعنى(مع) كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَـى اللَّـهِ﴾[1] أي من أنصاري مع الله، فيكون المعنى خلو مع شياطينهم.

الجواب الثاني: إن الذي يتعدى بـ(البـاء) يحتمـل الانفـراد والسـخرية، كمـا تقول خلوت به، إذا سخرت منه، والذي يتعدى بـ(إلى) نص في الانفراد[2].

الجواب الثالث: المراد إذا خلا بعضهم إلى بعـض، كمـا يقـال: (خلـى الرجـل إلى الرجل) إذا اجتمعا في خلوة.[3]

السؤال السادس: بمن اختلوا المنافقون هنا من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾؟

الجــواب: إذا خلـوا إلـى رؤسـائهم وأصـحابهم مـن الكفـار، أو رهبـانهم، أو بعضهم إلى بعض.

---

(1) آل عمران: ٥٢. الصحاح، الجوهري، ج١ ص٢٣٣

(2) فتح الباري، ابن حجر، ج٨ ص١٢٢

(3) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص٦٩٧

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: المنافقون مصداق للشياطين

عبر عن رؤساء المنافقين بالشياطين، من حيث أنهم ماثلوا الشياطين في تمردهم وعصيانهم واستبدادهم بالرأي وإنكارهم للحق، فان كل منافق فهو شيطان بالحقيقة وبحسب الباطن. فيكون حشر المنافقين يوم القيامة في قبورهم شياطين؛ لعلية صفة الشيطنة على قلوبهم.

الدرس الثاني: من صفات المنافق التذبذب

بينت الآية خاصية من خواص المنافقين وهي التلون والتذبذب، نلاحظهم مع المؤمنين يقولون آمنا ومع أصحابهم إنا معكم، وكذلك من صفات المنافق الإستهزاء بالمؤمنين.

الدرس الثالث: النفاق في كل عصر

هذه الفئة من المنافقين وما تقوم به من التذبذب والإستهزاء، لا تختص في عصر التنزيل بل، توجد في كل عصر وزمان.

الدرس الرابع: تحريك المنافق نحو الإفساد

يستفاد من الآية الشريفة أن كون لقاء المنافقين مع أهل الإيمان هو مجرد المرور والملاقاة فقط، وأما معيتهم مع الشياطين كانت بعنوان التفهيم والاستفادة من نواياهم الفاسدة.

تفسير: ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٥]

المعنى العام

اللغة: (المد): الجذب والمطل فلان يماد فلانا أي يماطله ويجاذبه، ومده في غيه أي أمهله وطول عليه، والمادة: الزيادة المتصلة[١]. **(الطغيان)**: من طغى أي تجاوز حده، كقولك طغى الماء أي تجاوز الحد[٢]. **(العمه)**: التحير والتردد في الرأي[٣].

المعنى: إنّ الله يدعهم ويمهلهم ويتركهم في طغيانهم و ضلالهم متحيرون.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: الاستهزاء هنا كما تقدم هو السخرية، فكيف صح صدوره من المولى تعالى في هذه الآية ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾ فانه لا يتناسب مع عظمته تعالى؟ أو قل: كيف أضاف الاستهزاء إليه تعالى هنا وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه؟

الجواب الأوّل: المراد بالاستهزاء هنا الجزاء أي الله يجازيهم، فالتعبير يتجه اتجاه المحاكاة لتعبير الآخرين من دون أن يكون حاملا لمعناه، كما في قوله

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص٢٩٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٥ ص٧.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣ ٥١٩.

تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[1] فان الاعتداء بمثله لا يعتبر عدواناً على المعتدي وإنما أستحق هذا الجزاء، وكذا: ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: **إنّ الله لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة**[2].

و العرب أيضاً تسمي الجزاء على الفعل باسمه، كما ورد في اللسان عن أحد شعراء الجاهلية:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[3]

الجواب الثاني: إنّ الله يعاملهم معاملة المستهزئ، إمّا في الدنيا؛ فلأنه يطلع الرسول صلى الله عليه وآله على أسرارهم، مع أنهم بالغوا في كتمانها عنه، ويجري أحكام المسلمين ظاهرا ويستدرجهم من حيث لا يشعرون. وإمّا في الآخرة أعد لهم عذاب أليم. فهو سبحانه كالمستهزئ بهم من حيث جعل لهم أحكام المؤمنين في الدنيا ظاهرا ثم يميزهم منهم في الآخرة.

الجواب الثالث: إنّ استهزائهم لمّا رجع عليهم جاز أن يقول عُقيب ذلك ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾ والمراد: استهزائهم لم يضرّ سواهم وانه ردّ عليهم وأهلكهم. كما يقول القائل: أراد فلان أن يخدعني فخدعته أي دبر علي أمرا فرجع ضرره عليه.

السؤال الثاني: إسناد المد إلى الله (الذي أصله الزيادة) في الآية: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ خلاف اعتقادنا الذي هو مؤداه: الجبر على فعل الطغيان؟

---

(1) البقرة: ١٩٤

(2) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج٢ ص١١٥

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص١٧٧.

الجواب الأوّل: يمدهم هنا يتركهم وما هم فيه ولا يحول بينهم وبين ما يفعلونه ولا يفعل لهم الألطاف التي يؤتيها المؤمنين، فتبقى قلوبهم تتزايد الرين والظلمة، وكذلك يزيدهم من النعم ويطيل أعمارهم ﴿**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[1]، وهذا النحو لا يدل على أنه تعالى أجبرهم، بل هم وباختيارهم يزدادون.

ويؤيده: إضافة الطغيان إليهم ﴿**فِي طُغْيَانِهِمْ**﴾ مما يدل على أن الطغيان والتمادي في الضلال مما اقترفته نفوسهم.

الجواب الثاني: الإمداد ليس ابتدائي من قبل الله، بل لحقهم بعد ما اختاروا الكفر والطغيان وبالغوا بالشر، فهناك مدهم الله في ذلك ومكنهم ليزدادوا إثما لكي يحق عليهم العذاب الأليم كما في قوله تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً**﴾.[2]

السؤال الثالث: عبرت الآية بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾ وهذا لم يوافق قولهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾، أي لم تقل (الله مستهزئ بهم) كي يحصل التوافق اللفظي؟

الجواب الأوّل: إشعار بأن الاستهزاء من الصفات الذاتية لهؤلاء الناس، ومن ملكاتهم الخبيثة وسجاياهم الفاسدة، بحيث صارت ذواتهم منشأ لذلك، وأما استهزاؤه تعالى فهو من صفات الفعل المتجلي في الرتبة المتأخرة فلا يصح حمله عليه تعالى وانتزاعه منه.

الجواب الثاني: إنّ اليهود وأمثالهم يتمكنون من أن يتوهموا أن الله تعالى لم

---

(1) آل عمران: ١٧٨

(2) البقرة: ١٠

يستهزئ بهم، بل يريد الاستهزاء في المستقبل فلو أراد الرجوع إلى الإسلام فلا ينسد عليهم بابه وسبيله وطريقه.[١]

السؤال الرابع: ما هي الثمرة في مجيء قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ بصيغة المستقبل؟

الجواب: : ليفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت، إما من جهة حدوثه فلكونه فعلاً، وإما من جهة تجدده فلكونه فعل مضارع دال على المستقبل الذي يحدث شيئا بعد شيء.

السؤال الخامس:لماذا جعل في قوله تعالى: ﴿يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ الفعل (يمدهم) على نعت الاستقبال، ولم يقل (أمدهم)؟

الجواب: لإفادة التدريج، وبذلك يومي إلى أن هذه الحركة التدريجية قابلة للقطع، لقطع الإمداد وما يمدون به.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الله ينتقم للمؤمنين

استئناف قوله تعالى:﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم بذلك. وكذلك يدل على عدم المناسبة بين القولين في لفظه الاستهزاء.

الدرس الثاني: سبب إيجاد الطغيان المنافق

إضافة الطغيان إليهم، في قوله تعالى: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ دلالة على أنّ وجوده

(١) تفسير القرآن، لسيد مصطفى الخميني، ج٣ ص٥٢

من قبل المنافين؛ ولا يتوهم أن إسناد الفعل (يمدهم) على الحقيقة.

الدرس الثالث: العمه أخص من العمى

العمه مثل العمى، إلا أن العمى أعم في البصر والرأي، يقال: فلان أعمى البصر والبصيرة. والعمة فقط في الرأي.

الدرس الرابع: مبالغة الإستهزاء بالمنافقين

في تصدير الاستئناف بذكر الله وجعله أوّل الجملة ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾؛ ليدل على أن الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الأبلغ الذي لا اعتداد معه باستهزاء؛ وذلك لصدوره ممن يضمحل علمهم وقدرتهم في جنب علمه وقدرته.

الدرس الخامس: زيادة الطغيان في المنافقين

إن ترددهم إلى شياطينهم يوجب تقويتهم في عميانهم وضلالتهم، وأنه به يمدهم الله في طغيانهم يعمهون، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ**﴾.[(١)]

الدرس السادس: التحذير من الآراء الفاسدة

الحركة إلى الشقاوة والخروج من الفطرة السليمة إلى الفطرة المحجوبة، تحتاج إلى المحركات الخارجية والإمدادات الغيرية حسب اقتضاء ذات المتحرك، فيجب الحذر من الآراء الفاسدة وأصدقاء السوء.

---

(١) الأعراف: ٢٠٢

تفسير: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [١٦]

المعنى العام

اللغة: (**الشراء**): البيع، وأيضا يكون البيع ضد الشراء[١]. وقبل هو الاستبدال، والعرب تقول لمن تمسك بشيء وترك غيره: قد اشتراه[٢]. (**الربح**): هو الزيادة على رأس المال[٣]. (**التجارة**): هي التعرض للربح[٤]. (**الضلالة**): ضد الهدى والرشاد، وهي الهلاك والضياع[٥]. (**الهدى**): الرشاد والدلالة، أرشده فهدى[٦].

المعنى: أشارت الآية إلى الذين استبدلوا واشتروا الضلالة واختاروها بالهدى الذي فطروا عليه، ما ربحوا وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب، إذ أضاعوا رأس مالهم باستبدالهم الضلالة، ولا ربح لمن ضيع رأس ماله.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص٢٣.
(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج١ ص١١٠.
(٣) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ج٤ ص٤٥.
(٤) انظر: مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص١١٠.
(٥) مجمع البحرين، الطريحي، ج٣ ص٢٦.
(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٤ ص٤٠٣.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: كيف اشتروا هؤلاء القوم، الضلالة بالهدى كما في قوله: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾، وهم إنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم إيمان حتى نقول استبدلوا الإيمان بالكفر؟

الجواب الأوّل: الإنسان ما دام في عالم الدنيا فهو بمنزلة مسافر يسافر للتجارة، فلما ثبت انه مسافر للتجارة فلا بد له من رأس مال، وهو الفطرة الأصلية التي قد فطره الله عليها، كما في قوله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾**،[1] وأيضا ما ورد عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **كل مولود يولد على الفطرة وإنّما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه.**[2] وهذه الفطرة هي المعبر عنها بالهدى، فهو استبدل الضلال بالهدى.

الجواب الثاني: إنهم استبدلوا بالإيمان الذي كانوا عليه قبل البعثة كفراً؛ لأنهم كانوا يبشرون بمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ويؤمنون به، فلما بعث كفروا به. فكأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان. أو يمكن أن تكون مخصوصة بمن كفر بعد إيمانه ولو بعد البعثة، فكل مرتد فقد استبدل الضلالة بالهدى.

الجواب الثالث: إنما من ارتكب الضلالة وترك الهدى جاز أن يقال ذلك فيه ويكون معناه: كان الهدى الذي تركه هو الثمن الذي جعله عوض عن الضلالة التي أخذها.

الجواب الرابع: المراد هنا أنهم استحبوا واختاروا الضلالة على الهدى، فإن

---

(1) الروم: ٣٠

(2) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص١٣

كل مشتري مختار وهذا المعنى يتجلى في آية أُخرى ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ [1] فيمكن حمله عليها، وهذا مستعمل في لغة العرب: اشتريت كذا على كذا. معناه اخترت.[2]

السؤال الثاني: كيف صح إضافة الربح إلى التجارة هنا؟ حيث قالت الآية: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ أليس من الأوّلى أن يضاف إلى الشخص نفسه ويقال فما ربحوا؟

الجواب الأوّل: المراد به التاجر، ونسبته هنا: مجاز عقلي من قبيل: من سره زمن ساءته أزمان. فأضيفت المسرة والإساءة إلى الأزمان، مع أن الأزمان لا تسر و لا تسوء، و إنما عبر عنه بالمجاز العقلي ليس اللفظي.

الجواب الثاني: إضافة الربح للتجارة؛ لأن الربح والخسارة يكون في التجارة، فتقول: ربحت التجارة وخسرت فالاستعمال جائز حقيقة.

السؤال الثالث: ما كان هنا تجارة للمنافقين والكافرين حتى يتصفون بعدم الربح؟

الجواب: ﴿**فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ**﴾ من باب ذكر اللازم وإرادة نفي أصل الملزوم فالمراد أنهم لا تجارة لهم في الواقع أصلا.

السؤال الرابع: من هم المعنيون هنا بالآية الشريفة: ﴿أُولئك الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى...﴾؟

الجواب: إشارة إلى من تقدم ذكرهم من المنافقين في الآيات السابقة. وقيل: إنّها نازلة في جميع الكفار[3].

---

(1) فصلت: ١٧

(2) التبيان، الشيخ الطوسي، ج١ ص٨٣.

(3) تفسير زاد المسير، ابن الجوزي، ج١ ص٢٩.

السؤال الخامس: ما هو المراد من الخسران المنسوب إلى المنافقين هنا في الآية: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾؟

الجواب: المنافقون بشرائهم الضلالة خسروا ولم يربحوا؛ لأن الرابح مَن استبدل سلعة بما هو أرفع منها، فأمّا إذا استبدلها بما هو أدون منها فيقال: خسر. والمنافق استبدل بالهدى الضلالة وهو استبدال الثواب بالعقاب فكان خاسر غير رابح.

السؤال السادس: ما هي الفائدة هنا من ذكره تعالى ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ بعد ما وصفهم بالخسران ألا يلزم منه التكرار؟

الجواب الأوّل: لأن التاجر أحياناً يخسر ولا يربح ولكن يكون على هدى، فأراد الله أن ينفي عنهم الربح وأيضاً الهداية.

الجواب الثاني: ما كانوا مهتدين لطرق التجارة، فحذف المفعول لدلالة الكلام عليه؛ لأنهم لما وصفوا بالخسارة في هذه التجارة أُشير إلى عدم اهتدائهم لطرق التجارة، كما يهتدي إليها التجّار والبصراء في الأمور التي يربح فيها ويخسر.

السؤال السابع: لماذا قال في الآية: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ في موضع ذهبت رؤوس أموالهم؟

الجواب الأوّل: لأنه قد ذكر الضلالة بالهدى، فكأنه قال طلبوا الربح فما ربحوا إلى أن هلكوا. مع أنه فيه معنى ذهبت رؤوس أموالهم.

الجواب الثاني: يحتمل أن يكون ذلك على التقابل، وهو أن الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا، بخلاف الذين اشتروا الهدى بالضلالة فقد ربحوا، فتكون مقابلة بين مشتري الضلالة وبين مشتري الهدى.

السؤال الثامن: لماذا عبر عن الخسران بنفي الربح كما في الآية: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾؟

الجواب: للتصريح، أولاً بانتفاء ما هو مقصود من التجارة، والدلالة ثانيا على إثبات ضده، والإفادة ثالثا المبالغة، بأن نفي الربح بالبيع والشراء [١]

السؤال التاسع: المشهور أن حقيقة البيع وماهية الشراء متقومة بالمبادلة بين الأعيان، فكيف صح استعمالها في الأمور المعنوية؟

الجواب الأوّل: إن ماهية البيع والشراء ليست متقومة بكونها مضافة إلى الأعيان ومتعلقة بها، بل هي أعم من ذلك[٢].

الجواب الثاني: استعملت هنا من باب المجاز والاستعارة، وليست هي حقيقة في البيع والشراء. أو انه من باب الادعاء، وكأنه ادعى ضمنا أن الضلالة عين تباع وتشترى وهكذا الهداية مثلا، فوقع بينهم المبادلة والاستبدال.

السؤال العاشر: ما هي الفائدة في إتيان (الفاء) هنا في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾؟

الجواب: إفادة أن توقع الربح وترقب الزيادة والنماء في الشراء المزبور غير صحيح، ففي كلمة (الفاء) إفادة السببية والعلية القاطعة لانتظار الفرج.

(١) راجع تفسير كنز الدقائق للآية.

(٢) تفسير القرآن، سيد مصطفى الخميني، ج٤ ص٣٦.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الفطرة بمثابة رأس المال

قال البعض ينبغي للسالك أن يحتفظ برأس ماله، ثم يطلب الربح حتى إذا فاته الربح في صفقته فربما يتداركه في صفقة أُخرى لبقاء الأصل[1].

الدرس الثاني: العبد يتاجر بعمل الخير

ينبغي أن يعلم أن العبد في الدنيا تاجر، وهو في محل الخطر بنفسه وماله فلابد أن لا يغفل لمحة من حاله، فإن الشيطان قاطع الطريق والله هو المشتري الذي عالم بأحواله ولا يقبل إلا السليم الجيد من أعماله وأقواله وأفعاله، فعليه أن لا يكون من الذين اشتروا الضلالة بالهدى، بل تاجر مع الله بالأعمال الصالحة والصدقات.

الدرس الثالث: الإنسان في الدنيا تاجر

شبه القرآن الكريم في مواضع عديدة عمل الإنسان في الحياة الدنيا بالتجارة، ونحن في الحياة تجار نأتي إلى هذا المتجر الكبير برأس مال وهبة من الله، فجمع يربحون ويفوزون ويسعدون، وجمع لا يربحون بل أكثر من ذلك يفقدون رأس مالهم.

الدرس الرابع: خسارة المنافق بالتجارة

شبه حال المنافقين بحال السفيه الذي يتصدى للبيع والشراء، حيث يؤل به خبل السفه إلى أن يُعطى بضاعته منه ويقعد محسوراً ملوما.

---

(1) تفسير القرآن، سيد مصطفى الخميني، ج٤ ص٣٢.

الدرس الخامس: الضلال من فعل الإنسان

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ إن الضلالة من سوء فعلهم بأن ما أصابهم من سيئة فمن أنفسهم، وما أصابهم من حسنة فمن الله، فيكون نسبتها إليهم أقوي من نسبتها إلى الله، اما الهداية التي باعوها فهي من الله فتكون نسبتها إليه تعالى أقوى واقرب.

تفسير: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ [١٧]

المعنى العام

اللغة: (المثل): هو النظير أو الشبيه.[١] **الوقود**: بالفتح، الحطب.

المعنى: مثل الله حال المنافقين كحال الذي في ظلام وأوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله أبصر بها فأطفئها الله بسبب عوامل جوية أم انتهاء الوقود، فرجع إلى الظلام البهيج. فالمنافقون إستضاؤا بظاهر إيمانهم وأُعطوا أحكام المسلمين فأماتهم الله فذهب منهم ذلك النور وتُركوا في ظلمات عذاب الآخرة.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: أضاف سبحانه المثل إلى الجمع في قوله: (مثلهم)، ثم شبهه بالواحد في قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾، فكيف جاز تشبيه الجمع بالواحد، حيث أنه تعالى شبه المنافقين واليهود، وهم جماعة بالذي استوقد نارا وهو واحد؟

الجواب الأوّل: حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فيكون التقدير: مثلهم كمثل أتباع الذي استوقد ناراً، وهذا جائز في اللغة العربية. كقوله تعالى:

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١١ ص٦١٠.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[١] فهنا أراد أهلها بالضرورة، فحذف أهل وأقام مقامه المضاف إليه القرية.

الجواب الثاني: إن المراد من (مثلهم) مثل كل واحد منهم مثل الذي استوقد ناراً كقوله تعالى: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[٢] أي نخرج كل واحد منكم طفلا.

الجواب الثالث: أراد بالمستوقد الجنس وليس فردا معين، كما أن في (الذي) من الإبهام وعدم دلالتها على الفرد المعين، فيكون المستوقد هنا ليس واحد حتى يرد السؤال.

الجواب الرابع: هذا من باب تشبيه الحال بالحال وهو جائز، فتقديره حال هؤلاء المنافقين في جهلهم كحال المستوقد ناراً، كما يقال بلادة هؤلاء كبلادة الحمار.

الجواب الخامس: النون محذوفة هنا من قوله (الذي) و أصلها الذين، فتكون الآية كمثل (الذين)، وهذا له نظائر في التراث العربي، كما جاء في شعر الأخطل:

بني كليب إن عمي اللذا فتلا الملوك و فككا الاغلالا.

فالشاهد (اللذا) واصله اللذان محذوف النون.

السؤال الثاني: هنا الآية تقتضي نسبة المثل بالمثل، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد ناراً حتى شبه أحدهما بالآخر؟

الجواب: قد أُستعير المثل للقصة أو الصفة كأنه قال قصتهم العجيبة كقصة

---

(١) يوسف: ٨٢

(٢) الحج: ٥

الذي استوقد نارا، فيكون هنا مثل قصة بقصه لا مثل الذوات بالذوات، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1].

السؤال الثالث: إن مستوقد النار اكتسب لنفسه نوراً والله تعالى ذهب بنوره وتركه في ظلمات، والمنافق لم يكتسب خيراً وليس له نور، فما هو وجه التشبيه؟

الجواب الأوّل: ليس وجه الشبه أن للمنافق نوراً، بل شبه حاله في غيره وظلمته في القيامة وغيرها، بحال المستوقد الذي زال نوره وبقي متحيرا في طريقه المظلم.

الجواب الثاني: المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان استناروا بها واعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين ظاهراً فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة.

الجواب الثالث: المراد بالنور نور الفطرة، فالمنافق لتماديه في الغي والضلال حصلت له طبيعة ثانية أوجبت إطفاء نور الفطرة.

الجواب الرابع: نزلت باليهود وانتظارهم خروج النبيﷺ: وإيمانهم به، فلما بعث كفرو به فضرب الله لهم هذا المثل.

السؤال الرابع: كان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ (أطفا الله ناره) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ليشاكل جواب (لّما) في معنى هذه القضية، بينما نلاحظ الجواب يختلف من حيث الشكل وإرجاع الضمير؟

الجواب الأوّل: حذف جواب (لما) للإيجاز والاختصار ولدلالة الكلام عليه، وأُقيم إذهاب النور مقام الإطفاء فيكون الجواب راجع للمنافقين.

---

(1) الجمعة: ٥

الجواب الثاني: إن المستوقد لم يفعل ما يستحق به إذهاب نوره بخلاف المنافق فجعله جواباً غير مناسب.

السؤال الخامس: ما هو المراد من إذهاب النور في معنى قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟

الجواب الأوّل: هو أن الله تعالى يسلبهم ما أُعطوا في الدنيا من النور مع المؤمنين في يوم القيامة، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[1].

الجواب الثاني: إذهاب نورهم هو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله من كفرهم.

السؤال السادس: كيف يوصف الله بالترك كما هو الظاهر من الآية: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾؟

الجواب: إن الله تعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلالة منعهم المعونة واللطف.

السؤال السابع: لماذا هنا وحد النور هنا وجمع الظلمة في الآية ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾؟

الجواب: للإشارة إلى وحدة حقيقة النور وأن الوحدة ذاتية للنور. وللإشارة إلى كثرة الظلمة وأن الكثرة ذاتية لها.

السؤال الثامن: لِمَ لم يأتِ بأداة العطف هنا في هذه الآية، مع أن المثل هنا متفرع على شراء الضلالة في الآية السابقة، فلم يقل: (ومثلهم كمثل الذي...)؟

---

(1) الحديد: ١٣

الجواب: جعله مستأنفا لجواب سؤال مقدر تجديدا لنشاط السامع بتغيير الأسلوب.

السؤال التاسع: لماذا أسند ذهاب النور إليه تعالى في الآية: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟

الجواب: إسناد الإذهاب إليه تعالى؛ لأنه المسبب للإطفاء سواء كان ريح أم مطر أم غيره، فالكل راجع إليه بواسطة الأسباب. أو جزاء منه تعالى بعدما اختاروا طريق الضلالة.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: ضرب الأمثال بيان للحقائق

الغرض من المثل هنا ليس مجرد التأثير في النفس، بل بيان حقيقة الأمر وملاكه وروحه، فالألفاظ المذكورة في هذه الآية من النار والاستيقاد والإضاءة والنور والذهاب والظلمات وغيرها، كلها محمولة على الحقيقة مشهودة بنظر البصيرة، بل هي حقيقة أحوالهم الباطنة التي هم عليها من الأحوال، أما الأفعال الظاهرة هي مثال لتلك الأحوال.

الدرس الثاني: ضرب المثل أوقع في القلب

يضرب الله الأمثال للناس في كتبه، لزيادة التوضيح والتقرير فإنها أوقع في القلب وأقمع للخصم؛ لأنها تُري المتخيل محققا والمعقول محسوسا.

الدرس الثالث: الظلمة من آثار الابتعاد عن الدين

المراد بالظلمات في الممثل له شؤون النفس المتراكمة، فان الإنسان كلما ازداد بعدا من نور الإسلام ازداد توغلا في شؤون النفس المظلمة.

الدرس الرابع: الظلمة عارضة على الإنسان

تعريف النور هنا بالإضافة وتنكير الظلمات إشارة إلى كون النور ذاتيا للإنسان والظلمة عرضية له. وقد جمعت الظلمات هنا للمبالغة بشدتها، فكأنها ظلمات متراكمة.

الدرس الخامس: الإسلام نور للنفس

المراد بالنور هنا الأعم من النور الظاهري من إيقاد النار والنور المعنوي، الذي هو الإسلام كما في قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[1].

الدرس السادس: المنافقون أسوء من البهائم

عبر تعالى بقوله: ﴿لاَّ يُبْصِرُونَ﴾: لعله إشارة إلى أنّ هؤلاء المنافقين أسوء حالاً من البهائم والحشرات، فان بعضها يبصر في ظلمات الليل.

الدرس السابع: كشف سرائر المنافقين

في هذه الآية الكريمة كشف عن صفة المنافقين كشفا تاما وأبرزها في معرض المحسوس المشاهد.

---

(١) الزمر: ٢٢

الدرس الثامن: الحق واحد والباطل متعدد

وحد النور هنا في قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ مع تكثير الظلمات ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾، إشارة إلى أن الحق واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل سواه. بخلاف طرق الباطل فإنها متعددة ومتشعبة.

تفسير: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [١٨]

المعنى العام

اللغة: (الصم): السد: وهو الذي لا يسمع[١]. **(البكم)**: الاعتقال في اللسان: وهو آفة يمنع من الكلام[٢]. **(العمى)**: الضرارة، رجل ضرير، وهو ذهاب الإدراك بالعين.[٣]

المعنى: شبههم الله بذلك؛ لأنهم لا يحسنوا الإصغاء إلى أدلة الله تعالى فكأنهم صم، وإذا لم يقر بالله وبرسوله فكأنهم بكم، وعندما لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض فكأنهم عمي،عندما لم تصل إليهم منفعة هذه الأعضاء، فكأن هذه الأعضاء ليس لهم، وأخبر عنهم أنهم لا يرجعون عن الضلالة إلى الهدى.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: كيف صح وصفهم بالصم، والبكم، والعمى بعد وصف حالهم في الآية السابقة ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: المعتمد في الكلام على ضرب المثل لهم في الدنيا في

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي، ج٢ ص٦٣٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٥٢.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص٤٨٣.

الانتفاع بإظهار الإيمان. أو: اعتراض بين مثلين بما يحقق حالهم فيها على سائر أمرها، فيكون زيادة في توضيح حالهم وبيان شدة ضلالهم.

الجواب الثاني: الآية تحكي حالهم يوم القيامة، وما هم عليه من الصم والبكم والعمى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا**﴾[1] فلا محذور.

السؤال الثاني: هل أن حمل هذه الألفاظ على مبنى الحقيقة، أو على مبنى المجاز والاستعارة؟ وهل أن المنافقين صم وبكم وعمي حقيقةً وواقعاً؟

الجواب الأوّل: حمل هذه الألفاظ الثلاثة على المجاز والتشبيه، لحالهم بحال من أيعته مشاعره وانتفت قواه، فلا يمكن أن نحملها على الحقيقة؛ لأن المنافقين ليسوا واجدين لهذه العيوب الخلقية، بل يسمعون بآذانهم ويتكلمون بألسنتهم وترى أعينهم.

الجواب الثاني: حملها على الحقيقة؛ إمّا لأن السمع والبصر لكل منهما كوة إلى الخارج وكوتان من جهة الباطن إلى عالم الملائكة، فيكون الصم والعمى: عبارة عن سد الكوتين حقيقة. أو من جهة حالهم بالآخرة فهم صم وبكم وعمي حقيقة لقوله تعالى: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا**﴾[2].

الجواب الثالث: جواز الأمرين: حيث أن المنافقين بعد ما كانوا على تلك الحالة الدنيئة الفاسدة لا يمكن أن يحكم عليهم بأنهم يسمعون ويبصرون

---

(1) الإسراء: ٩٧

(2) الإسراء: ٩٧

وينطقون ويدركون، فإن من لا نفع له في سماعه ولا في بصره ونطقه ولا في إدراكه فليس إلا الصم والبكم والعمى واقعاً أدعائيا، فلا مجاز بمعناه المعروف، ولا تشبيه، ولا استعاره، بل هي حقيقة، أما إذا كان بإرادة المعنى الموضوع له بأن السمع وغيره هو السمع المعروف، فيكون من باب المجاز.

السؤال الثالث: ذكر (عمي) هنا في الآية، بعد قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ أليس فيه تكرار؟ أو قل خلاف الإيجاز، من جهة أنه تعالى نفى عنهم الإبصار بالكلية في الآية المتقدمة عليها، فلا يحتاج ذكر العمى ثانيا؟

الجواب: إنّ قوله تعالى في الآية السابقة: **﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾** لا يثبت إلا العمى بالعرض، أي إنهم لا يبصرون لأجل المانع وهو الظلمة، أو لأجل عدم المقتضي للإبصار، وهو عدم وجود النور والاستنارة التي هي من شرط الإبصار والبصيرة. أما قوله: **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾** دليل على أنهم بذواتهم لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون.

السؤال الرابع: ما هو المراد من معنى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾؟

الجواب: لا يرجعون عن شراء الضلالة بالهدى، أو لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه. وهذا ما يؤيده: قوله تعالى في الآية: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾**[1]. أو المراد منه الذم والاستبطاء.

السؤال الخامس: ما هو السر في حذف العاطف والمبتدأ في هذه الآية الكريمة: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾، فلم يقل: هم صم وبكم وعمي؟

الجواب: لأن في ذكرهما خروجا عن الوزن المطبوع والصوت الموزون،

---

(1) البقرة: ٧.

وكذلك فيه إيماء وإشعار إلى توغلهم في هذه الأمور، وإرشاد إلى نشاط المتكلم في توصيفهم بهذه النقائص الروحية والجسمية أحيانا، فكان الإيجاز في المقام أوفق بأسلوب الكلام.

السؤال السادس: ما هو الفرق بين الأخرس وبين الأبكم؟

الجواب: البكم أن يولد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر، بكم بكما وبكامة، وهو أبكم وبكيم أي أخرس بين الخرس، قال ابن الأثير: البكم جمع الأبكم وهو الذي خلق أخرس. قال الأزهري: بين الأخرس والأبكم فرق في كلام العرب: فالأخرس خلق ولا نطق له كالبهيمة العجماء، والأبكم الذي للسانه نطق وهو لا يعقل الجواب، ولا يحسن وجه الكلام[1].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: تعطيل حواس المنافقين

في الآية إشارة إلى أن المراد بالسمع ما سمع الحق لا غثاء الكلام، واللسان ما نطق بالحقيقة لا بالهذر، والعين شاهدت محل العبرة لا عاديات المحسوسات، وهؤلاء عطّلوا هذه الأجهزة الفخمة عما أُريد بها من حقائق راهنة.

وعليه أنّ المراد من هذا المثل أن المنافقين لم يشعروا بما يفعلون فهم بمنزلة الأعمى الأصم الأبكم؛ لأنهم تمادوا في الغي والضلال. فيكون المنافق متحد الذات مع الأصم والأبكم و الأعمى، لوصولهم في الانحطاط والتنازل إلى حدود الإعدام التي يحكم عليها أنهم لا يرجعون.

---

(1) أنظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢ ص ٥٣.

الدرس الثاني: حرمان المنافق من الخير

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ إشارة إلى أنهم حيث صموا وبكموا وعموا لم يزج فيهم الخير أبداً، ﴿وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء﴾[١].

الدرس الثالث: إصابة القلب بالعمى

العمى في القلب كالعمى في العين. بآفة تمنع من الفهم وتعميه، كما جاء في المثل: حب المال قد أعمى فلاناً وأصمه، ولا يريد نفي حاسته، لكنه إذا أشغله عن الحقوق والقيام بما يجب عليه قيل أصمه وأعياه.

---

(١) الأنبياء: ٤٥

تفسير: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذانهم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرينَ﴾ [١٩]

المعنى العام

اللغة: (الصيب): من صاب يصوب، وهو المطر الغزير ويقال للسحاب أيضاً[١]. **(السماء)**: كل ما علاك، ومنه قيل لسقف البيت سماء.[٢] **(الرعد)**: هو الصوت الذي يسمع من السماء، وسببه على المشهور: اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا ساقها الريح.[٣]

(البرق): هو اللمع: ما يلمع من السحاب بواسطة اصطكاكها.[٤]

(الصاعقة): قصفة رعد أي شدة صوت منه ينقص معها شقة، أي قطعة نار.[٥]

(الحذر): الخيفة، حذر الشيء إذ خافه.[٦]

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي، ج٢ ص٦٤٢.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٢٩٨.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٢ ص١٧٩. وتفسير كنز الدقائق، المشهدي، ج١ ص١٥٥.
(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١٠ ص١٤.
(٥) مجمع البحرين، الطريحي، ج٢ ص٦١١.
(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج١ ص٢١.

المعنى: هذا مثل ثاني مثّل الله به حال المنافقين، أنهم كقوم أصابهم في ليلة ظلماء مطر شديد أظلمت له الأرض وأرعدت السحب وأبرقت، فصاروا يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفا وفزعا من الصواعق، التي يكاد صوتها المرعب يمزق الأذنان، والله محيط بهم لا يفلتون منه إذا أراد بهم شيئا.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: إن كان المثلان للمنافقين فلِمَ عبر بــ(أو) في قوله تعالى: (أو كصيب) فان التعبير بــ(أو) لا تكون إلا للشك، حيث أنها موضوعة للشك من المخبر عما أخبر به؟

الجواب الأوّل: إن (أو) قد تستعمل بمعنى (الواو) كما تستعمل للشك، حسب ما يدل عليه سياق الكلام، وهذا ثابت عند العرب قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر.

والمراد وكانت له أي الخلافة. أو قول الشاعر توبة بن الحمير:

وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها[1]

فهنا في البيتين استعملت (أو) بدل الواو ومثل هذا كثير.

الجواب الثاني: في الآية الكريمة تخيير كأنه قال إنكم مخيرون، بأن تمثلوا المنافقين تارة بموقد النار، وبمن حصل في المطر، كما يقال جالس الحسن، أو ابن سيرين. أي أنت مخير في مجالسة مَن شئت منهما.

السؤال الثاني: الإطناب وتكثير التمثيل في توضيح أحوال المنافقين المنحرفة، خــلاف

([1]) انظر للبيتين: لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٥٥، وخزانة الأدب، البغدادي،ج١١ ص٧٣.

أسلوب البلاغة؟

الجواب الأوّل: إن التكرار لا يكون من الإطناب إذا كان فيه توجيه المؤمنين إلى تثبيت أقدامهم على أمرهم، وترسيخ ملكاتهم في نفوسهم.

الجواب الثاني: وجود فارق بين المثاليين، الأوّل: هو باعتبار فساد قوتهم العلمية التي من شانها مشاهدة أنوار الحقائق، وأمّا الثاني فهو باعتبار بطلان قوتهم العملية التي من شئنها سلوك طريق الحق بها.

الجواب الثالث: يمكن أن يكون المثال الأوّل لفرقة منهم أي من المنافقين، والمثال الثاني للفرقة الأخرى منهم فلا تكرار.

السؤال الثالث: إن قيد (السماء) في قوله هنا ﴿مِنَ السَّمَاء﴾ غير لازم؛ لأن السبب وهو الصيب أي المطر بالطبع من السماء؟

الجواب الأوّل: في ذلك تهويلاً وإيماء إلى ما يؤذيهم، جاء من فوق رؤوسهم، وفي ذلك نوع بلاغة كقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[1].

الجواب الثاني: إن حكمة (صيب) متخذه من الإصابة صاب يصوب، كما تقدم في التفسير اللغوي، وليست بمعنى السحاب إلا باعتبار ما يصيبه إلى ما دونه من الأمطار وغيرها، فعلى هذا يكون القيد في محله؛ لأن الإصابة تتحقق من كل مكان فلابد من القيد بالسماء حتى يدل على المطر.

الجواب الثالث: إن كثيراً ما يقتضي حسن الأسلوب ولطف ترنم الكلام وأصوله المعتدلة أمثال هذه الإضافات؛ لأن الكلام بها يدخل في القلوب ويرسخ

(1) الحج: ١٩

فيها ويوجب انقلابا روحياً، وقد عرفت أن القرآن نظرته العليا ومقصده الأعلى جلب القلوب إلى التوحيد من غير الالتزام ببعض هذه اللوازم، التي ربما تكون صحيحة في حد ذاتها، ولكنها صحيحة ولازمة بالقياس إلى تلك الفكرة الأصلية الرئيسية.

السؤال الرابع: ما هو السر في اختلاف الأوصاف من حيث الإفراد والجمع في (الظلمة، والرعد، والبرق) في قوله هنا ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، فقد جاءت لفظة الظلمة بصيغة الجمع، بخلاف الرعد والبرق فقد جاءا بصيغة الإفراد، مع أن العكس أنسب، فان الظلمة عدم النور فلا تكثير، بخلاف الرعد والبرق؟

الجواب الأوّل: إن الظلمات تومي إلى أنواع الظلمة، فان كان الصيب هو المطر فظلماته: ظلمة تكاشفه وتتابع قطره، وظلمة ظلال غمامه، وظلمة الليل فصارت ظلمات متعددة تستحق الجمع. وإن كان الصيب هو السحاب: فظلمة سجمته وسواده، وظلمة تطبيقه مع ظلمة الليل. أما إفراد البرق والرعد، لكونهما نوعا واحدا لعدم اجتماع أنواع الرعد والبرق في السحاب الواحد.

الجواب الثاني: إن الإفراد لا يحتاج إلى دليل حتى يقال لماذا لم يجمع، بخلاف الجمع؛ لأنه خروج عن الطبع، وقد مر وجه جمعه في الجواب الأوّل.

الجواب الثالث: الرعد والبرق لا يقبلان الجمع، باعتبار كونهما اسمين لحاصل المصدر، ولذا لم يسمع جمعهما إلا شاذا[1].

السؤال الخامس: ما هو مرجع الضمير هنا في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ﴾،هل هم المنافقون أو هم أصحاب الصيب؟

---

(1) تفسير القرآن، سيد مصطفى خميني، ج٤ ص١٨١.

الجواب الأوّل: نفس المنافق لا الذين يصيبهم الصيب الكذائي؛ لأن المقصود هو تمثيل المنافقين بهؤلاء الناس في هذه الحالة.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون المنافقون أنفسهم في هذه الحالة هكذا أي يجعلون أصابعهم... وهذا في نهاية اللطف وغاية الوجازة، وفيه إفادة أنّ المشبه به لا يلزم أن يكون غيرهم، بل هو عينهم فشبهت حالتهم بالنظر إلى إظهار الإسلام ونفاقهم بحالتهم إذا أصابهم الصيب من السماء، ولعل حذف المضاف من صدر الآية للإيماء إلى هذه النكتة ايضا، فيكون المقصود حال المنافقين عندما يسمعون هدى الإسلام كحالهم عندما يصيبهم المطر الغزير من السماء.

السؤال السادس: **كيف يمكن جعل الأصابع في آذانهم، كما عبرت الآية: ﴿يجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ فان ذلك متعذر بحسب التكوين؟**

الجواب: المراد من الآية يجعلون أناملهم، فان جعل الأنامل عين جعل الأصابع؛ لأنها جزء منهما فيصدق ذلك، فيكون من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء.

السؤال السابع: **يفهم من الآية الشريفة من قوله تعالى: ﴿واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ﴾ أن الإحاطة مختصة بالكافرين دون غيرهم؟**

الجواب: إنه تعالى عالم بهم ومقتدر عليهم وعلى غيرهم ولكن خصهم هنا لما فيه من التهديد والوعيد، ولكونه تقدم ذكرهم. مع أن معنى إحاطة الله إنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة.

السؤال الثامن: **ما هو السر في تأخير هذا المثال الذي جاء في الآية: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ...﴾ على ما قبله من الآية السابقة؟**

الجواب: السر في تقديم المثال الأوّل وتأخير الثاني: هو أن التمثيل الأوّل باعتبار قوتهم العقلية، والعلمية، والثاني باعتبار قوتهم العملية، فالتقديم والتأخير على طبق مقتضى الطبع.

السؤال التاسع: ما هي العملية التي يتألف من خلالها المطر؟

الجواب: هي ارتفاع هواء حار مثقل بالرطوبة وعندما يبلغ علواً معيناً، يبرد هذا الهواء وعندما تزداد درجة البرودة لا يبقى بوسعه احتمال الرطوبة على شكل بخار الماء مدة أطول، ولذا تتحول الرطوبة الفائضة إلى قطرات ماء صغيرة أو نتف ثلج. وهذه العملية استفاد منها الكائن البشري باسم (المطر الاصطناعي) فقد استفاد منه الانجليز حينما أصاب شمال بريطانيا موجة من القحط والجفاف، بواسطة ثلج ثاني أكسيد الكاربون الجاف، أو مواد كيميائية أُخرى تنثرها الطائرات بين الغيوم العالية، فينتج عن ذلك هبوط درجة الحرارة مما يكثف القطرات الناعمة المتطايرة فيما بين الغيوم فتثقل وتتساقط على هيئة أمطار[1].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: شدة الهول على المنافقين

تنكير الصيب في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾، للتهويل: أي نوع من المطر هائل وشديد، وتعريف السماء ليدل على تطبيق السحاب لكل آفاقها لا من أفق واحد.
لذلك عبرت الآية: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ﴾ والحال أنهم يجعلون أناملهم، وهي أطراف الأصابع، فيكون التعبير للمبالغة من شدة الأمر عليهم وخوفهم.

---

(1) مجلة البصائر العدد، ٣ ص١٥٦

الدرس الثاني: توبيخ المنافقين

الآية: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ﴾، كان المنافقون يخافون أن يعلن النبي صلى الله عليه وآله عن نفاقهم وكفرهم، فحينما يسمعون لعناً ووعيداً لمن خالف الإيمان ونكث البيعة، كانوا كأنهم يجعلون أصابعهم في آذانهم، لئلا يسمعوا فيشاهد تغير حالهم، أو تغيير لونهم فيعرف المؤمنون أنهم المعنيون بذلك.

الدرس الثالث: اختصاص المنافقين بهذين المثلين

في الترديد والتخيير في المتخيل إفادة أنّ حالهم لا يخلوا من أحد هذين المثالين، فيكون التفصيل قاطعا لشركة، بمعنى أنهم أي المنافقين لا شريك لهم في هذه.

الدرس الرابع: دلالتها على تخفي المنافق وتحقيره

تنكير الصيب في الآية إيماء إلى تنكير المشبه، فان المنافق نكرة وغير معلوم، وفي ذلك إشعار بهتكهم ووهنهم مع عدم معرفتهم.

الدرس الخامس: كشف ستر المنافقين

التعبير عن المنافقين بالكافرين في قوله تعالى: ﴿واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ﴾ لما فيه كشف سترهم وتوضيح باطنهم، ولأجل ذلك أتى بالمظهر موضوع المضمر أيضا، إيفاءً بذلك وتأدية حق الأمر بالنسبة إلى المؤمنين، حتى لا يختفي عليهم شيء من سوء تدبيرهم وقصدهم.

الدرس السادس: الإسلام ربيع للقلوب

شبه دين الإسلام بالمطر؛ لأن القلوب تحيى به كما تحيى الأرض بالمطر، وشبه ما يتعلق به من شبهات الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد

والبرق وما يصيبه من أهل الإسلام بالصواعق[1].

(1) تفسير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي، ص ١٠٩

تفسير: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢]

المعنى العام

اللغة: (**الخطف**): الاستلاب أي السلب، وقيل: الأخذ في بسرعة.[١] (**قاموا**): وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين.[٢] (**القدرة**): الاقتدار، والإطاقة، التمكن.[٣]

المعنى: يكاد اللمع الذي في السحاب أن يسلب أبصارهم من شدته، والمطر الشديد يضطرهم إلى الفرار، فكلما أضاء لهم البرق مشوا على نوره، وإذا عاد الظلام وقفوا حائرين، حيث لا يدرون أين يذهبون، ولو أراد ربك لأصمهم وأعماهم، وانه على كل شيء قدير.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو مرجع الضمير من لفظة (فيه) في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاء لَهُم

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٩ ص٧٥.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٤٩٧.
(٣) انظر: مجمع البحرين، الطريحي، ج٣ ص٤٦٦.

مَّشَوْاْ فِيهِ﴾؟

الجواب: يرجع إلى محذوف وهو الممشى، ويدل عليه كلمة مشوا. والتقدير كلما أضاء لهم فيه الممشى مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم فيه الممشى قاموا أي وقفوا.

الجواب الثاني: يرجع إلى البرق؛ لأنه وان لم يجز المشي في البرق حقيقة، ولكنه يجوز الإسناد إليه مجازا، لحسن الاستعمال ولطف الكلام.

السؤال الثاني: **كيف صح إسناد الإظلام إلى البرق في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ فالبرق بذاته لا يؤدي إلى الظلام؟**

الجواب: الإسناد هنا يشتمل على لطف بديع؛ وذلك لأن البرق ربما يضيء وربما ينفى وجوده، فتكون الظلمة، فإنها مستندة إلى البرق وعدمه. فالبرق بما هو هو لا موجود ولا معدوم، وإذا وجد أضاء وإذا انعدم أظلم بعدمه فيصح الإسناد، وهو في غاية اللطف والبلاغة.

السؤال الثالث: **لماذا خص الله تعالى بذهاب بعض الأعضاء، كحاسة السمع في الآية السابقة، وحاسة البصر هنا في الآية: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ دون غيرهما، مع أنه قادر أن يستأصلهم كليا؟**

الجواب الأوّل: لأنه جرى ذكرهما في الآيتين، أمّا الأوّلى قوله تعالى: **﴿يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾** وأمّا الثانية قوله: **﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾**، فلما جرى ذكرهما على وجه المثل عقب بذلك، بأن لو شاء أذهبهما من المنافقين.

الجواب الثاني: لأن غالب الادراكات في نوع الناس إنّما يرجع إلى السمع

والإبصار.

السؤال الرابع: عبرت الآية ﴿بِسَمْعِهِمْ﴾ بغير الجمع، فلم يقل بأسماعهم، بينما نراهـا جمعت الأبصار؟

الجواب: لأن السمع مصدر يدل على الجمع. أو انه واحد موضوع للجمع فكأنه أراد (بأسماعهم) قال الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص(١)

فهنا أراد البطون في بطنكم.

السؤال الخامس: ما هو مدى وسعة القدرة هنا؟ هل تشمل المعدوم والواجب أم تختص بالممكن؟

الجواب الأوّل: إنّه قادر على الأشياء كلها على ثلاثة أوجه: على المعدومات بأن يوجدها، وعلى الموجودات بان يفنيها، وعلى مقدور غيره بان يقدر عليه، ويمنع منه، فتكون القدرة غير متناهية؛ لأنها راجعه إلى عين الذات التي هي غير متناهية، إلا ما كان ممتنعا بذاته، فإنّ القدرة لا تشمله؛ لأنه ضعف بالقابل لا بالفاعل.

الجواب الثاني: هو خاص بمقدوراته دون مقدور غيره، فإن مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن أن يكون؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون الشيء الواحد موجودا ومعدوما(٢).

السؤال السادس: ما هو المراد من الشيء هنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) خزانة الأدب، البغدادي، ج٧ ص٥٢٨.

(٢) أنظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص١٢٠.

قَدِيرٌ﴾؟ هل يشمل الواجب، والممتنع، أو يختص بالممكن فقط؟

الجواب: المراد منه هو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الواجب والممكن والممتنع، والدليل على أنه يعم الواجب قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[1] فعبر عن الواجب (الله) بالشيء.

السؤال السابع: لماذا عبر في الآية مع الإضاءة بـ(كلما) في قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ ومع الإظلام بـ(إذا) كما في قوله: ﴿وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾؟

الجواب: إشارة إلى أنهم أحرص على المشي، كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها بخلاف التوقف.

السؤال الثامن: ما هي الثمرة والفائدة المتوخاة من ذكر هذه الآية المباركة: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ... الخ﴾، بعد ما اتضح مضمونها في الآية السابقة عليها؟

الجواب: لو لم تذكر هذه الآية لكانت الآية السابقة ناقصة من ناحيتين. الأوّلى: من ناحية بيان ابتلائهم بالظلمات. والثانية: من ناحية بيان ابتلائهم بالبرق، فإن الآية السابقة تعرضت لجهة ابتلائهم بالرعد ﴿يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ﴾ فانه يناسب الرعد والأصوات المزعجة، ولأجل ذلك أتت الآية اللاحقة لبيان حال ابتلائهم بالظلمات، والبرق على سبيل اللف والنشر غير المرتب.

السؤال التاسع: كيف يمكن تطبيق المثل على واقع حال المنافقين هنا في قوله ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ...الخ﴾؟ أو قل: كيف يمكن تطبيق المثل على واقع حال المنافقين؟

الجواب الأوّل: المراد يكاد ما في القرآن من الحجج النيرة يخطف قلوبهم من شدة انزعاجها إلى النظر في أمر دينهم، كما أن البرق يكاد يخطف أبصارهم

---

(١) الأنعام: ١٩

وكلما دعوا إلى خير وغنيمة أسرعوا، وإذا وردت شدة على المسلمين تحيروا لكفرهم، ووقفوا كما وقف أُولئك في الظلمات متحيرين.

الجواب الثاني: إذا آمنوا ظاهراً وادعاءً صار الإيمان لهم نورا، ولهم ما لغيرهم من المؤمنين، فإذا ماتوا عادوا إلى ظلمات العقاب.

الجواب الثالث: قيل هم اليهود لما نصر الله المسلمين ببدر قالوا هذا الذي بشر به موسى عليه السلام، فلما نكبوا بأحد وقفوا وشكوا[1].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الشبهات تصد عن الإيمان

الآية تشير إلى أن القرائن والآيات البينة، والحجج القيمة تشتمل على أدلة قويمة، وبراهين قاطعة، فيظهر لهم الحق ويلمع في نفوسهم نور الإيمان، كالبرق الخاطف يخطف قلوبهم فيزمعون على إتباعه، ولكن الشبهات والآراء الفاسدة تعترضهم على حيرة من أمرهم.

الدرس الثاني: الشريعة طريق للخير ودفع للشر

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾، أشار إلى أن القرآن والشريعة يشتملان على بيان المصالح النوعية والترغيب إلى الخيرات، والتأكيد في دفع المضار وأمثال ذلك، وهذا هو الذي يضيء لهم فيمشون فيه.

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص ١١٥

الدرس الثالث: الشريعة مخالفة لمشيئة المنافقين

تشير الآية في قوله: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ أن القرآن، وأحكام الدين تزجرهم عما يخالف مشيئتهم النفسانية، فيظلم عليهم، فيتحيرون في أمرهم.

الدرس الرابع: هدف المنافق المصالح المادية

إن الآية المباركة بينت أن تمام طبيعة المنافقين هو انتظار المنافع المادية، فإذا أضاء لهم يعقبون في مرادهم، وإذا اظلم عليهم فلا يتدبرون في شيء من الأشياء.

الدرس الخامس: الماء والنار مصدر الإضاءة والحياة

ضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين: مثلا ناريا ومثلا مائيا؛ لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق و الإحياء.

تفسير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٢١]

المعنى العام

اللغة: (**العبادة**): هي الطاعة، وهي غاية الخضوع والتذلل[١]. (**الرب**): المالك والسيد والمصلح والمدبر والمربي[٢]. (**الخلق**): إيجاد الشيء على تقدير واستواء[٣]. (**لعل**): للترجي والإشفاق[٤].

المعنى: الآية الكريمة تأمر الناس بالطاعة، والعبادة لله عز وجل، وتذكرهم أنه هو الذي أوجدهم، وأوجد آبائهم، وهذه من أكبر النعم عليهم.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: لفظة (يا) موضوعة لنداء البعيد، فكيف صح استعمالها للقريب في هذه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ...﴾؟

الجواب: نُزّل القريب منزلة البعيد، وذلك: إمّا لعظمته كـ(يا الله)، أو لغفلة الإنسان وبعده عن الله، أو للاعتناء بالمدعو له.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص٣٧٣.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١ ص٢٩٩.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري، ج١ ص٢٢٨.
(٤) مجمع البحرين، الطريحي، ج٣ ص٢٢٣.

السؤال الثاني: ما هو المراد من الناس في هذه الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ...﴾؟ هل هم عموم الناس وفي كل الأمكنة والأزمنة، أو طائفة خاصة في عصر خاص؟

الجواب الأوّل: المراد منهم جميع الناس مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم؛ لحصول العموم فيها، فان الجموع وأسمائها المحلاة باللام للعموم لا للعهد، إلا من ليس بشرائط التكليف من المجانين والأطفال، فيكون النداء تنبيه الغافلين وتعريف الجاهلين وتهييج المطيعين، وكذلك يعم الموجود منهم في زمن الخطاب ومَن سيوجد، فهي أمرا للجميع بعبادة الله وحده.

والدليل: إن القضايا على نحوين خارجية وحقيقية، والأوّلى (الخارجية) تختص بمَن وجد بالفعل، ولا تشمل من سيوجد مثل: أكرم من في السفينة. والثانية (الحقيقية) تشمل مَن وجدوا ومَن سيوجدون، مثل: اعدلوا أيها الحكام، فان هذه القضية تنطبق على كل حاكم موجود بالفعل أو بالقوة، وقوله تعالى في هذه الآية من هذا الباب أي على نحو القضية الحقيقية.

الجواب الثاني: المخاطب هنا هم الموجودون من المكلفين؛ لقبح خطاب المعدوم، وكل مَن وجد بعد ذلك فهم يدخلون في الخطاب من جهة العلم بالمشاركة، أو بدليل خارجي آخر. والمراد من المخاطبين الموجودين أهل مكة؛ لأنها نزلت بمكة.

السؤال الثالث: إنّ الحكم بدخول الكافر تحت الأمر بالعبادة فيه إشكال، وهو كون الإنسان عابداً متوقف على كونه مؤمنا عارفاً؛ لأن عبادة من لا يعرف ممتنعة والموقوف على الممتنع ممتنع أيضا، فكون الكافر مأمورا بالعبادة ممتنع؟

الجواب: إن مراتب الإيمان مختلفة ومتفاوتة كمراتب العبادة، واقلها ما هو حاصل لكل أحد بالفطرة الأوّلى التي فُطِرَ الناس عليها، وذلك يكفي لتوجه الخطاب إليه وورود التكليف وقيام الحجة.

السؤال الرابع: **كيف جاز أنّ يكون هذا الخطاب هنا في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ...﴾ مع المؤمنين وهم يعبدون الله، فان أمرهم بالعبادة تحصيل الحاصل؟**

الجـواب: الأمر متوجه إلى المؤمنين بفعل الزيادة لها، والاستمرار فيها، والمواظبة عليها، والاجتهاد في استخراج أدلتها.

السؤال الخامس: **قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ...﴾ أمر للكل بالعبادة، فهل هو أمر بكل العبادة، فيلزم منه التكليف بما لا يطاق لمن تعذر عليه أداؤها بالكامل؟**

الجواب الأول: إنه أمر بما تيسر من العبادة وبما يستطيع تحقيقه، كما في قوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[1] وهو متفاوت حسب تفاوت المكلفين قوة وضعفا.

الجواب الثاني: عدم دلالة الأمر على وجوب كل المأمور به؛ بأن معنى أُعبدوا: هو إدخال هذه الماهية في الوجود؛ لان الفعل يتضمن مفهوم الحدث ومعناه لا غير فإذا أتى المكلف بفرد من أفراد الماهية فقد ادخل الماهية في الوجود؛ لأن كل فرد من الماهية مشتمل عليها فالآتي بفرد من العبادات آت بالعبادة بما اقتضاه قوله ﴿اعْبُدُواْ﴾.

السؤال السادس: **إن مخالفة التكاليف وترك العبادات من العبد لماذا يصير منشأ للعذاب وباعثا له تعالى على العقاب، مع أنّه سبحانه وتعالى مستغن عن طاعة العبد ومنزّه عن لذة**

([1]) المزمل: ٢٠

الانتقام؟

الجواب: إنّ تكليف الله عباده يجري مجرى تكليف الطبيب، فإذا غلب عليه الحرارة أمره بشرب المبردات، وهو غني من شربه ولا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته ولكن النفع والضرر يرجعان إلى المريض، وإنّما الطبيب مرشد فقط فإن وافق الطبيب تخلص من ألم المرض، وإن لم يوافق وخالف تمادى به المرض وهلك، فكما أن الله خلق للشفاء سببا مفضيا إليه فكذلك للسعادة الأخروية سببا وهو الطاعة، فالعقاب على ترك الأوامر وارتكاب الخطايا ليس ذلك من الله غضبا وانتقاما على نحو غضبنا وانتقامنا، بل لأنه رتب الأسباب على المسببات فخلق نفس الإنسان على وجه يكملها و ينجيها الفضائل ويهلكها ويشقيها الرذائل.

السؤال السابع: لما كانت الفائدة من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ موجبة للعبادة، فما الفائدة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؟ مع أن خلق الله من قبلهم لا يقتضي وجوب العبادة عليهم بالضرورة؟

الجواب الأوّل: إنّ من قبلهم كالأصول ولأسباب لوجودهم، فخلقها يجري مجرى الأفضال على الفروع، فكأنه يقول: كنت منعماً عليك قبل أن وجدت بألوف السنين بخلق آبائك وأصولك.

الجواب الثاني: لإزالة شبهة أن الموجد للناس آباؤهم وأمهاتهم. وكذا إزالة شبهة عبدت الملائكة والهياكل العلوية. أو المراد تعدد منشأ العلم بالصانع ومأخذه لإثبات مقتضى العبادة وموجبها.

السؤال الثامن: إنّ كلمة (لعل) في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ للترجي والإشفاق ولا

يحصلان إلا عند الجهل بالعاقبة، وهو (الجهل) على الله محال، فلا يجوز رجاء الله تقواهم؛ لأنه عالم الغيب والشهادة؟

الجواب الأوّل: إنّ الترجي راجع إلى العباد لا إلى الله كقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(١) أي اذهبا أنتما إلى فرعون على رجائكما في إيمانه، مع أن الله عالم بما يؤول إليه أمره، فكذلك هنا أي اعبدوا ربكم راجين التقوى.

الجواب الثاني: (لعل) كلمة رجاء وإشفاق وتجيء في كلام الله العالم بالغيب لمناسبات كلامية صحيحة، منها: تبشير الطرف مما لا يخرجه إلى البطر والانقلاب من وضعه الحاضر، كما يقول: التلميذ المبرز في امتحاناته لأُستاذه الذي أعطاه ورقة امتحانه ووقف عليها بدقة، هل تراني يا أُستاذ من المقبولين؟ فيقول له أرجو أن تكون مقبولا، فان هذه الكلمة تقف أمام غرور التلميذ بنفسه وتحثه على المطالعة وحسن التفهم عند المحاضرة فهكذا يريد المعبود من عبده.

الجواب الثالث: استعملت لعل هنا بمعنى (اللام) والمعنى لنتقي، أو بمعنى (كي) والمعنى كي تتقون، وهذا ثابت في لغة العرب، كما أُنشد في ذلك:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا   نكف وثقتم لنا كل موثق وفي(٢)

والمراد لنكف، أو كي نكف.

السؤال التاسع: لماذا أُختير لفظ (الرب) هنا في قوله تعالى: (أُعبدوا ربكم)؟ ولم يقل اعبدوا الله؟

الجواب: اختار سبحانه في هذه الآية من أسمائه المقدسة لفظ (الرب)؛

---

(١) طه-٤٤

(٢) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، ج١ ص٩٩.

لاشتماله الربوبية المطلقة على جميع الكمالات الإلهية. وفيه إشعار بالحنان والرأفة بخلقه.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الأسلوب البلاغي يؤثر في قلب المخاطب

إن الله تعالى لما قدم فُرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأفعالهم البدنية والقلبية أقبل عليهم بالخطاب، وهو من جملة الالتفاتات التي تورث الكلام رونقا و بهاء و تزيد السامع نشاطا، كما انك تشكو من أحد مخاطبا لصاحبك: إن فلانا فعل كذا وكذا ثم تتوجه إليه مخاطبا إياه يا فلان ألزم الطريقة الحسنة واكتسب السيرة المرضية، فهذا الانتقال منك من الغيبة إلى مواجهة المقال يؤثر في قلبه ما لا يؤثر في استمرارك على لفظة الغيبة.

الدرس الثاني: من أساليب التبليغ تغيير الخطاب

هنا في الآية تحول من الغائب إلى المخاطب، وذلك لأن في العبادة كلفة ومشقة فلابد من راحة وهي تحصل بان يرفع ملك الملوك الواسطة من النبي ﷺ ويخاطبهم بذاته ويقول أريد منكم الخدمة فيستطاب التكليف و تستلذ العبودية.

الدرس الثالث: ارتباط العبادة بحياة الإنسان

الآية توحي بأن الدعوة إلى الإيمان بالله وإلى عبادته ليست خاضعة لموقف فكري بعيد عن حياة الإنسان وشعوره، بل هي خاضعة لإحساس الإنسان بوجوده ووجود الناس الذين من قبله ومرتبطة بحركة حياته وهو ينتقل في الأرض ليمارس عليها قضايا الحياة أو يتطلع بالآفاق التي تمنحه الشعور بالعظمة.

الدرس الرابع: القرآن منهج لكل البشر

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ تكرر في القرآن عشرين مرة تقريبا وهو نداء عام شامل، يشير إلى أن القرآن لا يختص بعنصر أو قبيلة أو طائفة أو فئة، بل يوجه دعوته إلى البشرية عامة لعبادة الله و توحيده.

الدرس الخامس: خطاب العموم يدل على نزولها بمكة

عن ابن عباس والحسن إنّ ما في القرآن من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فانه نزل بمكة وما فيه من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فانه نزل بالمدينة[1].

الدرس السادس: اختلاف درجات الناس بالعبادة

من عادة الله سبحانه في هذا الكتاب أن يخاطب جمهور المكلفين بـ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وأهل المعرفة والإيمان منهم بـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ وأهل الولاية والقرب بـ﴿يَا عِبَادِيَ﴾، تنبيهاً على تفاوت الدرجات وتباين الرتب والمقامات، فمن الناس من هو في طبقة النفس الحيوانية إلا انه قابل للترقي والتكليف وهم أكثر الناس، ومنهم من تجاوزها وبلغ حدود النفس الناطقة وهم العلماء، ومنهم من بلغ إلى مرتبة العقل بالفعل وهم عباد الله الربانيون.

الدرس السابع: خطاب الآية من جوامع الكلم

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يقول للكفار وحدوا ربكم وللعاصين أطيعوا ربكم، وللمنافقين اخلصوا معرفة ربكم، وللمطيعين اثبتوا على طاعة ربكم. واللفظ قابل لهذه الوجوه كلها وهو من جوامع الكلم.

---

(١) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص١٢٢.

الدرس الثامن: العبادة مقدمة للتقوى

يستفاد من الآية الشريفة أن العبادة مقدمة، لتحصيل التقوى التي هي أعلى مراتب العبادة. وعلى أن الموجب القريب للعبادة هي التربية.

الدرس التاسع: العبادات مدرسة لتعليم التقوى

نتيجة هذه العبادة هي التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فعبادتنا لا تزيد الله عظمةً وإجلالاً، كما إن إعراضنا عن العبادة لا ينقص من عظمته شيء، فهذه العبادات مدرسة لتعليم التقوى والتقوى هي معيار قيمة الإنسان وميزان تقييم شخصيته.

الدرس العاشر: نعمة الأبناء بفضل نعمة الآباء

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ بين سبحانه نعمته عليهم ونعمته على آبائهم؛ لأن نعمته عليهم (الأبناء) لا تتم إلا بنعمته على آبائهم.

الدرس الحادي عشر: الحذر عن الغرور

من فوائد إبراز لفظة (لعل) في الآية هي أن لا يحل العبد أبدا محل الأمن المدل بعمله، بل يزداد حالاً بعد حال حرصا عن العمل وحذراً من تركه.

الدرس الثاني عشر: إبطال التمسك بسنة الآباء المنحرفة

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لعله رداً على استدلال المشركين الذين برروا عبادتهم للأصنام بتمسكهم بسنه آبائهم، وكل شرك يعتري السيرة البشرية في حاضرها وسالفها هو انحراف عن الخط الصحيح.

تفسير: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٢]

المعنى العام

اللغة: (الأرض): الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون[١]. **(الفراش)**: البساط: وهو ما يفترشه النائم[٢]. **(البناء)**: هو المبنى: وهي هنا قبة والبناء بالأصل أعم من أن يكون بيتاً أو قبة[٣]. **(الثمر)**: حمل الشجر وأنواع المال والولد[٤]. **(الند)**: بالكسر المثل والعِدل والنظير[٥].

المعنى: بين الله تعالى في هذه الآية بعض النعم التي أنعم بها الإنسان أن جعل له الأرض ملائمة لطبائعهم موافقة لأجسادهم، ولم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقهم ولا شديدة البرودة فتجمدهم. ونعمة نزول المطر الذي فيه ريعان أراضيهم واسترزاقهم. ثم نهاهم عن الشرك به، وهم يعلمون أن عبادة غيره لا

---

(١) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص١٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٦ ص٣٢٦.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٩٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص١٠٦.

(٥) مختار الصحاح، محمد عبدالقادر، ص٣٣٤.

تقربكم لشيء أو تُنعم عليهم بشيء.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: المطر لا يترل من السماء، بل من السحاب المتجمع في أفق السماء، فكيف عبرت الآية أنه يترل من السماء كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء...﴾؟

الجواب: المراد من ناحية السماء. أو يراد بالسماء هنا السحاب، حيث ينطبق عليه المضمون اللغوي ـ كما تقدم ـ من السمو والعلو بالنسبة للأرض، فكل ما علاك يطلق عليه سماء[1].

السؤال الثاني: لمن وجه الخطاب هنا في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: الخطاب موجه لجميع الكفار من عبادة الأصنام وأهل الكتاب؛ لأن معنى قوله وأنتم تعلمون أي لا رب لكم يرزقكم غيره وأن ما تعبدوه لا يضر ولا ينفع.

الجواب الثاني: عني بذلك أهل الكتاب فقط؛ لأنهم الذين كانوا يعلمون أنه لا خالق لهم غيره، والعرب ما كانت تعتقد بوحدانية الله تعالى. لكن الجواب الأوّل أقوى، لأن العرب كانت تعتقد بوحدانية الله **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾**[2]. مع أن الآية السابقة خطاب لكل الناس.

السؤال الثالث: عبرت الآية بافتراش الأرض ويفهم من ظاهرها بمعونة اللام المفيدة للاستغراق أنها بأجمعها مسطحة ومفترشة، مع أنها ليست كذلك من حيث وجود الجبال والسهول؟

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٢٩٨.
(2) لقمان:٢٥

الجواب: افتراش كثير من قطعها يكفي، مع أن من الممكن أن تكون الجبال دخيلة جنس الفراش وفي الانتفاع منه بالنحو الأعلى والأليق، إضافة إلى أن الألف واللام في كلمة الأرض لا تدل على الاستغراق.

السؤال الرابع: إن افتراش الأرض، وجعل السماء بناءً، وإنزال الماء من السماء وإخراج الرزق من الثمرات، كل هذه النعم لا تختص بالإنسان، بل هي لكل المخلوقات فلا يكون موجباً لإيجاب العبادة ولزوم الخشوع والخضوع؟

الجواب: إن هذه التوجيهات ليست في مقام إفادة أن هذه المفاعيل والآثار مخصوصة بالإنسان بحسب الخلقة والاستفادة، بل كل هذه الآيات تجري مجرى التنبيه إلى أن العاقل والمتفكر لابدّ أن تكون عبادته لله الذي صنع كذا وكذا، وحيث أن الإنسان من جملة المرتزقين من هذه المواهب الجزئية والكلية فيتوقع منه الشكر والحمد؛ لكونه أهل للتفكر والتدبر فخص بالذكر، مع أن المخلوقات الأخرى خلقت مسخرة لخدمة الإنسان.

بعبارة أخرى: هذه التنبيهات لانتقال الإنسان إلى قوته المدركة العاقلة، وإلى أن العقل يدرك لزوم عبادة من هو يصنع كذا ويصنع كذا، أو لا يجوز أن يقابل إله العالم بأن هذه الأمور لا تختص بي حتى أقوم بواجبك، فإنه إن أدرك حقيقة الأمور وأدرك أن له اختصاصاً وهو العقل بمعنى خاص يتوجه إلى لزوم القيام بالتكليف.

السؤال الخامس: ما هو المراد هنا من قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: إنكم تعلمون أن الأصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها وإنها لا تضر ولا تنفع. أو المراد أهل التوراة والإنجيل دون غيرهم وهم يعلمون ذلك في الكتابين.

الجواب الثاني: إنكم تعقلون وتميزون، ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرائط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر وإصابة الحق.

السؤال السادس: ما هو المراد من الثمر هنا في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾؟ هل المأكول فقط أو الأعم فيشمل الملبوس وغيره؟

الجواب: المراد منه الأعم يشمل المأكول والملبوس فإن القطن ثمرة شجر كذلك.

السؤال السابع: إذا كانت (من) في قوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ للتبعيض هنا يلزم المناقضة، من حيث أن الجمع المحلى بالألف واللام يفيد العموم حسب الوضع عند الأصحاب، والتبعيض يناقض العموم، فلذا وجه البعض أنها زائدة ومنهم قال: للبيان؟

الجواب: الجمع المحلى بالألف واللام لا تفيد الاستغراق وضعاً، ثم إن (من) لابدّ وأن تكون للتبعيض؛ ضرورة أن كثير من الفواكه والثمرات ليست من الماء النازل من السماء[1].

السؤال الثامن: توجد مناقضة بين النهي عن جعل الأنداد لله تعالى وبين قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وذلك؛ لأنهم إذا كانوا عالمين فلا معنى لارتكابهم عبادة الأصنام والأنداد ولا للنهي عن ذلك، ولو كانوا جاهلين فلا موقع لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: تحريكهم إلى الإتباع والانصراف عن الشرك وعبادة الأوثان، وفي ذلك نوع تعمية أدبية وإصلاح مجتمع العرب في ذلك الوقت وتوجيه إلى أنه ينبغي أن يعلموا أن هذه الأمور، بل هم يعلمون، وغير ذلك من هذه العبائر المتعارفة في هذا المقام.

---

(1) راجع: تفسير سيد مصطفى الخميني للآية.

الجواب الثاني: يحتمل أن تكون الآية ناظرة إلى جميع الجاعلين الأنداد لله تعالى في أعمالهم وأفعالهم، والذين لم يجعلوا لكنهم في معرض الجعل، وهم عالمون بعدم صحة ذلك، فالآية تعرضت إلى تنبيه الأمة إلى ترك عبادة غير الله سواء كان من عبادة الأوثان أو كان من قبيل الرياء فالخطاب عام. وإن كان فيهم من لا يعلم بقبح أفعاله وفساد صنعه، ومن الممكن أنه أُريد بذلك أنهم يعلمون في المستقبل تبعات أفعالهم الفاسدة.

السؤال التاسع: ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا﴾؟

الجواب: أي سبب الماء بأن أودع فيه قوة فاعلية وفي الأرض قوة منفعلة فتولد من تفاعلها أصناف الثمار.

السؤال العاشر: ما هو الوجه في تقديم الأرض على السماء هنا في الآية المباركة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء﴾؟

الجواب: قدم الأرض على السماء في الآية؛ لأنها من أنفع الكرات وأعظمها فائدة للإنسان؛ ولأن فيها حياة النبات والحيوان والإنسان، والذي زاد فضلها أنها مهبط وحي السماء ومحل نشوء الأنبياء ومعبد الأوّلياء.

السؤال الحادي عشر: ممَ تتألف الأرض؟

الجـواب: الأرض كـرة كبيـرة الحجـم أو جسـم كـروي مؤلـف معظمـه مـن الصخر وفي داخل الأرض هذا الصخر مصهور، ولكن الغطاء الخارجي هو صخر صلد. واقل من ثلث مساحة الأرض يابسة وأكثر من ثلثين مياه.

السؤال الثاني عشر: كم هو عمر الأرض؟

الجواب: إنّ علماء آخرين غير علماء الفلك تناولوا هذه القضية ودرسوا طـول الوقـت الـذي يقتضيه أقـدم الجبـال ليبلـى، أو الوقـت الـذي تحتـاج إليـه البحـار والمحيطات لكي تجمع الملح الذي تحتويـه الآن، وعقـب كـل دراسـاتهم إتفـق هؤلاء العلماء مع الفلكيين أن عمر الأرض هو (٥) مليارات و(٥٠٠) مليون سنة[1].

السؤال الثالث عشر: كم هو وزن الأرض؟ وإلى كم يصل عمقها؟

الجواب: استطاع العلماء لمعرفة وزن كتلة الأرض بعملية القيـاس، فقـد قـاموا بقياس قوة جذب الأرض للثقل وقاموا بقياس قوة جذب طن من الرصاص للثقـل المعلق، وهكذا يتم الفارق النسـبي. فتحصـل عنـدهم أن وزن كتلـة الأرض نحـو (٦٦٠٠ تريليون طن). والمراد بالتريليون: هو رقم مؤلـف مـن واحـد وإلـى يمينـه (١٢صفراً) في الولايات المتحدة الأميركية وفرنسـا، أو (١٨ صـفراً) فـي إنكلتـرا وألمانيا. أما عمق الأرض يصل إلى (١٨٠٠ميل)، ثم هنـاك الجـزء الأعمـق وهـو القلب وشعاعه نصـف قطـره (٢١٠٠ ميـل)، أمـا مـادة القلـب فهـي سـائلة بسـبب الحرارة الهائلة في وسط الأرض[2].

---

(1) الموسوعة العلمية قل لي...، سمير شيخاني، ج١ ص٢١

(2) المصدر السابق ج١ ص٥١

السؤال الرابع عشر: لماذا قُدمت جملة (من الثمرات) على جملة (رزقاً) كما في الآية ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾؟

الجواب: إشعار بأن الإخراج متعلق بالثمرة أولاً والرزق غاية الإخراج وهي متأخرة بحسب الوجود الخارجي.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: أهمية الأرض في حياة البشر

خص الله الأرض والسماء فيما عدّ عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم؛ لأن فيها أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم، وبها قوام دنياهم. لذلك قد جاء في الآية التعبير عن الأرض بأنها فراش وعن السماء بأنها بناء وهما استعارتان، أريد بهما التدليل على معنى دقيق، فقد جاءت كلمة فراش لتعبر عن الراحة التي يحس بها الإنسان في وجوده على هذه الأرض كالراحة التي يشعر فيها الإنسان بالإغفاءة الهانئة على الفراش بعد تعب يوم مكدود. وقد جاءت كلمة بناء للإيحاء بالتماسك والقوة التي تمنع من السقوط بالرغم من أنها لا تعتمد على قواعد ثابتة في الأرض.

الدرس الثاني: من فوائد المطر وصوله إلى قلل الجبال

الحكمة في جعل نزول الماء من الأعلى هي من أجل وصوله إلى قلل الجبال وتلال الأرض وجميع أقسامها، بالإضافة إلى الفوائد الأُخرى.

الدرس الثالث: التفكر في الخلق يرشد إلى التوحيد

التطلع إلى الأرض وفيما تمنحه للإنسان من راحة بفعل القوانين الطبيعية المودعة فيها، وإلى السماء في تماسكها وفي خيراتها التي تغدقها على الإنسان

بدفعنا إلى رفض الأنداد والشركاء لله.

الدرس الرابع: السماء أمان لأهل الأرض

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاء﴾ يشير أن هناك سقفاً للأرض يقوم بحمايتها فلو لم يكن هذا السقف لتعرضت الأرض دوماً إلى رشق الشهب والنيازك السماوية المتناثرة، ولما كان للبشر من آمان ولا استقرار على ظهر هذا الكوكب، فيكون السماء جو الأرض والمراد بالسقف هو طبقة هوائية يبلغ سمكها مئات من الكيلومترات تعمل على إبادة كل الصخور المتجهة إلى الكرة الأرضية.

الدرس الخامس: البرهان ألآفاقي على وحدانية الله

الشروع في إقامة البرهان يكون من الصغير إلى الكبير ومن الأقرب إلى الأبعد فهنا أولاً: هو الذي خلقكم ثم هو الذي خلق من قبلكم من الآباء والأمهات والقبائل، ثم شرع في الأدلة الآفاقية على الاثنين بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً**﴾ فبعد قيام هذه الحجج المترتبة بالطبع أردف كلامه بقوله: ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**﴾.

الدرس السادس: الحذر عن الاستعانة بغير الله

قوله تعالى: ﴿**لاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**﴾ النهي عن مطلق المعونة بغير الله كما ورد عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **إياكم و (لو) فأنه من كلام المنافقين** [1]. وسئل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قوله: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[2] **قال قول**

---

(1) تفسير القرآن، سيد مصطفى الخميني، ج٤ ص٣٧٦

(2) يوسف: ١٠٦

الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لأصبت كذا.[١]

الدرس السابع: حرارة باطن الأرض تذيب الصخور

توصل العلماء إلى معرفة أُمور عن داخل الأرض من دراساتهم للزلازل. فهم يعتقدون أن قلب الأرض أو وسطها ربما لا تزيد حرارته على (٥ آلاف درجة مئوية) بينما الحرارة ذات (١٢٠٠درجة) تصهر الصخور[٢].

---

(١) وسائل الشيعة، العاملي، ج١٥ ص٢١٥

(٢) الموسوعة العلمية قل لي...، سمير شيخاني، ج١ص١٩

تفسير: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٣]

المعنى العام

اللغة: (الريب): الشك المخلوط بتهمة[١]. **(العبد)**: الإنسان حراً كان أو رقيا يذهب بذلك أنه مربوب لباريه عزّ وجل[٢]. **(السورة)**: إذا كانت بالأصل غير مهموزة فتكون مأخوذة من سور المدينة، أو كل منزلة رفيعة فهي سورة، فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة، منه قول النابغة:

الم تر أنّ الله أعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب.

وأما إذا كانت مهموزة فتكون مأخوذة من السؤر، والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت مما سواها وأُبقيت، وسؤر كل شيء بقيته[٣]. **(الدعاء)**: الرغبة إلى الله والاستعانة[٤]. **(الصدق)**: مطابقة الواقع[٥].

المعنى: الآية الكريمة بصدد بيان إثبات النبوة وتحدي المعاندين والشاكين في نبوة محمد ﷺ ونزول القرآن، بإتيان سورة، وهو أنكم إذا كنتم في شك

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١ ص٤٤٢.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص٣٧٠.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص٢٨٦.
(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٤ ص٣٢٧.
(٥) تاج العروس، الزبيدي، ج١٣ ص٨٠.

من بعثت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أو من نزول القرآن فأتوا بسورة واحدة إن كنتم قادرين واستعينوا بكل أعوانكم من الإنس والجن.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ يفهم من ظاهر الآية الكريمة الشك من المولى في ريبهم وتردده في شكهم، بينما شكهم في القرآن والبعثة ثابت ومسلم؟

الجواب: جاء على عادة العرب في خطاباتهم، كقولهم: إن كنت إنساناً فافعل كذا، وإن كنت ابني فأطعني، فإن كونه إنساناً وابنا معلوماً، وإلا المولى عالم أنهم مرتابون وإنما خاطبهم على عادتهم في الخطاب.

السؤال الثاني: على ماذا يعود الضمير هنا في لفظة (مثله) من قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾؟

الجواب الأوّل: على المُنزَّل، وهو القرآن، والمعنى فأتوا بسورة من مثل القرآن، وهذا هو المشهور لتأييد بعض الآيات الأخرى كقوله تعالى: **﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾**.[2]

الجواب الثاني: قيل يرجع على عبدنا وهو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فالمعنى فأتوا بسورة من بشر أمي لم يتعلم من معلم ولم يتلق شيئاً من هذه المعارف العالية والبيانات البديعة[3].

السؤال الثالث: ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم﴾؟

---

(١) يونس: ٣٧

(٢) الإسراء: ٨٨

(٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص١٢٦. وتفسير القرطبي، ج١ ص٢٣٢.

الجواب الأوّل: استعينوا بآلهتكم الذين تعبدونهم من دون الله وبأعوانكم الذين يشاهدونكم ويشهدون لكم بالمعاونة. أو ادعوا أُناساً يشهدون لكم أو يعاونوكم من غير الله.

السؤال الرابع: أخبرت الآية بأنه لا يتيسر للأنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله، وأقل السورة ثلاث آيات، ثم حكي عن النبي موسى‍عليه السلام من اعترافه بأن هارون أفصح منه، مقدار أحد عشر آية منه وهو قوله: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي إلى قوله: إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[1] فلزم أن النبي موسى‍عليه السلام أتى بسورة أو بمقدارها، لأن أقل سورة مع البسملة أربع آيات، مثل سورة الكوثر؟

الجواب الأوّل: إن المحكي عن نبي الله موسى‍عليه السلام لا يلزم أن يكون بهذا النُظم بعينه، وإنّما الله سبحانه نظّم هذا الكلام على لسان موسى عليه السلام. يؤيده: إختلاف لغة موسى عليه السلام مع لغة القرآن، فعليه أن هذا النظم والتعبير من الله وليس من نبي موسى‍عليه السلام.

الجواب الثاني: المتحدى به سورة من الطوال، أو عشرة من الأوساط، فعندما قال فأتوا بسورة من مثله أي بسورة من السور الطوال فينتفي الإشكال، بأنه خلاف عموم الآية [2].

السؤال الخامس: إن الآية مكية وفيها من عموم التحدي ما لا يرتاب فيه أحد، فلو كان التحدي ببلاغة بيان القرآن وجزالة أسلوبه فقط لكان التحدي مختصاً بقوم وهم العرب من

---

(١) طه: ٢٥-٣٥

(٢) راجع تفسير صدر المتألهين للآية.

الجاهليين والمخضرمين قبل اختلاط اللسان، فلا يتعدى التحدي والإعجاز غيرهم؟ بعبارة مختصرة: هل التحدي هنا عام في كل المجالات ولكل الخلق أو خاص بأهل مكة وبالبلاغة والفصاحة فقط؟

الجواب: قد قرع بالآية إسماع الإنس والجن وكذا غير البلاغة والجزالة، من كل صفة خاصة، فالقرآن آية للبليغ في بلاغته، وفصاحته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه، وللاجتماعي في اجتماعه، وللسياسيين في سياستهم، وللحكام في حكومتهم، وهكذا فالتحدي والإعجاز لا يختص بالبلاغة والأدب، بل في كل الصفات والمجالات، ولكل الخلق.

السؤال السادس: **قوله تعالى: ﴿وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ هل تشمل الأنبياء والأوصياء أو لا؟ فهل التحدي هنا يشمل الأنبياء والأوصياء؟**

الجواب الأوّل: الآية تشمل كل موجود غير الله عز وجل فحتى النبي صلى الله عليه وآله والأوصياء عليهم السلام فهم أيضا غير قادر على أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن.

الجواب الثاني: لما كان أولياء الله من الأنبياء وأوصيائهم مظاهر أسماء الله وصفاته، بل لا يظهر الله إلا بهم كما ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام **بنا عُرف الله وبنا عبد الله نحن الأدلاء على الله ولولانا ما عبد الله.**[(١)] جاز أن يراد بقوله من دون الله أي من دون أولياء الله.[(٢)] لكن يبقى الإعجاز من قبل الله فإن الأولياء ينطقون عن الله لا بالاستقلال.

السؤال السابع: **لماذا يحتاج الأنبياء إلى معجزة، كما بينت هذه الآية أن القرآن معجزة**

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨ ص٣٢٩.

(٢) راجع تفسير بيان السعادة للآية، سلطان علي شاه.

للنبي | وتحدى بسوره كل البشر؟

الجواب: كي يتميز الصادقون من الكاذبين؛ لأن الناس حيال أمرين: إما أن يؤمنوا بدعوات جميع من ادعى النبوة أو أن يرفضوهم جميعاً، فعلى الأوّل تتحول ساحة الأديان إلى فوضى وهرج ومرج، وعلى الثاني لكان عاقبة ذلك الضلال والضياع، فالدليل على مبدأ البعثة وأنه يفرض أن يكون الأنبياء الصادقين مجهزين بالدليل على نبوتهم، هي (المعجزة) التي لا يتسع للغير أن يأتي بمثلها كالقرآن مثلاً. مع أن إثارة التحدي ظاهرة جلية في كل مكان وزمان على صدق الدعوى ومدعيها.

السؤال الثامن: ما هو الوجه في اختلاف التحدي بالقرآن فقد نراه تارةً يتحدى بمثله كما في قوله تعالى: ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[1] وأخرى: يتحدى بعشر سور من مثله كما في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾[2] وثالثة هنا في هذه الآية: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾؟

الجواب الأوّل: لعل سبب الاختلاف في أشخاصهم، فبعض ادعى الإتيان بالمثل فجاءه التحدي بكل القرآن، والبعض الآخر ادعى الإتيان بعشر سور مثله فجاءه التحدي بعشر سور، وبعض ادعى الإتيان بسورة من مثله فجاءه التحدي بسورة، فقد كان التحدي لهذه الطوائف الثلاث بحسب ادعائهم.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون لأجل اختلاف الأزمنة ففي أوائل البعثة اتفقوا على الإتيان بمثل القرآن، وبعد ظهور العجز في الجملة ادعوا الإتيان بعشر سور مثله، وبعد استقرار العجز تحدوا بإتيان سورة من مثله.

---

(١) الإسراء: ٨٨

(٢) هود: ١٣

لسؤال التاسع: لماذا أتى بلفظ التنزيل دون الإنزال هنا في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾؟

الجواب: لأن المراد من النزول على سبيل التدريج نجوماً سورة بعد سورة وآيات بعد آيات، على حسب النوازل والحوادث.

السؤال العاشر: ما هو الفرق بين معجزة النبي في القرآن الكريم وبين سائر المعجزات التي أتى بها النبي | والتي أتى بها غيره من الأنبياء^؟

الجواب: الفرق بين معجزة النبي ﷺ في قرآنه وبين معجزاته الأخرى ومعجزات سائر الأنبياء، هو الخلود فمعجزة الإسلام الخالدة هي القرآن، أمّا سائر المعجزات الأُخرى سواء عن النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء فهي وقتية منقطعة، وذلك: انطلاقاً من خلود الإسلام في زمن وعدم خلوده في غيره.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: برهان إثبات النبوة الخاتمة

لما احتج الله تعالى للتوحيد في الآيات السابقة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ... الخ﴾، وفي قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً... الخ﴾، عقبه هنا في هذه الآية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ... الخ﴾ فيه من الاحتجاج للنبوة بما قطع عذرهم. فالآية الكريمة تدل على إثبات النبوة، وأيضاً يصح جعلها من أدلة إثبات إعجاز القرآن، كما يصح جعلها لهما معاً لمكان تلازمهما في جميع مراحل الوجود.

الدرس الثاني: العون بمثابة الشاهد

سُمي أعوانهم في الآية شهداء؛ لأنهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد

يكون بمعنى المشاهد.

الدرس الثالث: ارفع المقامات العبادة الخالصة

إنما ذكر النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية بـ(عبدنا)؛لأنه أمر في الآية المتقدمة بالعبودية خالصة لله بترك الأنداد وترك الأحباب من الدنيا والهوى والنفس وشهواتها من المراتع الحيوانية والملاذ النفسانية؛ ولأنه أعلى المقامات مقام العبودية.

الدرس الرابع: النبي الخاتم المصداق الأكمل للعبودية

لم يصرح هنا باسم النبي صلى الله عليه وآله كما صرح في غيره من الأنبياء في بعض الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾،[1] للدلالة على كماله في العبودية، فأن المطلق لا ينصرف إلا إلى الكامل.

الدرس الخامس: القرآن المعجزة الخالدة

قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ أمر تعجيزي؛ لإبانة إعجاز القرآن وأنه كتاب منزل من عند الله وإعجازه باقياً بمر الدهور وتوالي القرون.

ولا يخفى أنّ ليس في هذا الطلب تعجيزاً لو كان من عند غير الله؛ لأنه لم يطلب منهم أن يحملوا الجبال أو يجففوا البحار مثلاً، وإنما طلب الحديث ولا شيء أيسر منه عليهم، وحيث ثبت عجزهم فقد ثبت أن هناك سراً لا تفسير إلى هذا السر إلا الوحي والنبوة.

---

(1) ص: ٤١

الدرس السادس: إثارة حمية المشركين لاعترافهم بالفشل

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يريد أن يثير الحمية في المقابل كي يجند كل طاقاته العملية المجابهة حتى إذ أفشل وأيقن بعجزه علم أنه أمام ظاهرة إلهية لا بشرية.

تفسير: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٢٤]

المعنى العام

اللغة: (الوقود): بالفتح ما يوقد به النار، وهو الحطب[١]. **(أعدت)**: هيئت وجعلت عدة لعذابهم[٢].

المعنى: إذا لم تعارضوه وتأتوا بسورة من مثل سوره ولم يتيسر لكم ذلك وبآن لكم أنه معجز، فآمنوا واحذروا النار المعدة لمن كذب.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: إن عدم الإتيان بسورة معلوم فهلا جيء بـ(إذا) التي هي للوجوب دون (إن) التي هي للشك، كي لا يفهم أنه شاك بعدم المجيء من قبلهم بسورة؟

الجواب الأوّل: ساق القول معهم على حسب حسبانهم وأنهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة؛ لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام، ولذا أتى بجملة معترضة مخبر عن نفي الإتيان بالنفي التأبيدي، حتى لا يتوهم

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١ ص١٩٤.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج٣ ص١٣٠.

متوهم إمكانه فقال ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[1].

الجواب الثاني: تهكماً بهم تهكم الواثق بغلبته على من يغاويه، حيث يقول له إن غلبتك لم أبقي عليك وهو واثق إنه يغلبه.

السؤال الثاني: لِمَ قال في الآية ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ ولم يقل فإن لم تأتوا بسورة من مثله مطابقة لقوله السابق ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾؟

الجواب: ذلك دليل على أن المراد نفي الإمكان والقدرة، إنهم عاجزين كلياً. فلا يرد عليه أن عدم الفعل لعله لعدم الاعتناء بالمعارضة لا لعدم القدرة. أو لأن هذا التعبير أخصر وخالي من التكرار.

السؤال الثالث: ما هو المقصود من جعل الناس والحجارة وقود للنار كما هو في الآية: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾؟

الجواب الأوّل: أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، أما غير هذه النار فإن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه من الناس والحجارة.[2] وفي ذلك نوع من التعظيم والتهيب بأن النار لا تحرق الحجارة إلا وهي في غاية الفظاعة والهول.

الجواب الثاني: إن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقدها النار بالقداح، أو يعذبون بالحجارة المحماة مع النار.

السؤال الرابع: ما هو المراد من الحجارة بالذات التي ذكرها الآية الكريمة بسياق

---

(١) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

(٢) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

القول: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾؟

الجواب الأوّل: الذهب والفضة وما يجري مجراهما من الأجساد المعدنية والنباتية والحيوانية التي بها تحصل هواء النفس وشهواتها وتميل إليها بالهوى عن الهدى، فتشمل الأصنام التي نحتوها وعبدوها كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.(١)

الجواب الثاني: يمكن أن يراد من الحجارة جسد الإنسان المركب من العظام الصلبة، فيكون جمعاً بين النفس والبدن في العذاب، فالناس هي نفس الإنسان وروحه والحجارة جسد الإنسان. ويمكن أن يراد بها مادة قلب الإنسان القاسي المشارك لسائر الأحجار الجسمية والكدورة والصلابة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾.(٢)

الجواب الثالث: المراد بالحجارة هنا حجارة الكبريت، استناداً إلى رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **لقد مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بجبل وإذا الدموع تخرج من بعضه فقال: ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله كان المسيح عليه السلام مرّ بي وهو يخوف الناس بنار وقودها الناس والحجارة فأني أخاف أن أكون من تلك الحجارة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تخف تلك الحجارة الكبريت، فقر الجبل وسكن**(٣).

السؤال الخامس: مضمون الصلة في الآية من قوله: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ينبغي أن يكون قصة معلومة للمخاطب حتى يخاطب بها بهذا الأسلوب؟

---

(١) الأنبياء: ٩٨.راجع تفسير صدر المتألهين.

(٢) البقرة: ٧٤

(٣) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ج١ ص٤٤. وبحار الأنوار، المجلسي، ج١٠ ص٤٠ و ج١٧ ص٢٨٨.

الجواب: إنه عارف بها، أما بالسماع من أهل الكتاب، أو من النبيﷺ، أو بالسماع من آية سورة التحريم، والمراد من العلم بها الأعم سواء اعتقدوا بها أم لا، ويؤيد ذلك أن النار في هذه الآية جاءت معرفة بتعريف العهد.[١]

السؤال السادس: قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ يلزم منه أن النار أُعدت للكافرين فقط، ويسلم منها الفُسّاق والزناة وغيرهم؟

الجواب الأوّل: الآية ليست بصدد الحصر، وإن النار خاصة بالكافرين وإنما تشمل الكافر وغيره فإثبات شيء لشيء لا يلزم نفيه عن الغير، فإعداد النار للكافرين لا يلزم عدم إعدادها لغير الكافرين من العُصاة.

الجواب الثاني: يمكن أن تكون هذه النار أعدها الله خاصة بالكافرين ولا يدخلها غيرهم، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾[٢] أما الفساق فلهم نار أخرى.

السؤال السابع: ما هي الفائدة من ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ بعد قوله: ﴿لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾؟

الجواب: ذكر قوله تعالى: ﴿**وَلَن تَفْعَلُواْ**﴾ لنفي على وجه التأبيد في المستقبل، بان يستحيل على كل الخلق مهما تقدم العصر وتطور العلم أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن.

---

(١) راجع تفسير كنز الدقائق للآية، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي.
(٢) النساء: ١٤٥

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: وجوب طاعة المولى عز وجل

أوجب عليهم اتقاء النار والتصديق، بعد إقامة الحجة عليهم وهي إنزال القرآن المعجز.

الدرس الثاني: صحة إخبار النبي الأكرم بالغيبيات

قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ فيها دلالة على صحة نبوة نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لأنه يتضمن الإخبار عن حالهم في المستقبل فوافق المخبر عنه الخبر، وإلى يومنا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بسورة واحدة من مثل القرآن.
بتعبير آخر: في هذه الآية الشريفة دليلان على إثبات نبوته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الأوّل: صحة كون القرآن معجز. الثاني: الإخبار بأنهم لن يفعلوا أبداً وهو غيب لا يعلمه إلا الله.

الدرس الثالث: المشرك بمثابة الحجارة

قرنت الآية الكريمة الناس بالحجارة؛ لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دون الله.

الدرس الرابع: نار الآخرة ذات حقائق مختلفة

يفهم من الآية الشريفة أن نار الآخرة ذات أنوار كثيرة متخالفة الحقائق ولها طبقات، بخلاف نار الدنيا فإنها ذات نوع واحد لا يختلف بالحقيقة وله طبقة واحدة[1].

---

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

الدرس الخامس: جهنم مثوى للكافرين

قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ إشارة أن المقصود بالذات من خلق النار تعذيب الكفار؛ لأنهم عمارها الباقون فيها أبداً كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[1].

الدرس السابع: حرارة جهنم تصهر الحجر

خصت الحجارة بالآية إشارة إلى شدة حرارة جهنم، أي أن حرارة جهنم وحريقها يبلغ درجة تشتعل فيها الصخور والأجساد كما يشتعل الوقود.

---

(1) الأعراف: ٤٠

تفسير: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢٥]

المعنى العام

اللغة: (البشارة): هي الخبر السار، والمشهور أنّ البشارة أول خبر يسر[١]. **(الجنات)**: جمع جنة، وهي البستان من النخل والشجر وغيرهما[٢]. **(الخلود)**: الدوام والبقاء الذي لا آخر له[٣].

المعنى: فرّح يا محمد قلوب الذين آمنوا بالقرآن وعملوا بما أمر الله بجوارحهم، أن لهم جنات فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم ماكثون فيها إلى الأبد.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المراد في الآية المباركة من قوله تعالى: ﴿هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن

(١) راجع: تفسير البحر المحيط، ابي حيان الأندلسي، ج٥ ص٤٨٨.
(٢) الصحاح، الجوهري، ج٥ ص٢٠٩.
(٣) مجمع البحرين، الطريحي،ج١ ص٦٧٩.

قَبْلُ﴾؟

الجواب الأوّل: عندما تقتطف الأثمار في الجنة ثانية أو تؤتى إليهم يقولون هذا الذي تناولناه بالمرة الأوّلى، لكنهم حينما يأكلون هذه الثمار يجدون فيها طعماً جديداً ولذةً أخرى.[١]

الجواب الثاني: إن هذه النعم أغدقت علينا بسبب ما أنجزناه من عمل في الحياة الدنيا وغرسنا بذوره من قبل. فإن الدنيا مزرعة الآخرة، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: **الدنيا مزرعة الآخرة**[٢].

الجواب الثالث: يمكن أن يكون الكلام على الاستفهام الإنكاري التعجبي. يعيني بعدما رأوا الرمانة الأخروية مثلاً، متفاوتة مع الرمانة الدنيوية تفاوتاً عظيماً في الشكل واللون والطعم ورأوا أنها هي الرمانة التي رأوها في الدنيا تعجبوا واستغربوا ذلك التفاوت العظيم وأظهروا كونها من جنس الرمانة التي كانت في الدنيا في معرض الإنكار.[٣]

الجواب الرابع: هذا الذي رزقنا به من قبل في الدنيا، حيث أن السعادة روحانية يجدها الإنسان بعد الموت فيقول: هذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا لكن اشتدت لذتها في الآخرة لما اشتد وجودها ظهوراً لزوال العائق، حيث عند زوال العوائق حصول السعادة الكبرى والغبطة العظمى؛ لأن المعرفة انقلبت مشاهدة.

السؤال الثاني: كيف يتصور جري الأنهار تحت الجنان، وشمول الجري في جميع مساحات

---

(١) راجع: تفسير التبيان للآية.
(٢) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الاحسائي، ج١ ص٢٦٧.
(٣) راجع: تفسير بيان السعادة للآية.

الجنة، كما يفهم من ظاهر الآية المباركة ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾؟

الجواب: المراد بالجري من تحت شجرها ومساكنها، وليس من تحت أرضها على حذف المضاف، وكذلك الجري في بعض أسافل الأشجار وليس جميع مساحات الجنة، فتكون (من) في الآية للتبعيض.

السؤال الثالث: لماذا جاءت لفظة (جنات) جمع ونكرة بخلاف لفظ (الأنهار) معرفة، كما هو في الآية: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾؟

الجواب: لأن الجنان اسم لدار الثواب وهي مشتملة على جنان كثيرة مترتبة على استحقاق العاملين، لكل طبقة منهم جنة منها وكل واحدة من الجنات لها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال. أما تعريف الأنهار فالمراد من الأنهار جنسها كما يقال: لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب.

السؤال الرابع: ما هو المراد من الرزق المذكور في الآية المباركة: ﴿كلما رزق فيها من رزق﴾؟

الجواب: المراد منه نوع من أنواع الثمار وليس الفرد من النوع. أو المراد فرد الثمرة من النوع، وهو كلما يجتنون الثمرة، أو يأتيهم بها الغلمان، أو الملائكة يقولون هذا الذي رزقنا به من قبل.

السؤال الخامس: كيف يتم الجمع بين سماعنا بنعم الآخرة من خلال الآيات والروايات، وحديث النبي ' الذي يقول: إن الله قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1].

الجواب: إن الحديث لا ينفي ما ذكر في سائر الآيات والروايات؛ لأنها نعم

---

(1) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ج٤ ص٢٣.

أخرى، أما جسمانية ليس في الدنيا لها اسم ولا رسم، أو من النعم المعنوية التي لا موضوع لها في الدنيا[١].

السؤال السادس: عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال: الأزواج المطهرة اللاتي لا يحضن ولا يحدثن[٢]. فكيف نتعدى في تفسيرها إلى باقي الأقذار المادية وكذلك المعنوية؟

الجواب: ذكر الإمام لهذه الأمور من باب المصداق والتطبيق لا التخصيص. ومنه يتبين ما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ... الخ﴾ نزلت في علي عليه السلام وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنهم. فيكون من باب ذكر المصداق والتطبيق لا التخصيص[٣].

السؤال السابع: ما هو المقصود من لفظة (متشابهاً) هنا في الآية: ﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾؟

الجواب: إن ثمار الجنة تشبه بعضها بعضاً في الجودة واللذة والصفات فتكون متوافقة غير مختلفة في كون بعضها صحيح والآخر رديء، أو بعضها نياً وبعضها نضجاً. أو إن ثمر الجنة يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أطيب.

السؤال الثامن: إن الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالة المؤدية إلى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنة؟

الجواب: إن الله يعيدها بحيث لا يعتروها الاستحالة، بأن يجعل أجزائها متفاوتة في الكيفية متساوية في القوة، أن لا يقوي منها شيء على إحالة الآخر.

---

(١) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.
(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج١ ص٨٩.
(٣) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.

كما هو موجود في بعض المعادن[١].

السؤال التاسع: ما هو المراد من (الأزواج) هنا في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾؟

الجواب: ذكر المفسرون أن الأزواج في الآية: إما حور العين، أو نساء الدنيا سلبت عنها القذرات[٢].

السؤال العاشر: كيف صح إسناد الجري إلى الأنهار، كما هو في الآية: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ والنهر بذاته لا يجري؟

الجواب: إسناد الجري إلى النهر من باب المجاز من الإسناد؛ لأن الجري صفة للماء فالمراد بقوله تعالى ﴿جْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار﴾ يعني مياه الأنهار. فيكون من باب إطلاق المحل وإرادة الحال فيه.

السؤال الحادي عشر: هل يوجد فرق بين ثمار الدنيا وثمار الجنة في الطعم واللذة؟

الجواب: ثمار الجنة ذات النوع الواحد تختلف عن ثمار الدنيا، العنب والتفاح التي تتناوله في هذه الحياة الدنيا مثلاً له في كل مرة نأكله نفس طعم المرة السابقة، أما ثمار الجنة فلها من كل مرة طعم وإن تشابهت أشكالها[٣].

السؤال الثاني عشر: نلاحظ في الآية: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ لم يقل (طاهرة) وإنما عبر بقوله (مطهرة)؟

الجواب: لأن المطهرة أولاً: أبلغ، وثانياً: إشعار بتطهير المطهّر وهو الله عز وجل.

---

(١) راجع: تفسير كنز الدقائق للآية، محمد بن محمد رضا القمي.
(٢) راجع: تفسير كنز الدقائق للآية، محمد بن محمد رضا القمي.
(٣) راجع: تفسير الأمثل للآية، الشيخ مكارم الشيرازي.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الترغيب بعد الترهيب من أساليب التبليغ

طالما يذكر الترهيب يعقبة بالترغيب، وكذا العكس، فلاحظ بعدما ذكر شيئاً من مظاهر غضبة على الكفار والمنافقين في الآية السابقة أعقبها بشيء من موجبات رحمته، وهذا إتماماً للحجة، ولئلا ييأس من رحمته أحد.

الدرس الثاني: مغايرة الإيمان للعمل

عطف العمل على الإيمان دال على خروجه عن الإيمان؛ لثبوت التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، وإلا لزم التكرار كلاً أو جزءً وهو خلاف الأصل.

الدرس الثالث: الإيمان مع العمل يحقق البشارة

الجمع في الآية بين الإيمان والعمل الصالح مرتباً، إشعار بسببية مجموع الأمرين لاستحقاق هذه البشارة، فإن الإيمان أساس والعمل كالبناء عليه ولا غناء بأساس لا بناء عليه، فلابد أن يكون مع الإيمان عمل، أو قل: إنّ الإيمان بمثابة جذر شجرة، والعمل الصالح ثمرها ووجود الثمر السليم دليل على سلامة الجذر.

الدرس الرابع: تعريض لبعض المؤمنين

قوله تعالى: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وإن كان لهم بشارة بالدوام والبقاء، ولكن فيه تعريض بشأنهم أنهم أُخلدوا إلى أرض هذه الجنة فلا يبرحون عنها إلى ما فوقها ولا يترقون إلى جنات النعيم وجنة ألذات[1].

---

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

الدرس الخامس: كمال النعم دوامها

ذكر تعالى في الآية من النعم أصولها في الأنظار الحسية، وهي المساكن والمطاعم، والمناكح، وكمالها وهو دوامها، فإن النعمة وإن كانت جليلة لكنها مع خوف الزمان منغصة.

فعليه أنّ هنالك فرق بين النعم الدنيوية والنعم الأخروية، حيث أن أحد منقصات نعم الدنيا زوالها، فصاحب النعمة يقلقه زوال هذه النعمة، فلا تكون هذه باعثة إلى السعادة والاطمئنان، أما نعم الجنة ففيها السعادة والطمأنينة؛ لأنها خالدة لا يعتريها الزوال والفناء.

الدرس السادس: الطهارة من القذرات المادية والمعنوية

ذكره تعالى:(مطهرة) أعم من القذرات الخلقية كالأوساخ والدماء ونحوهما، والخلقية كالسب والحسد ونحوهما.[1]

الدرس السابع: الماء سبب في رونقة الجنان

ذكر الماء ملازم للجنة؛ لأن البساتين التي تفتقد الماء الدائم ليس لها حق كبير من النظارة، فالنظارة تطفح على البساتين التي تمتلك ماء سقي دائم مستمر لا ينقطع أبداً.

---

(1) راجع تفسير تقريب القرآن للآية، السيد محمد الحسيني الشيرازي.

الدرس الثامن: الشرط الأهم في اختيار الزوجة الطهارة

قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ فيه إشارة إلى أن أول شرط في الزوجة هو الطهر، وكل ما سواه من الشروط والأوصاف ثانوي.

تفسير: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [٢٦]

المعنى العام

اللغة: (المثل): الشبه والنظير(١). **(الحياء)**: حالة وصفة عارضة للإنسان من انكسار وتغير يعتريه من تخوف ما يعاب به ويذم(٢). **(البعوضة)**: صغار البق، واشتقاقها من البعض؛ لأنه كبعض البقة(٣). **(الفسق)**: العصيان والترك لأمر الله، والخروج عن الشيء، فسقت الرطبة إذا أخرجت من قشرها(٤).

المعنى: إن الله لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيرة لحقارتها إذا رأى الصلاح في ضرب المثل فيها، فالذين صدقوا بالنبي ﷺ، والقرآن وقبلوا الإسلام، يعلمون أن كل ما يصدر من الله حق، وأما الذين رفضوا الإسلام ولم يصدقوه يقولون ضرب مثل هذه الأمثال سبب لإضلال الكثير، وهداية الكثير،

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١١ ص٦١٠.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص٦٠٨.
(٣) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص٢١٩
(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج١١ ص٢٠٨.

وما يضل به إلا الفاسقين الذين خرجوا عن طاعة الله.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: كيف صح وصف المولى عز وجل بعدم الاستحياء كما في الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ...الخ﴾؟

الجواب الأوّل: المراد من لفظة لا ﴿**لاَ يَسْتَحْيِي**﴾ هو إن الله لا يخشى، ولا يدع ولا يترك أن يضرب مثلاً كما قال سبحانه ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾(١) لاسيما وأن الآية بصدد الرد على المنافقين الذين اعترضوا على ضرب الأمثال.

الجواب الثاني: إنه ليس في ضرب المثل بالحقير عيب، فلا يحل ضرب المثل بالبعوضة ونحوها محل ما يُستحى منه، فالذي يُستحى منه ما يكون قبيحاً في نفسه ويكون لفاعله عيب في فعله، فأخبر الله تعالى أن ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يُستحى منه.

الجواب الثالث: الحياء حالة وصفة عارضة للإنسان ولكن لها مبدأ ومنتهى وضد. أما المبدأ: فهو التغير النفساني والانفعال الجسماني الذي يعتريه من خوف أن ينسب إلى القبيح، وأما النهاية: فهي أن يترك الفعل المنوط به، أما الضد: فهو الوقاحة أو الخجل. فإذا أورد في حق الله فليس المراد ذلك الذي هو مبدأ الحياء ومقدمته ومعدّه، بل أما نفي ضده الذي هو الوقاحة أو ثبوت غايته الذي هو ترك الفعل المنوط به فيكون ﴿**لاَ يَسْتَحْيِي**﴾ بمعنى لا يمتنع(٢).

الجواب الرابع: يمكن أن تكون هذه العبارة مما وقعت في كلام الكفرة

---

(١) الأحزاب: ٣٧

(٢) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

فقالوا: أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت [1]. فجاءت هنا على سبيل المشاكلة، وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. كقولك: قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه. قلت: اطبخوا لي جبة وقميصاً.

السؤال الثاني: ضرب المثل بالمحقرات كالذباب والعنكبوت والنمل لا يليق بكلام الفصحاء من المخلوقين ويخل بفصاحتهم، فكيف يليق بالقرآن الذي بلغ في فصاحته حد الإعجاز؟

الجواب الأوّل: إن الحقارة لا تنافي التمثيل بها، إذ الشرط في المثال أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يستدعي التمثيل به، كالعظم والحقارة والشرف والخساسة لا على وفق ما يوقع التمثيل ويضرب المثال؛ لأن الغرض الأصلي منه إيضاح المعنى المعقول وإزالة الخفاء عنه وإبرازه في صورة المشاهدة المحسوسة، فإذا كان المراد تقبيح عبادة الكفرة للأصنام وعدولهم عن عبادة الرحمن صلح أن يضرب لها المثل بالذباب في عدم اقتدارهم على دفع المضرة عنهم، وببيت العنكبوت في وهن عقائدهم الباطلة، وضعف أصولهم الفاسدة وفي هذا المقام كلما كان المضروب به المثل أضعف كان المثل أقوى وأحكم.

الجواب الثاني: الكل عند الله بمنزلة واحدة، فليس الصغير أخفى وأخف من العظيم ولا العظيم أجلى له وأصعب عليه من الصغير. مع أن الحقير من هذه حقير في أنظار الجهلة الجهال لا في أنظار العقلاء، فإن ذوات النفوس الحيوانية وإن كانت أصغر ما يكون إلا أن فيها من دقائق الحكم ولطائف الصنع ما لا يحصيها

---

(1) راجع: تفسير كنز الدقائق للآية، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي.

إلا الله. عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: **إنما ضرب الله بالبعوضة لأن البعوضة على صغرها خلق فيها جميع ما في الفيل على كبره وزيادة عضوين آخرين. فأراد الله أن ينبه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب عظم صنعه**[١].

السؤال الثالث: ما هو السبب في نزول هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً...الخ﴾؟

الجواب الأوّل: إن الله لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال.

الجواب الثاني: بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[٢] أخذ بطعن في أصنام اليهود بأنها كالذباب وشبهت عبادتها ببيت العنكبوت. قالت اليهود: أي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بها المثل فهو أجل وأعلى من ذلك.

السؤال الرابع: ما هو المراد من (الفوقية) في قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؟

الجواب الأوّل: المراد ما فوقها في الصغر والقلة، كقولك لمن يقول: فلان أسفل الناس وأنزلهم. وهو فوق ذلك، تعني به أبلغ فيما وصف به من السفالة والخساسة. ويؤيده: إن المقصد تحقير الأوثان، فكلما كان المشبه به أحقر كان المقصود أكمل؛ ولأنه تعالى في بيان أنه لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير فما هو أشد حقارة كان أولى بالبيان.

---

(١) راجع: تفسير التبيان، الطوسي، ج١ ص١١١

(٢) الحج: ٧٣

الجواب الثاني: المراد فما هو أعظم منها في الجثة، كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب، فإن القوم أنكروا تمثيل الله بكل هذه الأشياء، ويؤيده: إن لفظ (فوق) يدل على العلو، فإذا قيل هذا فوق ذلك فمعناه أنه أكبر منه.

السؤال الخامس: **كيف يصح ضرب المثل بما دون البعوضة (لو قلنا المراد بالفوقية الصغر)، وهي نهاية في القلة ولا يوجد أقل منها؟**

الجواب: أجزائها أقل بكثير منها. وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً بأجزائها للدنيا في قوله: **(لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة لما سقي الكافر منها شربة ماء)**.[1] أو أن في خلق الله حيوانات كثيرة أصغر منها لا ترى بالعين المجردة إلا بالمجهر.

السؤال السادس: **كيف صار المثل سبب للإضلال؟ كما هو الواضح من الآية ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ بينما هو ضرب من ضروب البيان والإيضاح؟**

الجواب الأوّل: يحتمل أن المنافقين الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ضلوا بالأمثال، أما لقصور حالهم وإتباعهم لقضايا عقولهم الناقصة، أو لتشبثهم بأذيال المتفلسفة النافين لعلمه بالجزئيات المتغيرة، حيث زعموا أن التمثيل بهذه الأشياء الجزئية لا يجوز ولا يمكن إلا بآلات ومشاعر جزئية، فكيف يتصور أن يقع الوحي بها إلى النبي ﷺ عند عروجه بروحه إلى المقام الأعلى من عالم الحس والتخيل وتلقيه للمعارف[2].

الجواب الثاني: يمكن أن تكون هذه الأمثال للامتحان، فتكون فيها عظم الفائدة لمن اتعظ بها واهتدى، والهلاك لمن لم يتعظ بها، حيث أن الكفار

---

(1) الاختصاص الشيخ المفيد ص٢٤٣

(2) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه.

بتعبير آخر: المراد بالضلالة في الآية: تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال؛ لأن المحنة إذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت ضلالاً وإذا سهلت فاهتدى سميت هداية.

السؤال السابع: أسند الإضلال إلى الله كما هو الظاهر من الآية: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ ومؤدى ذلك الجبر المحال عندنا؟

الجواب الأوّل: الضلال وقع باختيارهم، وإنما أسند إليه من جهة أنه السبب، وتوضيح ذلك: أن الرجل إذا ضل بشيء من غير أن يكون لذلك الشيء أثر في إضلاله، فيقال لذلك الشيء أنه أضله. كما في قوله تعالى: **﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾**[1] أي ضلوا بهن، فالإضلال بهذا المعنى يجوز أن ينسب إلى الله تعالى، على معنى أن الكافرين ضلوا بسبب الآيات المشتملة على الامتحان.

الجواب الثاني: يحتمل أن يكون قوله: **﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾** مقول قول الكافرين (أي الكافرون قالوا هذا الكلام)، فحينئذٍ لا حاجة في إسناد الضلال إلى الله. يؤيده: ذيل الآية: **﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾** وهذا جواب من الله لهم.

السؤال الثامن: ما هو الفرق بين الحياء وبين الخجل؟

الجواب: الخجل من عوارض الجسم الإنساني، أما الحياء فهو من صفات الروح ولذا عد الحياء من جنود العقل في جملة من الأخبار[2].

---

(1) إبراهيم: ٣٦

(2) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.

السؤال التاسع: وصف في الآية أن المهتدين كثيرون، كما في قوله: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ بينما في الواقع بالقياس إلى الضالين أقل القليل؟

الجواب: كثرة القبيلتين حقيقة لا بالقياس إلى مقابليهم، فإن المهتدين قليلون بالنظر إلى أهل الضلال، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] فكثرة الضالين من حيث العدد، وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف.

بعبارة أخرى: القلة والكثرة إضافية فتصح الكثرة بالنسبة إلى ملاحظة شيء والقلة بالنسبة إلى شيء آخر، فالمهتدون وإن قلوا عدداً لكنهم أكثر نفعاً وأجل فائدة.

السؤال العاشر: ما هو المراد من معنى الفاسق هنا في قوله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾؟

الجواب: معنى الفاسق في لسان الشرع: هو الخارج عن أمر الله قوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2] يعني خرج من طاعته، فمرتكب الكبائر فاسق ومن الكبائر الإصرار على الصغيرة، وللفاسق ثلاث مراتب.

الأولى: التغابي: هو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إياها. **الثانية:** الانهماك: هو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها، وهو في هاتين المرتبتين مؤمن فاسق لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان. **والثالثة:** الجحود: هو أن يرتكبها مستصوباً إياها فإذا شارف هذه المرتبة خلع منه الإيمان ولابس الكفر. والمراد به يحتمل

(1) سبأ: ١٣

(2) الكهف: ٥٠

أن تكون مخصوصة بالمعنى الأخير[١].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الأمثال تكشف عن المعاني

إن في التمثيل كشف المعنى ورفع الحجاب عن المطلوب فإن كان الممتثل له عظيماً كان الممتثل به مثله، وإن كان حقيراً كان الممتثل به كذلك؛ لأن العقل الإنساني ما دام تعلقه بهذه القوى الحسية لا يمكنه إدراك روح المعنى مجرداً. لذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات الفصحاء والحكماء من العرب وغيرهم.

الدرس الثاني: إبطال قول الجبرية

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: هذا القول من الله رد على من زعم أن الله تبارك وتعالى يضل العباد ثم يعذبهم على ضلالهم[٢].

الدرس الثالث: الحياء حسن وقبيح

الحياء إذا نسب إلى الإنسان فمعناه تغير حالة طبيعية إلى حالة أخرى لسبب من الأسباب، وهو في الإنسان حسن وقبيح، الحسن منه أن يستحي المرء من فعل القبائح والرذائل. قال الإمام الصادق عليه السلام: **(لا إيمان لمن لا حياء له)**[٣] والقبيح منه أن يترك المرء فعل ما ينبغي فعله تخوفاً. كالاستحياء من التعلم وطلب المعرفة، أما إذا نسب إليه سبحانه فيراد به ترك الفعل.

---

(١) راجع: تفسير كنز الدقائق للآية. محمد بن محمد رضا القمي.
(٢) تفسير الصافي للآية، الفيض الكاشاني.
(٣) الكافي ج٢ ص١٠٦

الدرس الرابع: ضرب الأمثال منبع لعامة البشر

من فوائد الأمثال في القرآن انه نزل ليستفيد منه عامة الناس، فلابدّ وأن يقترن بالأمثال جرياً على طريقتهم ليأنس بها النفس وتتم به الحجة عليهم بكل طبقاتهم.

الدرس الخامس: الحث على التدبر

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ مشعر بالمدح لهم؛ لأن إيمانهم واعتقادهم بكلامه تعالى أنه الحق، ولم يضرب الأمثال إلا لحكم ومصالح فلا ينظرون إلى المثل والممثل به، بل ينظرون إلى الممثل نظرة الحق والعظمة والجلال. فيفهم من الآية إنها تحث على التدبر، وفيها أيضا مدح للمتدبرين بأنهم تدبروا حتى علموا أنه الحق من ربهم.

الدرس السادس: الغنى هلاك للمضلين

قالوا أن البعوضة تحيي ما جاعت فإذا أسمنت ماتت، فكذلك أهل الضلال إذا امتلأوا من الدنيا أخذهم الله ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾[1].

الدرس السابع: ضرب المثل بالصغار دلالة حكمة الله

الشيء كلما كان أصغر كان الإطلاع على أسراره المودعة فيه من الله أدل على لطفه وعنايته، فالتمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من الدلالة بالشيء الكبير.

الدرس الثامن: تزايد الضلال في المشركين

وضع الفعل (يضل) موضع المصدر؛ لإرادة الحدوث والتجدد في الضلالة.

---

(1) الإنعام: ٤٤

الدرس التاسع: البعوضة أجرأ من الأسد

الذباب والبعوض مع صغر حجمهما، أُعطيا جرأة أظهرها في طيرانهما في وجوه الناس والتجاسر عليهم. وركب الجبن في الأسد وأظهر ذلك الجبن فيه بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم، ولو تجاسر الأسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس، فجعل بقدرته في الضعيف التجاسر والجرأة، وفي القوي الجبن. لذا نلاحظ الإنسان يعجز عن دفع هذا المخلوق الضعيف بينما قادر على دفع الكبير. حكي أن ذات يوم وقع الذباب على المنصور فذبه عنه فعاد فذبه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة، فسكت المنصور[1].

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣ ص ٣٧٥.

تفسير: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٢٧]

المعنى العام

اللغة: (**النقض**): إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وفي الصحاح: نقض البناء والحبل والعهد(١).(**العهد**): هو الميثاق واليمين التي تستوثق بها من يعاهدك، وكل ما عوهد الله عليه(٢). (**القطع**): الفصل بين الشيئين، وجعلناهم في الأرض أمما أي فرقناهم(٣). (**الوصل**): الجمع بين الشيئين من دون حاجز، وكل شيء اتصل بشيء(٤). (**الخسران**): هو النقصان(٥).

المعنى: الذين ينقضون عهد الله في فطرتهم وعلى لسان أنبيائهم، من بعد توثيقه وتأكيده عليهم، ويقطعون ما أمر الله بوصله من الأنبياء والأرحام والأخوان في الدين، وينشرون الفساد في الأرض، فهم خاسرون في الدنيا والآخرة.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٧ ص٢٤٢.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص٣١١.
(٣)لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص٢٧٦.
(٤) مختار الصحاح، محمد عبدالقادر، ص٣٧١.
(٥) تاج العروس، الزبيدي، ج٦ ص٣٤٣.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المراد من نقض عهد الله في الآية الشريفة: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؟

الجواب الأوّل: هو تركهم الإقرار بما ثبت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب.

الجواب الثاني: هو كل موهبة يمنحها الله للإنسان يصحبها عهد طبيعي بين الله والإنسان، من قبيل موهبة العين يصحبها عهد يفرض على الإنسان أن يرى الحق، وهكذا. وبهذا يكون الإنسان قد نقض العهد متى ما غفل عن استثمار القوى الفطرية الموعودة في نفسه.[1]

السؤال الثاني: ما هو المقصود من العهد في الآية المباركة ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؟ وكيف أخذه سبحانه على خلقه؟

الجواب الأوّل: هو ما عهد إلى جميع خلقه في توحيده وعدله وتصديق رسوله بما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهد إليهم في أمره ونهيه وما احتج به لرسله بالمعجزات التي لا يقدر على الإتيان بمثلها الشاهد لهم على صدقه.

الجواب الثاني: هو ذلك العهد الذي أخذه الله حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصفه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

---

(1) راجع تفسير الأمثل للآية، الشيخ مكارم الشيرازي.

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾[١] فيكون أخذ العهد في عالم الذر الذي هو قبل عالم الدنيا.

السؤال الثالث: من هم أُولئك الذين وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الثلاثة بالآية. ينقضون. ويقطعون. ويفسدون، كما هو في الآية: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾؟

الجواب الأوّل: هم كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه، هو ما أخذه عليهم في التوراة من العمل بما فيها وإتباع محمدﷺ إذا بُعث والتصدق بما جاء به من عند ربهم؛ ويؤيد هذا الجواب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٢].

الجواب الثاني: ذكر صفات الفاسقين المذكورين في الآية السابقة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ....﴾، وهذا كشفاً عن حالهم وإيضاحاً لسبب ضلالهم وتقريراً لرسوخهم فيما هم عليه؛ ليدل على نكالهم في ما لهم من الخسران العظيم والعذاب الأليم. ويحتمل أن يكون المذكورين هم الذين نكثوا بعد النبي محمدﷺ، يؤيده: جاء بالفعل مستقبلاً (ينقضون)[٣].

السؤال الرابع: ما هو المراد بالإيصال هنا في قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن

---

(١) الأعراف: ١٧٢

(٢) آل عمران:٨١

(٣) راجع: تفسير بيان السعادة للآية، سلطان علي شاه.

يُوصَلَ﴾؟ وبماذا أمر الله أن يوصل؟

الجواب الأوّل: كل ما يرضاه الله تعالى، كصلة الرحم والقرابة وموالاة المؤمنين والعلماء، والإيمان بجميع الأنبياء والكتب وتعاطي ما فيه الخير وترك ما فيه الشر، فكل ذلك بين الله وبين العبد.

الجواب الثاني: إن المقصود بالوصل استمرار الروابط التي أقرها الله سبحانه بينه وبين عباده، أو بين عباده مع بعضهم بشكل طبيعي وفطري.

وبعبارة أُخرى: إنّ الله سبحانه أمر بالحفاظ على هذه الروابط الفطرية والطبيعية، لكن المذنبين يقطعونها. أو هو أن يوصل القول بالعمل بينما قطعوا بينهما، بأن قالوا ولم يعملوا.

السؤال الخامس: ما هو المعنى المراد من (الإفساد) المذكور في الآية الكريمة: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾؟

الجواب: استدعائهم إلى الكفر والمنع من الإيمان، والاستهزاء بالحق وقطع الوصل الذي به نظام العالم وإصلاحه.

السؤال السادس: ما هو المقصود من (الخسران) هنا في الآية: ﴿أُولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؟ وماذا خسروا؟

الجواب الأوّل: هو بيعهم اللذات العليا والسعادات القصوى الباقية بهذه اللذات الخسيسة البدنية الفانية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[1]؛ لأن لكل أحد في الجنة أهلاً ومنزلاً، فإن أطاع الله وجده، وإن عصاه ورثه المؤمنون، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ

(1) العصر:٢-٣

خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(١).

الجواب الثاني: خسروا حسناتهم التي عملوها، حيث كانت لهم أعمال بحسب شريعتهم، حتى المنافقين لهم أعمال ظاهرة عملوها رياء واتقاء للناس، فحبط ما صنعوا، فالخاسر: اسم عام يشمل حتى الذي أعطى شيئاً ولم يأخذ بإزائه ما يقوم مقامه.

الجواب الثالث: المقصود بالخسران هو خسران النفس؛ لأن وجدان كل شيء يُعد وجدان الذات وبسببه، فإذا هلكت هلك عنها كل شيء.(٢)

السؤال السابع: كيف جاز استعمال لفظ (النقض) في الأمور المعنوية، كما هو في الآية: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؟

الجواب:أصل استعمال النقض في الأشياء المادية، إنما ساغ وشاع استعماله في إبطال العهد، تشبيهاً له بالحبل على سبيل الاستعارة، لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر. أو إنّ استعمال (النقض) في (العهد) حقيقة، كما تقدم في تفسيره اللغوي بـ(العهد) ايضاً(٣).

السؤال الثامن: ما هو المراد من معنى كلمة (من) في قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؟

الجواب: ابتدائية؛ لأن ابتداء النقض كان بعد الميثاق، إذ لو كان قبله لم يستحقوا الذم.

---

(١) الزمر: ١٥

(٢) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

(٣) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج٧ ص٢٤٢.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: أهمية الارتباط مع الله

هنا في الآية لم يذكر المشبه به وهو (الحبل) وإنما رمز إليه بما يرادفه، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر المستعار ويرمزوا بذكر شيء من روادفه، وذلك تنبيه على مكانته.

الدرس الثاني: توبيخ أصحاب الضلال

قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ فيه إشارة إلى أن أُولئك الضالين بعد أن حصلوا مقدمات علم التوحيد ووصلوا إلى مرتبة يستعدوا بها لإدراك المعرفة واليقين رجعوا إلى مقام الجحود والإنكار، طلباً للرياسة والجاه، وإعراضاً عن سماع الآيات وانهماكاً في طلب اللذات، حتى صاروا قواطع للخير.

الدرس الثالث: النهي عن مصادقة قاطع الرحم

عن الصادق عليه السلام عن أبيه: قال لي علي بن الحسين عليه السلام: يا بني، إياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله عز وجل في ثلاث مواضع. منها: قوله في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[1].

الدرس الرابع: تحقير الناكثين والقاطعين

الإتيان باسم الإشارة البعيد وضمير الفصل وتعريف المسند هنا في قوله تعالى: ﴿أُولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ للإهانة، ولاستحضارهم بالصفات المذكورة.

---

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص٣٧٧.

الدرس الخامس: بيان ملامح الفاسقين

إن الله ذكر في هذه الآية المباركة بعض ملامح الفاسقين، ليعوا الناس وليعرفوا، كيف ينطلق الفسق في حياة الناس ليهدم الركائز الأساسية التي يستند إليها كيان المجتمع فمن أبرزها (أي الركائز) أمور ثلاثة:

أولاً: الوفاء بالعهود والمواثيق؛ لأنه هو الذي يؤكد الثقة بين أفراد المجتمع.
ثانياً: المحافظة على الروابط الروحية والاجتماعية تشد أواصر المجتمع وتجعله وحدة متماسكة.

ثالثاً: النزعة الإصلاحية التي تعمل على إصلاح ما فسد من حياة الناس ومحاربة تجدد الفساد، سواء في ذلك فساد العقيدة، أو فساد السلوك والوجدان، وهذا هو سر الإيمان في حياة المؤمنين.

تفسير: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إليه تُرْجَعُونَ﴾ [٢٨]

المعنى العام

الآية بصدد التعجب والإنكار على الذين ينكرون الله ويكفرون به، مع أنه هو الذي أفاض عليهم نعمة الحياة المادية، وأخرجهم إلى الوجود ثم يميتهم الموت الذي لابدّ منه، ثم يحييهم بعد ذلك ثم يبعثهم للحساب والمجازاة.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المعنى المقصود من استعمال لفظ (كيف) الوارد في الآية المباركة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾؟

الجواب الأوّل: للتوبيخ: أي توبيخ الكفار ومعناه: ويحكم كيف تكفرون بالله، كما يقال: كيف تكفر نعمة فلان وقد أحسن إليك.

الجواب الثاني: استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب إنما هو للخلق، أو للمؤمنين، أي أعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم.

السؤال الثاني: كيف يصح اتصافهم بالكفر، وهم غير متلبسين بالحياة، كما هو في الآية: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾، فالواو في المقام حالية: أي وحالهم أمواتاً بالماضي، مع أن الحال يجب أن يكون وجوده مع وجود ما يقيد به، وهنا ليس كذلك، فإن الكفر حاضر لهم

وكونهم أمواتاً ماضيا لا يجدي نفعاً؟

الجواب: الواو الحالية لم تدخل على جملة ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ فقط، بل على جملة الكلام إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ والمعنى كيف تكفرون وحالكم هذه، إنّكم كنتم كذا وتصيرون كذا[1].

السؤال الثالث: ما هو المراد من كونهم كانوا أمواتاً. كما في الآية: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾؟

الجواب الأوّل: كنتم أخلاط وعناصر ونطف في أصلاب آبائكم فأخرجكم إلى دار الدنيا أحياء. أو: المراد به العدم السابق على الوجود أي كنتم معدومين فأوجدكم.

الجواب الثاني: إن المراد به الموت الحكمي لا الحقيقي، إذ الإنسان حين ولادته لا اسم له ولا شهرة له عند الناس، ثم يصير مشهوراً عندهم ويصبح له كيان ووجود في المجتمع[2].

وقريب منه: أنكم كنتم جهالاً فأحياكم الله بما أفادكم من نور الإيمان واليقين على طباق قوله تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾[3].

السؤال الرابع: كيف صح اتصافهم بالموت في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ ولم تسبق حياة في البين، حيث أنّ الموت بعد الحياة؟

الجواب: الموت يصدق على الشيء وإن لم تكن فيه حياة، ولو من باب

---

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.
(2) راجع: تفسير مواهب الرحمن، السيد السبزواري.
(3) الانعام: ١٢٢

المجاز كما في قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ (١) أو قوله: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ (٢) لذا سميت النطف موات، وهذا بخلاف الإماتة، فلا يتحقق لها مصداق من دون سابقه وهو الحياة(٣).

السؤال الخامس: كيف عد الموت من النعم في الآية، وهو يقطع النعم في الظاهر؟

الجواب: لأن الموت يقطع التكليف، فيصل المكلف بعده إلى الثواب الدائم والنعم الكبرى، فيكون من هذا الوجه نعمة. أو إنّ ذكر الموت هنا لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمة.

السؤال السادس: يفهم من قوله في الآية ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ المكانية أو الاستقلالية وكلاهما محال بحقه تعالى؛ لأن الإنسان في جميع الأحوال بداءً وختاماً تحت سلطته وقدرته وعلمه؟

الجواب: المراد بالرجوع هنا، أن النظر صار إليه خاصة وهو المجازي على الأعمال كقول القائل: طريقك علي، ومرجعك إلي، يريد: أني مجازيك ومقتدر عليك. لذا سمي الحشر رجوعاً إلى الله؛ لأنه رجوع إلى حيث لا يتولى الحكم غيره سبحانه، فيجازيهم على أعمالهم كقول القائل: أمر القوم إلى الأمير والقاضي، ولا يراد به الرجوع من مكان إلى مكان.

السؤال السابع: كيف يجوز أن يكون هذا الخطاب لأهل الكتاب وهم لم يكفروا بالله بالخصوص؟

الجواب: الكفر أوسع من إنكاره لله، فيشمل الشرك به، وإنكار النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الفرقان: ٤٩

(٢) يس: ٣٣

(٣) الصراط المستقيم، ابن يونس العاملي، ج٢ ص٢٥١

وبما جاء به.

السؤال الثامن: لماذا استعملت لفظة (كيف) هنا في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ ولم يؤتى بالهمزة فتكون (أتكفرون)؟

الجواب: استعمال (كيف) بالآية أبلغ وأقوى من استعمال الهمزة (أتكفـرون)؛ لأن استعمال الهمزة إنكار لأصل الفعل، واستعمال كيف إنكار للحالـة التـي يقـع عليها الفعل، من أن حال الشيء تابع لأصله وذاته فإذا امتنعت امتنع وإذا جـازت جاز، فيكون نفيه هنا بوجه برهاني دون الهمزة نفيه بغير برهان[1].

السؤال التاسع: لماذا عطف الإحياء الأوّل بــ(الفاء) بقوله: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾، أمّا الإحياء الثاني عطفه بــ(ثم) ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؟

الجواب: ذلك لأن الإحياء الأوّل يعقب الموت بغير تراخي، أما الإحياء الثـاني متراخي عن الموت، فستحق أن يعطف بـ(ثُم) المفيدة للتراخي[2].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: إبطال قول المجبرة

في الآية دلالة على أنه تعالى لم يرد من عباده الكفر، ولا خلقه فيهم؛ لأنـه لـو أراده منهم أو خلقه فيهم، لا يجوز أن يقول لهم كيف تكفرون بالله.

الدرس الثاني: الرد على الماديين

إسناد الإماتـات والإحيـاءات إلـى الله، إشـارة لطيفـة إلـى أن هـذه التحـولات

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

(2) راجع: تفسير جوامع الجامع للآية، الطبرسي.

والانتقالات أمور طبيعية صادرة بتسخير الله تعالى، لا أنها أمور اتفاقية صادرة بأسباب اتفاقية، أو إنّ المؤثر في الحياة طبائع الأفلاك والكواكب. فالآية تركز على الحياة؛ لأنها في عالم الطبيعة أعظم سند لإثبات وجود الله تعالى.

الدرس الثالث: كم من سليم مات من غير علة

يستفاد من الآية إمكان مفارقة الروح للجسد، وإن لم تنفد قواه الموجبة للحياة، بل حتى مع وجود القوى بكاملها ودون أن يطرأ خلل على الجسم، وهذا مما نشاهده بالوجدان، أن كثير من الناس يدركهم الموت وهم في مقتبل العمر وأوج الصحة والسلامة.

الدرس الرابع: وكفى بالموت واعظا

ظاهرة الموت هي من الأمور التي يراها الإنسان في حياته اليومية، من خلال وفاة من يعرفهم، ومن لا يعرفهم، وهذه الظاهرة تبعث أيضاً على التفكير والتأمل من الذي قبض أرواحهم.

الدرس الخامس: حياة الإنسان بعبارة موجزة

في الآية المباركة فتح سجل حياة الإنسان أمامه، من قبل ولادته حتى بعثته، بعبارة موجزة رائعة.

الدرس السادس: الحياة خالدة بخلود الخالق

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إشارة إلى أن جميع المخلوقات تبدأ مسيرة تكاملها من نقطة العدم التي هي نقطة الصفر، وتواصل السير نحو اللانهاية التي هي ذات الله سبحانه وتعالى، من هنا فإن هذه المسيرة لا تتوقف لدى الموت، بل تستمر في الحياة الأُخرى على مستوى أسمى.

الدرس السابع: إبطال فكرة تناسخ الأرواح

الآية تصرح بعدم وجود أكثر من حياة واحدة بعد الموت وهي حياة البعث، فهي ترفض بوضوح فكرة التناسخ، حيث لو كان التناسخ صحيحاً لكان للإنسان أكثر من حياة وحياتين؛ لأن المعتقد بالتناسخ يؤمن بأن الإنسان يعود بعد الموت ثانية إلى هذه الحياة، بعد أن تحل روحه في جسم آخر ونطفة أُخرى، ويحيا في هذه الدنيا حياة أُخرى، وقد تتكرر هذه العودة مرات.

الدرس الثامن: معنى الحياة في القرآن على وجوه

ذكر الحياة في القرآن على وجوه كثيرة (منها): ابتداء خلق الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[١].

و(منها) الإنبات، قوله تعالى: ﴿يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٢].

و(منها) دخول الجنة، أو سبب لها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٣] يعني الخلود في الجنة. لذا عبر في الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

الدرس التاسع: الحياة أصل النعم

بدأ الله تعالى بذكر نعمة الحياة من بين سائر النعم التي أنعم بها على العبد؛ لأن أول نعمة أنعم الله بها خلقه هي الحياة، وبالحياة يتمكن الإنسان من الانتفاع والالتذاذ.

---

(١) الحجر: ٢٩
(٢) الروم: ٥٠
(٣) الأنفال: ٢٤
(٤) العنكبوت: ٦٤

تفسير: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢٩]

المعنى العام

اللغة: (**الخلق**): إيجاد الشيء والتقدير والإنشاء(١). (**استوى**): قصد، وصعد، واستولى،(٢).(**السماء**): جهات العلو، وكل ما علاك(٣).

المعنى: إن الله قدر أن يكون ما في الأرض لأجل انتفاع الإنسان دنيوياً يستفيدون من خيراتها، وأخروياً يعتبرون بها، ويستدلون بها على وجود الخالق وحكمته. ثم دبر خلق السماوات على وجه الإتقان، مع إحاطة علمه عز وجل بكل ذلك.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو معنى الاستواء هنا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾؟

الجواب الأوّل: القصد، أي قصد إلى السماء لتسويتها، كقول القائل: كان الأمير يدبر أمر الشام، ثم استوى إلى أهل الحجاز: أي تحول تدبيره وفعله إليهم.

الجواب الثاني: إنه بمعنى الاستيلاء أي استولى على السماء بالقهر ومنه قوله

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ج١ ص٢٢٨.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٤١٤.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٢٩٨.

تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾[١] أي تمكن من أمره وقهر هواه بعقله. فعلى هذا يكون المعنى ثم استوى إلى السماء في تفرده بملكه ولم يجعلها كالأرض ملكاً ولو مجازاً لخلقه.

السؤال الثاني: يفهم من الآية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ إنه خلق الأرض قبل السماء؟ لأن (ثم) للتعقيب والتراخي، بينما نرى في آية أخرى خلاف ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [٢] أي بعد خلق السماء دحا الأرض؟

الجواب الأوّل: إن الله خلق الأرض قبل السماء غير أنه لم يدحها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك، ودحوها مدها وبسطها فلا تنافي في البين.

إن قيل: كيف يصح خلق المنافع فيها قبل دحوها، كما صرّحت بها الآية.

قلت: أما المراد من الخلق التقدير (أي قدر في الأرض المنافع) وهو مقدم على الإيجاد فلا يحتاج إلى دحوها؛ لأنه مجرد تقدير. أو المراد به بإيجاد المنافع هنا إيجاد قابلياتها ونواتها الأوّلية في مرحلة القوة لا الفعل فكذلك لا تحتاج إلى دحو.

الجواب الثاني: يمكن أن لا يكون معنى(ثم ـ وبعد) في هذه الآيات للترتيب في الأوقات، وإنما هو على جهة تعداد النعم والتنبيه عليها، كما يقول القائل لصاحبه: أليس قد أعطيتك، ثم رفعت منزلتك، ثم بعد هذا كله جعلتك كذا...

فربما يكون بعض ما ذكره متقدماً في اللفظ كان متأخراً؛ لأن المراد لم يكن الإخبار عن أوقات الفعل وإنما المراد به التذكير.

السؤال الثالث: يفهم من قوله في الآية ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ عدم شمولها

---

(١) القصص:١٤

(٢) النازعات:٣٠

لخلق الأرض، بينما هي من النعم الثابتة؟

الجواب: يمكن أن يراد من الأرض هنا الجهات السفلية لا الغبراء، كما يراد بالسماء الجهات العلوية لا الخضراء، فيصدق على الأرض وما فيها، لأنها واقعة في السفل، فتكون من الجهات السفلية.

السؤال الرابع: **كلمة (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء﴾ يفيد التراخي والمهلة بين خلق الأرض وخلق السماء، فيلزم فصل زماني بين خلق الأرض وخلق السماء، وإلا لعطف بالفاء الدالة على عدم التراخي؟**

الجواب: كلمة (ثم) كما تكون للتراخي بين الشيئين بحسب الزمان، فقد تكون للتفاوت بينهما في الشرف، والفضيلة، و(ثم) هنا لفضيلة خلق السماء على الأرض، لا للتراخي في الوقت[1] أو كما تقدم أن المراد بالخلق هنا التقدير وليس الإيجاد فلا يبقى محلاً للسؤال.

السؤال الخامس: **كيف صح رجوع ضمير الجمع في قوله ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ إلى لفظة ﴿السَّمَاء﴾ التي هي مفرد،؟**

الجواب: السماء هنا ليست مفرد، بل هي هنا جنس، أو جمع سماة كنواة، فساغ رجوع ضمير الجمع إليها. أو إن الضمير هنا لم يرجع إلى السماء وإنما هو مبهم يفسره ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، كربه رجلاً.

السؤال السادس: **أثبت علماء الفلك والاختصاص من خلال الأرصدة الحديثة، أن هناك أكثر من سبع سيارات، وليس سبعة فقط، كما ذكرت الآية الكريمة: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ**

---

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

سَمَاوَاتٍ﴾؟

الجـواب الأوّل: المـراد بالسـماوات السبع هنـا ليسـت السـيارات والكـواكـب المشهودة، بل هذه (السيارات السبعة) جزء مـن السـماء الأوّلـى، كمـا فـي قولـه تعالى: ﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ**﴾.(١) وثَم ستة عوالم أُخرى خارجة عن نطاق رؤيتنا ووسائلنا العلمية اليـوم، بـل عـاجزين عـن إدراك جوانـب عالمنـا وسمائنا، والراصدون يعترفون أن أقصى ما اكتشـفوه هـو بدايـة الكـون فـي عـالم الدنيا لا نهايته.

الجواب الثاني: المقصود بالسماوات السبع هي الطبقات المتراكمـة للغـلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية.

الجواب الثالث: ذكر السبع بالخصوص في الآية لا يدل على الحصر بهـا، ولا ينفي وجود غيرها، فلقد أثبت العلماء في علم الأصول واللغة أن العـدد لا مفهـوم له، فمن قال: إني أملك سبع كتب لا يدل قوله هذا على أنه لا يملك غيرها، يؤيـد ذلك، أن الله تعالى حين خاطب نبيه ﷺ بقوله: ﴿**إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَـن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ**﴾(٢)، قال الرسول ﷺ: **لو أني أعلم أني ازدت على السبعين يغفر له لفعلت**.(٣) أما ذكره تعالى لسبعة بالخصوص قد تكون لهـا خصـائص لا توجـد في سائر السماوات.

السؤال السابع: اللام في لفظة (لكم) من قوله هنا في الآية: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا

---

(١) الصافات: ٦
(٢) التوبة:٨٠
(٣) الحدائق الناظرة، البحراني، ج١٠ ص٤١٥

فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ للانتفاع. إن الله خلق كل ما في الأرض منافع لكم، بينما نلاحظ في الأرض بعض السموم والشرور المضرة من قبيل العقارب والحياة وما شابهها، فكيف تعد من المنافع للإنسان؟

الجواب الأوّل: هذا من لحاظ أدنى تكون مضرة ومؤذية، وإنما هي بحد ذاتها منفعة كبرى للإنسان، وربما تكون علة لمعلولات تتحقق من خلالها المنفعة.

الجواب الثاني: المراد بالانتفاع الاعتبار ففي العقارب والحياة قد يتذكر الإنسان ببعض ما يرى من المؤذيات ما أعد الله للكفار والعصاة من العقوبات فيكون، سبباً لإيمانه وترك المعاصي.[1]

السؤال الثامن: لِمَ لم يقل (قدير) في قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ بدل (عليم)؟

الجواب: لأنه سبحانه لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء، وصل ذلك بالعلم إذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الإتقان والأحكام، وأيضاً أراد أن يبين أنه عالم بما يؤول إليه حاله وحال المنعم به عليه.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: الحياة سبب لخلق الخيرات

ترتيب هذه الآية على سابقتها إشارة إلى أن الانتفاع بالأرض والسماء وما في كل منهما يكون بعد حصول الحياة، فلهذا ذكر الله أمر الحياة أولاً، ثم أردفه بذكر الأرض والسماء وما فيهما من خيرات.

الدرس الثاني: الأصل في الأشياء الإباحة

يستفاد من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ الإباحة

---

(1) راجع: تفسير القرطبي للآية.

المطلقة في جميع الأشياء، إلا ما دل عليه بالخصوص على تحريمه. وفيها إشارة إلى قيمومة الإنسان في هذه الأرض وسيادته على ما فيها من الموجودات.

الدرس الثالث: الخلق مقدم على الإيجاد

ربما يكون الخلق هنا التقدير والتقدير مقدم على الإيجاد، كل موجود مقدر وليس كل مقدر موجود.

الدرس الرابع: الدنيا مزرعة للآخرة

قوله تعالى:﴿**خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾ لا لمجرد انتفاعكم به في دار الدنيا، بل لتستفيدوا منه أيضاً في إصلاح أموركم الأخروية، ولتكونوا بواسطته على بصيرة من دينكم.

الدرس الخامس: الأصل في الأرض عدم الملكية

ربما يستدل بهذه الآية الكريمة على أن الأرض لا تملك، وأن الذي يجوز تملكه هو ما تنتجه الأرض؛ لأنه سبحانه قال: ﴿**خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾. فلو هجرت الدار أو البستان حتى أصبحت مواتا خرجت عن ملكه بخروج منافعها، وهذا بخلاف السلعة المملوكة[1].

الدرس السادس: لزوم شكر المنعم

في الآية دلالة على أن صانع السماوات والأرض قادر وعالم، وأنه تعالى إنما يفعل الفعل لغرض، وأن له تعالى على الخلق نعماً يجب شكره عليها.

---

(1) راجع: تفسير الكاشف للآية، محمد جواد مغنية.

تفسير: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [٣٠]

المعنى العام

اللغة: (**الخليفة**): النائب، الذي يستخلف من قبله، استخلف فلان جعله مكانه[١]. (**السفك**): صب الدماء ونثر الكلام، فلان سفاك للدماء وللكلام[٢]. (**التسبيح**): التنزيه، والسبوح الذي ينزه عن كل سوء[٣]. (**التقديس**): التطهير، والقدوس: الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص[٤].

المعنى: الآية بصدد شروع قصة خلق آدم عليه السلام، وجعله خليفة عن الله أو عن الموجودات السابقة عليه، مع بيان الحوار الجاري بين الله والملائكة حول الحكمة التي بعثت المولى أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض مع اشتماله على صفة الإفساد وسفك الدماء، فأعلمهم الله بالقابلية والاستعداد الموجود عنده ما لم يوجد عند غيره.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٩ ص٨٤.
(٢) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج٥ ص٣١٥.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٢ ص٤٧٣.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج٦ ص١٦٨.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: من هو المراد من (الخليفة) المذكور في الآية الكريمة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؟

الجواب الأوّل: المراد بالخليفة هنا نوع الإنسان؛ لأن آدم عليه السلام الشخص محدود بفترة زمنية معينة ينتهي عمره بانتهائها، فكيف يمكنه القيام بهذا الدور الكبير الذي هو الخلافة من الله، مع أن الملائكة قد وصفوا هذا الخليفة بأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء وهذا الوصف لا ينطبق على آدم عليه السلام، بل ينطبق على بعض الجماعات التي يتمثل فيها النوع الإنساني في مدى الحياة، والمراد بالنوع الإنساني في مقابل التحديد بشخص آدم عليه السلام ويسري إلى الأنبياء والصالحين هم خلفاء الله، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.[1] وما ورد أيضا عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «**من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله في الأرض وخليفة رسوله**»[2]. فالمراد بالخليفة الأنبياء والأوصياء ومن نهج نهجهم.

الجواب الثاني: آدم وذريته مطلقاً جعلهم الله خلفاء الملائكة؛ لأن الملائكة كانوا سكان الأرض بعد هلاك الجن، واستغنى بذكر آدم عن ذكر ذريته، كما يستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك: ربيعة ومضر وهاشم، أو أن اسم الخليفة يصلح للواحد والجمع والذكر والأنثى، كالسلطان.

السؤال الثاني: من هو المُستخلَف (بالفتح)؟

---

(1) ص: ٢٦

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢ص ١٧٩.

الجواب الأوّل: هو الله، فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام والصالحون خلفاء عن الله في إعمار الأرض ونشر العدل.يؤيده:قوله تعالى ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾.

الجواب الثاني: يكون الإنسان خليفة عن الموجودات السابقة على خلق الإنسان حيث أن هناك فصائل حية عاشت في الأرض قبل الإنسان، كما يظهر من بعض الروايات وعاشت فيها فساداً، وسفكت الدماء، يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾.(١) أو قوماً يخلف بعضهم بعضاً من ولد آدم الذين يخلفون آبائهم في إقامة الحق وإعمار الأرض منهم مخلوقات تتناسل ويخلف بعضها بعضاً الآخر.

السؤال الثالث: **من أين علمت الملائكة بأن جعل الإنسان في الأرض يفسد فيها ويسفك الدماء، كما هو في الآية: ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾؟**

الجواب الأوّل: من حمل المستقبل على الماضي؛ لأنه تعالى خلق خلقاً قبل آدمنا عليه السلام إما الجن، أو دورة إنسانية سابقة علينا كانوا في الأرض كما يظهر ذلك من رواية ابي جعفر عليه السلام أنه قال:« **لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد، وترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم، وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين**»(٢). فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فبعد ما أهلكهم الله وانقرضوا وجاء دور خلق آدمنا قاسوا فعله بفعل الماضين، بأنهم يفسدون ويسفكون الدماء، كما كانت الأقوام السابقة.

الجواب الثاني: إن الله تعالى أخبر الملائكة بأنه سيكون من ذرية هذا الخليفة

---

(١) يونس: ١٤

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٢٧٧

من يعصي ويسفك الدماء، وهذا الإخبار إما مقدم على خلق آدم أو محذوف من الآية للاختصار والتقدير: إني جاعل في الأرض خليفة وإني عالم سيكون في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء، والحذف هنا نوع من أنواع الفصاحة[1].

الجواب الثالث: علمهم بأن الدار دار الكون والفساد، والإنسان مركب من قوى متضادة متخالفة من الشهوة والغضب والقوة والضعف ونحو ذلك، ومن كان هذا حاله وهو في دار الكون والفساد يلازمه سفك الدماء والإفساد، فيكون قولهم وعلمهم من باب كشف الملزوم عن اللازم.

السؤال الرابع: **كيف صح للملائكة هنا أن تعترض على الله سبحانه في جعل آدم خليفة، كما يفهم من الآية ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؟ مع أنه تعالى وصفهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾؟**[2].

الجواب الأوّل: الملائكة هنا سائلين لا معترضين، لاستكشاف عما خفي عليهم وجه حكمته، كأنهم قالوا إلهنا أنت الحكيم الذي لا يفعل السفه، فما وجه الحكمة في جعل جوهر أرضي خليفة فيها، وهو مصحوب لقوة شهوية شأنها الشر والفساد، وهذا ليس نوع من الاعتراض، وإنّما مجرد سؤال واستفهام عن الحكمة عن خلق الإنسان وجعله خليفة.

الجواب الثاني: قالوا ذلك على وجه التعجب لا الاعتراض والإنكار، وهو كيف يستخلفهم في الأرض وقد علم أنهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء، مع

---

(1) راجع: تفسير مجمع البيان للآية.
(2) الأنبياء: ٢٦-٢٧

وجود من هو بريء من الشرور والمفاسد بالكلية، كطبقة الملائكة المعصومين عن المعاصي.

السؤال الخامس: هل أن هذا الخطاب الموجود في الآية: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يشمل كل الملائكة أم جمع خاص منهم؟

الجواب الأوّل: خطاب لجميع الملائكة حيث جاءت كلمة (الملائكة) في الآية مطلقة غير مخصصة بقوم منهم.

الجواب الثاني: خطاب خاص لبعض الملائكة، وهم الذين أسكنهم الله في أرضه بعد ما هلك الجن. يفهم ذلك من ظاهر الآية ومقتضى الحوار.[1]

السؤال السادس: لو كان آدم × قادراً على أن لا يأكل من الشجرة لكان قادراً على نقض ما دبره الله فيه من كونه خليفة في الأرض؛ لأنه لو لم يأكل منها للبث في الجنة، والله إنما خلقه ليجعله خليفة في الأرض، فهذا يدل على أنه لم يكن بد من المخالفة؟

الجواب الأوّل: إن الجنة التي خلق الله تعالى فيها آدم عليه السلام لم تكن جنة الخلد، وإنما كانت في الأرض، حيث شاء الله وإنه عندما كان في الأرض كان خليفة في الأرض وفي هذا يسقط السؤال.

الجواب الثاني: إن الله تعالى علم أن آدم عليه السلام سيخالف، وانه يهبط إلى الأرض فيستخلفه فيها، فأخبر الله تعالى بما علم ومجرد العلم لا يكون سببا للمخالفة.

السؤال السابع: بماذا استحق آدم عليه السلام هذا المنصب الكبير من الخلافة كما هو في الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؟

---

(1) راجع تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.

الجواب الأوّل: لطاعته لله سبحانه، مع وجود كل هذه الصوارف البدنية التي جعلت في تركيبته، كالشهوة والغضب وما إليها.

الجواب الثاني: إن فيه استعداداً لتقبل العلم ما لم يحتمله غيره من المخلوقات حتى الملائكة، ربما يشير المعنى بعض من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أتحسب أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر**»(١) أو لقدرته على تحمل السر الذي هو عبارة عن تعلم الأسماء التي هي أشياء حية عاقلة محبوبة تحت حجاب الغيب محفوظة عند الله(٢).

السؤال الثامن: جرت السنة الإلهية أن يكون لله خلفاً كما هو صريح الآية على هذا المبنى، أفلا يلزم من ذلك احتياجه إلى من ينوبه في فعله؟

الجواب: تعالى الله عن القصور والاحتياج؛ لكونه تام كل حقيقة وكمال كل وجود، وإنما ذلك لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه، وتلقي أمره من لدنه بغير واسطة، ولذلك لم يستنب ملكاً من الملائكة العالين في الأرض.

السؤال التاسع: قول الملائكة كما في الآية: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ألا يكون طعن في بني آدم على وجه الغيبة، أو تزكية لأنفسهم على وجه الافتخار والازدراء بغيرهم؟

الجواب: يريدون البعض من ذرية آدم عليه السلام على وجه السؤال أو التعجب، بعد ما علموا أن في ذرية آدم من يسفك الدماء ويفسد في الأرض. قالوا: أتجعل فيها هذا النمط من الخلق. مع أن قولهم ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

---

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام للقرشي ج١ ص٢٠٤

(٢) راجع كتاب علوم القرآن للسيد الحكيم ص٤٦٥

ليس افتخار وتزكية، بل كقول العبد المطيع لمولاه، إني أقوم بخدمتك فلماذا تأتي بغيري الذي لا يقوم بالواجب، وهذا لا يدل على الافتخار أو الازدراء.

السؤال العاشر: ما هو المراد من قوله تعالى في الآية: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب: هو علمه تعالى ما في ذرية آدم من الأنبياء والصالحين. أو علمه بالقابلية والاستعداد الموجود في الإنسان. أو أراد ما أضمره إبليس من الكبر والمعصية لما أمره الله بالسجود لآدم عليه السلام.

السؤال الحادي عشر: ما هو الداعي في إخبار الملائكة من قبل الله عز وجل؟ حيث أن القول والإخبار غير مفيد ما لم يكن فيه الخير للقائل أو للمقول له، ومجرد إطلاعهم على ذلك الخليفة لا يكفي لجواز إخبارهم بذلك؟

الجواب الأوّل: لإظهار فضل آدم عليه السلام للملائكة، وتعريفه لهم، وإعلامهم بمقامه، بأن له الخلافة في الأرض، مع إظهار ما هو المكنون في نفوس الملائكة على أنفسهم ليعرفوا بذلك العجز والقصور.

الجواب الثاني: إن هذه المحاورة كانت تلطفاً منه عز وجل للملائكة وجبراً لما انكسر من نفوسهم، حيث صنع الله الخليفة من الطين الذي هو دونهم بمراتب[1].

الجواب الثالث: إرشاد الناس إلى المشاورة بينهم في أمورهم، وإن المشاورة لا تنقص الفرد وإن عظم شأنه، كما قال تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وآله **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾**[2].

---

(1) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية.
(2) آل عمران: ١٥٩

السؤال الثاني عشر: ما هو المراد من معنى خلافة آدم × لله عز وجل في أرضه؟

الجواب الأوّل: إنه يخلف الله في الحكم والفصل بين الخلق. أو يخلف الله في عمارة الأرض واستثمارها من إنبات الزرع وإخراج الثمار وشق الأنهار.أو يخلف الله في العلم بالأسماء كلها.

الجواب الثاني: يخلف الله سبحانه في الأرض بما نفخ الله فيه من روحه، ووهبه من قوة غير محدودة، سواء في قابليتها أو شهوتها أو علومها[1].

السؤال الثالث عشر: كأنه يُفهم من الآية نفي الفساد وسفك الدم عن الإنسان. مع أن فيه عدم تصديق لملائكته، لقولهم إنّ الإنسان يسفك ويفسد في الأرض، أو قولهم بالتسبيح والتقديس له سبحانه وتعالى من قبلهم؟

الجواب: إنه تعالى في الآية لم ينفي عن الإنسان الفساد وسفك الدماء مطلقاً، ولا كذّب الملائكة في دعواهم التسبيح والتقديس أو غيره، بل إنما أبدا شيئاً آخر، وهو أن هناك أمراً لا يقدر الملائكة على حمله، ولا تحمله ويحتمله هذا الخليفة الأرضي.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: من نعم الله خلق آدم عليه السلام وما أعد لذريته

بعد ما ذكر سبحانه إنعامه علينا بخلق السماء والأرض وما فيها ذكر نعمته علينا بخلق آدم أبينا عليه السلام. مع أنّ تقديم آية: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ على قصة خلق آدم تفضل منه تعالى، إلى حيث أعد لآدم عليه السلام وذريته جميع ما في الأرض ثم خلقهم.

---

(١) راجع: علوم القرآن، للسيد الحكيم ص٤٥٢

الدرس الثاني: خلق الله آدم بالمباشرة

يفهم من الآية أن لبني آدم عليه السلام فخر، بأن خلق الله أباهم بيد قدرته بالمباشرة، ولم يخلق غيره هكذا لا قبله ولا بعده فيما نعلم.

الدرس الثالث: معرفة الملائكة عن طريق الأنبياء

لا وسيلة إلى معرفة الملائكة وحقيقتهم بالحس والتجربة إلا عن طريق الوحي من الله على لسان أنبيائه ورسله.

الدرس الرابع: الإنسان خليفة الله

وجه تسميته للإنسان بالخليفة، أن الله سبحانه أوكل للإنسان زمام هذه الأرض والكشف عما فيها من قوى ومنافع.

الدرس الخامس: معرفة أسرار الخليقة بيد الله

في الآية بيان أن ليس للإنسان معرفة حقائق الأشياء وأسرار الخليقة وحكمها، فإن الملائكة مع رفعة شأنهم قد عجزوا عن ذلك.

الدرس السادس: الحث على الإخلاص

قوله تعالى: ﴿نُقَدِّسُ لَكَ﴾ إشارة أن تسبيحنا وتقديسنا وتنزيهنا لأجلك لا تشوبه رياء ولا سمعه، فيلزم أن تكون كل العبادة خالصة لوجهه الكريم.

الدرس السابع: عجز الإنسان عن معرفة الملاكات

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ذكر لهم أن هناك مصالح، مع أنه لم يبين لهم تلك المصالح؛ لأن العباد يكفيهم أن يعلموا أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وإن خفي عليهم وجه الحكمة.

الدرس الثامن: الغاية في خلق الإنسان العبادة

الغاية في الخلق هي العبادة لله عز وجل، كما يشير له ظاهر الآية المباركة وذلك عندما أخبر الله الملآئكة في جعل آدم عليه السلام خليفة قالوا: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾؛ لأنهم لا يعرفون من غاية الخلق إلا العبادة.

تفسير: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٣١]

المعنى العام

اللغة: (الإنباء): الإخبار والإعلام[١].

المعنى: الآية بصدد إعلام الملائكة ببعض مزايا البشر، وأنهم من جنس ارفع منهم، حيث علمهم علوما يتمكن من فهمها و هضمها بينما لا يقدر الملائكة على ذلك.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المراد من الأسماء هنا في الآية المباركة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾؟

الجواب الأوّل: إن المراد من الأسماء الألفاظ التي سم الله بها خلقه، من أجناس وأنواع المحدثات، وفي جميع اللغات، فيشمل أسماء الجبال والبحار، والأودية، والنبات، والحيوان.

والدليل على ذلك: ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن قوله تعالى: **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾** ماذا علمه؟ قال: **الأرض والجبال و الشعار والأودية ثم نظر**

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٥ ص٣٠٢.

إلى بساط تحته وقال هذا البساط مما علم[١].

الجواب الثاني: المراد من الأسماء المسميات وصفاتها وخصائصها، فحذف هنا المضاف إليه لكونه معلوما، ومدلول عليه بذكر الأسماء؛ لأن الاسم لابد له من مسمى، فالمراد هنا معاني الأسماء؛ لأن الأسماء بلا معاني لا فائدة بها.

بتعبير آخر: المراد بالأسماء حقائق المخلوقات الكائنة في عالم الجبروت والمسماة عند طائفة بالكلمات، وعند قوم بالأسماء، وعند آخرين بالعقول، وأسماء الله لا شبهة أسماء خلقه، وإنّما أُضيفت في الحديث تارة إلى المخلوقات كلها؛ لأن كلها مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها متفرقة، وأخرى إلى الأوّلياء والأعداء؛ لأنها مظاهرها التي فيها ظهرت صفات اللطف كلها في الأوّلياء و صفات القهر كلها في الأعداء.

الجواب الثالث: إنّها موجودات عالية مغيبه في غيب السماوات والأرض، ووسائط فيوضاته تعالى لما دونها، لا يتم كمال المستكمل إلا ببركاتها، وقد ورد في بعض الأخبار انه رأى أشباح أهل البيت عليهم السلام و أنوارهم حين عُلّم الأسماء[٢].

السؤال الثاني: ما هو الدليل على أن المراد من (الأسماء) المسميات لا الألفاظ، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾؟

الجواب الأوّل: كلمة (علّم) تدل على أن الله سبحانه منح آدم عليه السلام العلم الحقيقي، وهو إدراك المعلومات نفسها، والألفاظ الدالة عليها تختلف باختلاف اللغات التي تجري بالمواضعة عليها، والاصطلاح، فهي تتغير وتختلف، والمعنى

---

(١) مستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٦٤

(٢) راجع: تفسير الميزان، الطباطبائي، ج١ ص١٤٩.

لا تغير فيه ولا اختلاف، فلابد أن يكون هو المسميات التي هي المعلومات الحقيقية.

الجواب الثاني: قضية التحدي المطروحة في الآية الكريمة: وذلك أن الأسماء حين يقصد منها الألفاظ و اللغات فهي إذن من الأشياء التي لا يمكن تحصيلها إلا بالتعليم والاكتساب، فلا يحسن تحدي الملائكة بها، إذ لا دلالة في تعليمها آدم عليه السلام على وجود موهبة خاصة فيه يتمكن بها من معرفة الأسماء، وهذا على خلاف ما إذا قلنا أن المقصود منها المسميات.

الجواب الثالث: عجز الملائكة عن مواجهة التحدي؛ لأن هذي الأسماء لو كانت ألفاظا لتوصل الملائكة إلى معرفتها بإنباء آدم عليه السلام بها، وهم بذلك يتساوون مع آدم عليه السلام، فلا يبقى له مزية و فضيلة عليهم، فلابد أن نلتزم بأنها أشياء تختلف مراتب العلم بها، الأمر الذي أدى إلى أن يعرفها آدم معرفة خاصة تختلف عن معرفة الملائكة لها حين إخباره لهم بها.

السؤال الثالث: كيف تم تعليم الله آدم عليه السلام للأسماء، في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾؟

الجواب: هو أن هذا التعليم تكويني أي أن الله أودع هذا العلم في وجود آدم عليه السلام بالقوة ودفعه خلال مدة قصيرة إلى مرحلة الفعلية، كما يشير لذلك قوله تعالى ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1].

السؤال الرابع: ما هي وجه أفضلية آدم عليه السلام على الملائكة؟ مع أن الله عز وجل علمه الأسماء وبها امتاز على الملائكة؟

([1]) الرحمن: ٤. راجع: تفسير الأمثل للآية، الشيخ مكارم الشيرازي.

الجواب: لأنه خلقه من أجزاء مختلفة، وقوى متباينة، حتى استعد لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات، وهذا خارج عن استطاعة إدراك الملائكة ذاتا.

السؤال الخامس: ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا هنا بقوله: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

الجواب الأوّل: عند ما اخبر الله الملائكة في جعل آدم خليفة في الأرض هجس في نفوسها، إن كان الخليفة منهم بدلاً من آدم عليه السلام وذريته لم يكن في الأرض فساد وسفك دماء، وإن كان الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح في التدبير والأصوب في الحكمة، فقال الله (الآية).

الجواب الثاني:إنّه خطر ببالهم انه لن يخلق الله خلقا إلا وهم أعلم منه وأفضل في سائر أنواع العلم، فقال: إنّ كنتم صادقين في هذا الظن اخبروني بهذه الأسماء.

الجواب الثالث: المراد إن كنتم تعلمون فاخبروا به، كقول القائل: اخبر بما في يدي إن كنت صادق،أي إن كنت تعلم فاخبر به؛ لأنه لا يمكن أن يصدق في مثل ذالك إلا إذا أخبر عن علم منه.

السؤال السادس: لماذا لم يُعلّم الله تعالى ملائكته هذا العلم كي ينالوا نفس فضيلة آدم عليه السلام؟

الجواب: لعل تعليم آدم عليه السلام كان بالإلهام وخلق العلم فيه، مما هو قابل له، دون الملائكة فإنهم لم يكونوا قابلين لهذا العلم والإلهام.[1] أو قل التركيبة التي

---

(1) راجع تفسير تقريب القرآن للآية.

خلق منها الإنسان لها القابلية أن تتلقى العلوم من قبل الله عز وجل بخلاف تركيبة الملائكة.

السؤال السابع: أمر الجاهل بالإنباء بما يجهله، تكليف بما لا يطاق، وقد ثبت من ظاهر الآية الآتية ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ أنّ الملائكة تجهل معرفة الأسماء؟

الجواب: إن الأمر هنا مشروط بالعلم لا مطلقا، كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا، ويعلم انه لا يحسن الجواب، وليس غرضه الجواب، بل غرضه أن ينبه على عدم علمه، فإذا انتبه المتعلم على أنه لا يمكنه الجواب أجابه، حين إذن فيكون جواب بهذا الترتيب أوقع في قلبه و اثبت، فالأمر بقوله: أنبئوني: للتنبيه لا للتكليف.

بتعبير آخر: قال ذلك تكبيتا لهم وإظهارا لعجزهم عن أمر الخلافة والنيابة الإلهية، فالأمر هنا ليس على الحقيقة، بل لإظهار عجزهم وقصورهم عن أمر الخلافة.

السؤال الثامن: كيف تم عرض (الأسماء) المذكورة في الآية على الملائكة؟

الجواب: عرض أشباحهم وهم أنوار الأظلة. أو صور في قلوبهم هذه الأشياء فصارت كأنهم شاهدوها. أو عرضها على الملائكة بأن خلق معاني الأسماء التي علمها آدم حتى شاهدتها الملائكة. وقيل: عرض عليهم من كل جنس واحد[1].

السؤال التاسع: كيف صح رجوع ضمير جمع المذكر (ثم عرضهم) على الأسماء فينبغي أن يعبر بلفظ (عرضها) أو (عرضهن) أي الأسماء؛ ليحصل التطابق؟

الجواب: لأنه لم يريد الأسماء، بل أراد أصحاب الأسماء والمسميات العقلاء

---

(1) راجع: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج١ ص ١٥٣

على وجه الغلبة؛ لأن رجوع ضمير (هم) في قوله (عرضهم) وكذلك (هـؤلاء) إشارة إلى بيان أن المراد الأصلي إنّما هـو ذو العقـول لاسـيما الكـاملين مـنهم، أو لأجل أن جميع موجودات هذا العالم من جماده ونباته وحيوانه لهم عقل وشعور في عالم الغيب، وأن خفي ذلك علينا، ويشير إليه قوله تعـالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(١).

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: تفضيل العلم وأهله

في هذه الآية المباركة دلالة على شرف العلم وأهله، من حيث أن الله سبحانه لما أراد تشريف آدم عليه السلام اختصه بعلم أبانه به من غيرة، وفضله به من على سواه.

الدرس الثاني: لفظ آدم مشتق من أديم الأرض

اشتقاق اسم لفظة آدم عليه السلام إمّا مأخوذة من أديم الأرض، فلـذا سـميت بـه. أو مأخوذة من الأدمة وهي السمرة والدكنة(٢).

الدرس الثالث: العلم طريق للكمال

الله سبحانه منح آدم هذه العلم ليستطيع أن يستثمر المواهب المادية والمعنوية في الكون على طريق تكامله.

الدرس الرابع: عظم مكانة آدم عند الله

ظاهر الآية المباركة أن التعليم كـان مباشـرة مـن الله تعـالى بـلا واسـطة ملـك،

---

(١) الإسراء: ٤٤

(٢) راجع: تفسير مجمع البيان للآية، الشيخ الطبرسي.

وهذا ينبئ عن السر العظيم والحكمة التامة في هذا الإنسان.

الدرس الخامس: رفعة مقام المسميات

ذكر الضمير (هؤلاء) في الآية بعنوان الإشارة إلى الحاضرين، يمكن أن يكون لبيان رفعة مقام المسميات بخصوص هذه الأسماء، دون غيرها، فكأنهم حاضرون في جميع العوالم.

الدرس السادس: إحاطة آدم بالمعرفة تعد معجزة

إنّ تعليمه سبحانه الأسماء كلها بما فيها من المعاني، وفتق لسانه بذلك، معجزة أقامها الله تعالى للملائكة، دالة على نبوة آدم وجلالة قدره وتفضيله عليهم، فالجمع المحلى بالألف وللام في لفظة (الأسماء)، ولفظة (كلها) من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ يفيد التعميم: أي كل الحقائق؛ لأن الإحاطة العلمية خصوصا بمثل هذا الإحاطة العلمية الغيبية كمال للنفس، بل يعد من معجزات آدم عليه السلام.

تفسير: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٢]

المعنى العام

اللغة: (**الحكيم**): القاضي، وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، ويحسن دقائق الصناعات ويتقنها[١].

المعنى: أخبر سبحانه عن الملائكة أنهم لما علموا قصورهم عن معرفة الأسماء وحقائق ما هي خارجة عن مقامهم ونشأتهم، اعترفوا بالعجز وأقروا بالقصور.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المقصود من معنى لفظ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ هنا في الآية المباركة: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا﴾؟

الجواب: تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب سواه. أو أنهم أرادوا أن يخرجوه مخرج التعظيم لله فكأنهم قالوا تنزيها لك عن القبائح.

السؤال الثاني: لو أنهم اقتصروا على قولهم (لا علم لنا) لكان كافيا في الجواب، فما هي الثمرة في زيادة قولهم ﴿إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ كما هو في قوله تعالى: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص٥٥٥.

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾؟

الجواب: نعم يكون كافيا، لكن أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك: التعظيم له والاعتراف بإنعامه عليهم، وبالتعليم، وأنّ جميع ما يعلمونه إنّما يعلمونه من جهته تعالى.

السؤال الثالث: ما هو المراد من معنى (الحكيم) هنا في قوله: ﴿أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾؟

الجواب الأوّل: بمعنى العالم؛ لأن العالم بالشيء يسمى حكيم، فعلى هذا يكون من صفات الذات.

الجواب الثاني: إن معناه المحكم لأفعاله، وعلى هذا يكون من صفات الأفعال ومعناه أن أفعاله كلها حكمة وصواب.

السؤال الرابع: ما هو الفرق بين معنى لفظ (العليم) وبين معنى لفظ (الحكيم)؟

الجواب: العليم: الذي لا تخفى عليه خافية. والحكيم: هو الذي يفعل كل شيء لحكمة، وغاية لا مجرد أرادة جزافية لا غاية لها، ولا مراعاة فيها للحكمة والإتقان.

بعبارة مختصرة: العليم: هو العارف. الحكيم: المتقن في أفعاله المصيب في أقواله.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: بيان مكانة آدم للملائكة

سألهم سبحانه عما علم، مع أنهم لا يعلمون، ليقرهم على أنهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ويرفع به درجة آدم عليه السلام عندهم بأن علمه ما لم يعلموه.

الدرس الثاني: العلم توفيق الهي

في الآية دلالة على أن العلم وسائر الكمالات فائضة من الله، و هو المعطي لها، سواء كان على طريقة الإبداع: كما في أكثر علوم الملائكة، أو على طريقة التكوين بحسب القوابل والأوقات، كما في أكثر علوم الناس.

الدرس الثالث: العليم من خواص المولى تعالى

العليم: صيغة مبالغة في العلم والمبالغة التامة، لا تتحقق إلا باستجماع أمور: **احدها:** كونه فعلياً سبيباً لوجود الشيء المعلوم، لا انفعالياً مسبباً. **ثانيها:** كونه قطعياً حقا لا ظنياً أو وهمياً. **ثالثها:** كونه محيطاً بجميع المعلومات الكلية و الجزئية. **رابعها:** كونه أزلياً دائما غير واقع تحت الحركة والزمان، مصون عن التغير و التجدد، وما ذاك إلا هوا الله.

الدرس الرابع: تنزيه المولى تعالى من النقص

لفظة سبحانك مصدر، كالغفران، ويندر انقطاعه عن الإضافة، وتصدير الكلام به لتنزيه الحق سبحانه عن منقصة ينبئ الكلام عنها بالنسبة إلى غيره. كما أنّ كلمة (سبحانك) تُقال في مقام التوبة كما في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾[2].

الدرس الخامس: علم الإنسان قطرة من بحر الجهل

قوله تعالى: ﴿**لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ إشعار أن لا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا، وإنّما علمنا ما علمتنا. سئل أبو يوسف القاضي عن مسالة

---

(1) الأنبياء: ٨٧
(2) الأعراف: ١٣٤

فقال: لا ادري فقالوا: له أترتزق من بيت المال كل يوم كذا وكذا، ثم تقول لا أدري فقال: إنّما أرتزق بقدر علمي، ولوا أُعطيت بقدر جهلي لم يسعني مال الدنيا.

الدرس السادس: الإنسان مخلوق ناقص

في الآية المباركة جملة من الآداب بين السائل والمجيب، ففيها إيماء إلى الإنسان يجب أن لا يغفل عن كونه مخلوقاً ناقصاً، مهما بلغ من الكمال، وأن لا يأنف من الاعتراف بالجهل إذا كان لا يعلم، وأن لا يكتم العلم إذا كان يعلم، ويجب عليه أن يحفظ مقام معلمه في تواضع وأدب.

تفسير: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [٣٣]

المعنى العام

اللغة: (**الإنباء**): الإخبار والإعلام، وقيل: أخص من الخبر[١]. (**الإبداء**): الإظهار والإعلان[٢]. (**الكتمان**): الإبطان والإسراء، وهو نقيض الإعلان[٣].

المعنى: أمر اللّه سبحانه آدم عليه السلام أن يخبر الملائكة بالحقائق المكنونة عنهم، ليعرفوا جامعيته لها، فلما أخبرهم اعترفوا بقصورهم وأحقية آدم عليه السلام للخلافة، ثمّ ذكرهم سبحانه بقوله سابقاً ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من الحكمة والمصلحة وعدم العبث في كلّ أفعاله، وعالم بالظاهر والباطن.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هي الفائدة من إخبار آدم عليه السلام الملائكة بذلك، كما هو في الآية: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ دون إعلامه سبحانه هو إياهم (الملائكة) بذلك؟

---

(١) شرح بن عقيل، الهمداني، ج١ ص٤٥٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٤ ص٦٧.
(٣) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٥٠٥.

الجـواب: أراد اللَّـه بـذلك تكرمـة آدم عليه السلام، وتشـريفه وإجـلال المنـة عليـه، وتعظيم النعمة لديه، بالإضافة إلى ذلك كله أراد أن يثبت المزايا والاستعدادات التي يتمتع بها آدم عليه السلام ويخرجها إلى صفحة الوجود والفعلية بالشكل العملي.

السؤال الثاني: **أي شيء في تعلّم آدم عليه السلام الأسماء يدل على الغيب، كما يشير له قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾؟**

الجواب: لأنّه سبحانه علّم آدم عليه السلام الأسماء كلّها بما فيها من المعاني الّتي تدلّ على الغيب، أو إنه سبحانه أخبرهم فيما سبق عن المؤهلات التي تكمن في تركيبة هذا المخلوق (الإنسان)، وبها يتمكن أن يفوق الملائكة في عالم الكمال، فبعد ما ظهرت بعض هذه المزايا للملائكة من قبل آدم عليه السلام ذكرهم الله بهذه الآية بما قاله سابقا: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

السؤال الثالث: **من أين علمت الملائكة صحّة قول آدم عليه السلام، ومطابقة الأسماء المسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل ولم يسعها أن تعلم؟**

الجواب الأوّل: إنّه غير ممتنع أن يكون اللَّه تعالى جعل لهم العلم الضروري بصحة الأسماء، ومطابقتها المسميات. إما عن طريق ما، أو ابتداءً بلا طريق، فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه.[1]

الجواب الثاني: لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة، وكلّ قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره، إلا انّه يكون إحاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة، فلمّا أراد اللَّه تعالى التنبيه على نبوّة آدم عليه السلام علّمه جميع تلك، فلمّا اخبرهم بها علم كلّ فريق مطابقة ما اخبر به

---

(1) راجع: تفسير مجمع البيان للآية، الطبرسي.

من الأسماء للغته، وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغاة بخبر كلّ قبيل، فيكون معنى أنبئوني بأسماء هؤلاء: ليخبرني كلّ قبيل منكم بجميع الأسماء.

السؤال الرابع: يفهم من الآية المباركة من خلال تعليم آدم عليه السلام الأسماء للملائكة، أنّ علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة؟

الجواب: نعم، لكن لا يستفيدون علماً إلا من الأمر الأعلى دون الأسباب الاتفاقية، كالمعلم الخارجي والقوى والآلات الفكرية والخيالية[1].

السؤال الخامس: ألا يلزم من ذكره تعالى هنا في الآية: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ التكرار، حيث تقدم هذا المعنى في الآية السابقة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: ذكره هنا تفصيل لما أجمله سابقاً، من أنّه يعلم ما لا تعلمه الملائكة، وهنا وضّح وفصّل ماذا يعلم: وهو غيب السماوات والأرض ونحوهما.

بعبارة أُخرى: إن قوله سابقاً أعم من قوله هنا، فذكره هنا يكون بعض مما ذكره هناك.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون هذا القول مذكور هناك مع قوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ لكنّه تعالى أسقطه حين الحكاية[2].

السؤال السادس: ما هو المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ واللّه لا يغيب عنه شيء؟

الجواب: إنّه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه، كما يعلم ما حضرهم

---

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

(2) راجع: تفسير بيان السعادة للآية.

فشاهدوه، فالمراد بالغيب هنا ما غاب عن المخلوق ليس الخالق، فالخالق لا يغيب عنه شيء.

السؤال السابع: ماذا كانت تكتم الملائكة على اللّه تعالى في نفسها، كما أشار له قوله في الآية هنا: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: هو ما كان يعتقده ويضمره إبليس من الإباء والتكبر على آدم عليه السلام، إن أمره اللّه بالسجود لآدم، فيكون الكلام من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء، أي الكلام مع الملائكة والمقصود إبليس.

الجواب الثاني: اعتقاد الملائكة في أنفسهم أنّه لا أحد يأتي بعدهم إلا وهم أفضل منه، من جهة عبادتهم وتقديسهم لله.

السؤال الثامن: ما هي الثمرة في دخول (الهمزة) هنا في الآية: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾؟

الجواب: للإنكار: دخلت على حرف الجحد، فأفادت الإثبات والتقرير، وهو تأكيد لقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ على وجه أبسط، يكون كالبرهان عليه، احتجاجاً به عليهم[1].

السؤال التاسع: ما الفائدة في زيادة لفظة (كنتم) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؟

الجواب: إشارة على أن الكتمان كان ثابتاً ودائماً لهم وليس هو شيء متجدد في نفوسهم، بل كان سابق على خلق آدم عليه السلام وجعله خليفة.

---

(1) راجع: تفسير صدر المتالهين للآية.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: أفضلية آدم على الملائكة

سوق الآية ينادي على أنّ الغرض إظهار ما خفي عليهم من أفضلية آدم عليه السلام، ودفع ما توهموا فيه من النقصان. لذا قال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. فالآية تدل على أفضلية آدم عليه السلام على الملائكة، وانّه بمثابة النبي للملائكة، أو المعلّم والمعلّم أفضل من المتعلّم.

الدرس الثاني: النبأ أخص من الخبر

عبر بقوله تعالى: ﴿أَنبِئْهُم﴾ ولم يقل أخبرهم؛ لأنّ النبأ أخص من الخبر كما قيل، وهو لا يطلق إلا على كلّ ماله شأن وخطر من الإخبار[1].

الدرس الثالث: الأنبياء أساتذة الملائكة

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي آدم عليه السلام، يدلّ على أنّ استكمال الملائكة بالعلم، إنما يكون بواسطة أنبياء اللّه وحججه عليهم السلام، ولا محذور فيه، بل الأدلة العقليّة والنقلية تؤيد ذلك، ولعلّ من أسرار نزول الملائكة في ليلة القدر أو مشايعتهم لبعض السور حين نزولها على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله هو الاستفادة مما ينزل على النبي أو أولي الأمر[2].

الدرس الرابع: الحذر من الرياء

في الآية تنبه على إخلاص العمل عن شوب الرياء والسمعة؛ لكونه تعالى علام

---

(1) شرح ابن عقيل، الهمداني، ج١ ص٤٥٦

(2) راجع: بحار الأنوار، المجلسي، ج٥٧ ص٢٩٣

الغيوب وكشّاف أسرار القلوب.

الدرس الخامس: الخوف والرجاء جوهر العبادة

في الآية دلالة على أنّ العبد يجب عليه أن لا يؤمن مكر اللَّه،كما يجب عليه أن لا ييأس من روح اللَّه؛ لأنّه لا اطلاع لأحد على عواقب الأمور وأسرار حكمة فعله سواه.

الدرس السادس: الحث على تطهير الباطن

في الآية تخويفاً عظيماً، فانّه تعالى لا يخفي عليه شيء من أحوال السرائر ومكونات الضمائر فيجب أن يجتهد المرء في عمارة باطنه وتصفية سرّه عن الخبائث والرذائل.

الدرس السابع: فضل العلم بين الناس

في الآية دلالة على شرف الإنسان، والعلم وفضله على العبادة، وتوقف الخلافة عليه. وانّه أفضل من الملائكة؛ لأنّه أعلم منهم، والفاضل مقدم على المفضول.

الدرس الثامن: التسليم لأوامر الله لعلمه بالمصالح

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ موقضاً على أنّه المنفرد بعلم المصالح في الدين، وأن الواجب على كلّ مكلّف انّه يسلم لأمره ويعلم أنّه لا يختار لعباده إلا ما هو الأصلح لهم في دينهم، علموا وجه ذلك أم جهلوه.

تفسير: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوْا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣٤]

المعنى العام

اللغة: (**الإبـاء**): الامتناع والترك[١]. (**الاسـتكبار**): الأنفة والاستنكاف[٢]. (**السجود**): الخضوع والتذلل[٣].

المعنى: أمر اللَّه سبحانه ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام، إظهارا لمزيته عليهم وعلى جميع مخلوقاته، فسجدوا كلّهم إلا إبليس رفض وامتنع عن السجود لآدم عليه السلام.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هي الحكمة التي جعلت اللَّه تعالى أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، كما هو في الآية: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوْا لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾؟

الجواب الأوّل: إنّه كان امتحاناً لهم وإظهاراً لفضله عليهم، فيكون على وجه التكرم لآدم عليه السلام، والتعظيم لشأنه، وتقديمه عليهم.

---

(١) مختار الصحاح، محمد عبد القادر، ص١٠.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص١٢٣.
(٣) مختار الصحاح، محمد عبد القادر، ص١٥٥.

الجواب الثاني: إنّه كان شكر اللّه تعالى لهذه النعمة العظمى، بعد أن عرفوا منزلة آدم(عليه السلام)، فينطلق عليهم التهنئة لآدم(عليه السلام) قهراً.[1]

السؤال الثاني: أجمع المسلمون على أنّ السجود بمعنى العبادة لغير اللّه كفر، والكفر لا يكون مأموراً به، فكيف صح هنا في الآية: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾؟

الجواب الأوّل: السجدة هنا ليست عبادة، حيث انّه يجوز في بعض الأوقات، أو بحسب العادات سقوط الإنسان على الأرض، وإلصاقه الجبين عليها، مفيداً لضرب من التواضع والتعظيم، وإن لم يكن ذلك عبادة، وإن كان ذلك عبادة فلم يمنع أن يأمر اللّه تعالى ملائكته بذلك إظهاراً لرفعته وإشعاراً بكرامته، من قبيل السلطان قد يأمر البعض من عبيده أن يخدم ويطيع رجلاً فقيراً أو ضعيفاً، وهم يفعلون ذلك ويخدمونه، ويرجع ما فعلوه بالحقيقة إلى خدمة السلطان وطاعته. فسجود الملائكة كان في الحقيقة سجوداً للّه وطاعة لأمره.

الجواب الثاني: إنّه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم، كما جعل الله البيت الحرام قبلة للمسلمين، فعليه يكون السجود للّه، وآدم (عليه السلام) كالقبلة، وفي ذلك ضرب من التعظيم.

الجواب الثالث: إنّ السجدة كانت له (عليه السلام) تعظيماً له وتحيّة، كالسلام، وكانت الأمم السابقة يحيون ملوكهم وأنبيائهم كتحية المسلمين بعضهم بعضاً، وهي سجود بعضهم بعضاً. كما قال قتادة في تفسير قوله تعالى: **﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾**[2].

السؤال الثالث: من هو مسجود الملائكة، ومن المقصود منه بالذات؟

---

(1) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.
(2) يوسف: ١٠٠. راجع تفسير صدر المتالهين

الجواب: آدم عليه السلام لما يحتوي الأنوار الإلهية، وذلك بعدما علّمه أسماء كلّ شيء وعرضهم على الملائكة جعل محمداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أشباحا خمسة في ظهر آدم عليه السلام، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق، فأمر اللّه تعالى الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له، إنّه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح[1].

السؤال الرابع: هل أن إبليس من جنس الملائكة أو لا؟

الجواب الأوّل: لم يكن من الملائكة، والاستثناء هنا في الآية منقطع، **والدليل:** على انّه ليس منهم. **أولاً:** قوله تعالى: ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[2] فنفى عن الملائكة المعصية نفياً عامّاً، ولو كان منهم لما عصي الله في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام.

ثانياً: هناك آية تصرح أن إبليس ليس من الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾[3] ومتى أُطلق لفظ الجن لم يجز أن يُعنى به إلا الجنس المعروف المباين لجنس الإنس والملائكة. **ثالثاً:** إنّ إبليس له نسل وذرية كما تدل عليه الآية في قوله تعالى: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾[4] بخلاف الملائكة لم يكن لهم نسل

---

(1) راجع: التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام

(2) التحريم: ٦

(3) الكهف: ٥٠

(4) الكهف: ٥٠

ولا يتوالدوا. **رابعاً**: قوله تعالى: ﴿**جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً**﴾[١] ولا يجوز على رسل اللّه الكفر ولا الفسق.

الجواب الثاني: قيل: كان منهم أي من الملائكة، بدلالة استثنائه من جملتهم، بقوله إلا (إبليس) والاستثناء هنا متصل[٢].

السؤال الخامس: كيف وقع الأمر على إبليس، وقد أمر اللّه الملائكة بالسجود، هذا على القول إنّ إبليس ليس من جنس الملائكة؟

الجواب الأوّل: إنّه كان معهم أي من الملائكة بالولاء والعبادة، وإن لم يكن معهم بالذات، فيكون من جملة المأمورين بالسجود، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾[٣]، فلو كان غير مشمول بالخطاب لما حاكمه الله هنا، وما استحق الكفر والطرد من رحمة الله.

الجواب الثاني: المأمورون بالسجود أعم من الملائكة والجن، فأن الجن كانوا أيضا مأمورين لكنّه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم، فانّه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به، علم أيضاً أنّ الأصاغر مأمورون به، فالضمير في قوله: ﴿**فَسَجَدُواْ**﴾ راجع إلى الاثنين. أو إن إبليس دخل مع الملائكة في الأمر تغليباً.

السؤال السادس: لِمَ حكم اللّه بكفر إبليس، كما هو في الآية: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ مع أنّ من ترك السجود الآن لا يحكم عليه بالكفر؟

---

(١) فاطر: ١

(٢) راجع: تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.

(٣) الأعراف: ١٢

الجواب: لأنّه جمع إلى ترك السجود خصالاً من الكفر. منها: انّه اعتقد أنّ اللّه تعالى أمره بالقبيح ولم ير أمره بالسجود لحكمة. ومنها: انّه استخفّ بنبي اللّه وهذا لا يصدر إلا من معتقد الكفر.

السؤال السابع: هل الأمر بالسجود الذي هو في الآية: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ يشمل جميع الملائكة أو طائفة خاصة منها؟

الجواب الأوّل: يشمل كل الملائكة، بدليلين. **أولاً:** صيغة الجمع المحلّى بلام التعريف التي تفيد العموم في قوله ﴿لِلْمَلاَئِكَةِ﴾، سيما وقد قورنت بأبلغ تأكيد في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.[1] **ثانياً:** وجود الاستثناء من الجمع دال على أن ما عدا المستثنى كان داخلاً في الحكم. وقوله إلا إبليس. دل على أنّ الملائكة كلّهم سجدوا لآدم عليه السلام فدلّ على أنهم كلّهم كانوا مأمورين بالسجود.

الجواب الثاني: المأمورين بالسجدة هم ملائكة الأرض دون غيرهم. واستعظموا؛ لأن يكون أكابر الملائكة مأمورين بالسجدة لآدم عليه السلام؛ لأنّ الملائكة السماوية هي الجواهر الروحانية المحركة للأجرام العالية عندهم، يستحيل على أصولهم أن تكون منقادة للنفوس الناطقة الأرضية، فالمراد من الملائكة المأمورين بسجدة آدم عليه السلام هي القوى البشرية المطبعة للنفس الناطقة الخادمة إياها[2].

السؤال الثامن: قيل إنّ رفض إبليس السجود لآدم انطلاقاً من رغبته في توحيد العبادة للّه، فلا يريد أن يشرك أحدا في السجود له حتّى إذا كان ذلك بأمر من اللّه فهو مستعد لتقبّل عذاب اللّه في سبيل الإخلاص والمحبّة للّه وإيمانه به؟

الجواب: إنّ فكرة امتناع إبليس ليست من أفكار الحس حتّى تخضع للتجربة،

(١) الحجر:٣٠

(٢) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

بل هي من الغيب الذي عرفنا اللّه إياه فيما عرفه لأنبيائه من أمور الغيب فلا بدّ لنا أن نأخذها من النصوص الدينيّة والكتب السماوية، وقد رأينا في هذه الآية أنّ امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام كان بفعل الكبرياء لا بفعل التوحيد والمحبّة للّه، حيث عبّر عنه تعالى: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾. وفي آيات أُخرى يصفه القرآن هو الحاقد الّذي يدفعه حقده إلى أن يمارس كلّ ما يستطيع من الأعمال الشريرة في سبيل تحطيم هذا الكائن في ذاته، وفي آية أُخرى يدعي هو أفضل من آدم عليه السلام كما قال عنه تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[١]، فكلاً هو بعيد من روح التوحيد والإخلاص.

السؤال التاسع: ألا يلزم من هذه الآية الأمر بالشرك بالله، من حيث أن السجود خاص بالله عز وجل ولا يصح لغيره كيف ما كان؟

الجواب: إن قضية السجود لا تمثل شكلاً من أشكال عبادة آدم عليه السلام ليتعارض مع الإيمان باللّه وتوحيد عبادته، وكيف يأمر اللّه عباده بالإشراك به وهو الّذي يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[٢] ولكنّها تحيّة وتكرمة لآدم عليه السلام من جهة، كما حدث من يعقوب وأهله عند مقابلته لولده يوسف قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً﴾[٣] ومن جهة أُخرى طاعة للّه في امتثال أوامره، وفي تعظيم خلقه كمظهر من مظاهر عظمته وقد تقدم المزيد.

السؤال العاشر: هل كان أمر السجود لآدم عليه السلام قبل علم الملائكة بما يمتلكه آدم عليه السلام من قابلية وعلمه بالأسماء، أو كان بعده؟

---

(١) الأعراف-١٢
(٢) النساء-٤٥
(٣) يوسف-١٠٠

الجواب الأوّل: بعد أن جعل اللَّه تعالى آدم عليه السلام خليفة له، وبين فضله بما علمه، وجعله معلّماً لملائكته، كما هو ظاهر من سياق الآيات المتقدمة، أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، فتكون مسألة السجود لآدم بعد تجربة الملائكة المذكورة في الآيات السابقة.

الجواب الثاني: إنّ موضوع السجود جاء بعد اكتمال خلقة الإنسان مباشرة، وقبل امتحان الملائكة، وهذا ما يفهم من بعض آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[1]، فالسجود إذن جاء مباشرة بعد نفخ الروح في الإنسان، مع أنّ استجابة الملائكة لأمر اللَّه بالسجود لو كان بعد اتضاح مكانة آدم لما اعتبرت مفخرة للملائكة[2].

السؤال الحادي عشر: ما هو المقصود من قوله تعالى هنا في الآية: ﴿وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾؟

الجواب الأوّل: المراد صار من الكافرين، كقوله تعالى: ﴿**فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾[3] أي صار من المغرقين، أو في علم اللَّه أنه من الكافرين.

الجواب الثاني: إنه كان كافر بالأصل متظاهر بصورة الأعمال الحسنة مترائياً بالطاعات الظاهرة في مجامع أهل الملكوت، حتّى أظهر اللَّه ما كمن في باطنه على رؤوس الأشهاد من التمرد والإباء والعصيان والإنكار لأهل اللَّه، حيث انّه كان قبل ذلك من حصيلة الجن فأهلكهم اللَّه إلا إبليس رفعه إلى السماء مع الملائكة. يؤيده: إنّ الآية جاءت بصيغة الفعل الماضي ﴿**وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**﴾

---

(1) الحجر-٢٩

(2) راجع: تفسير الأمثل للآية، الشيخ مكارم الشيرازي.

(3) هود: ٤٣

إشارة إلى تقدم الكفر طبعاً: أي هو كان قبل الآباء والاستكبار الفعلي من الكافرين. وكذلك يدل عليه قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

بعبارة أُخرى: إنّ فطرته كانت فطرة الكفر والإباء وترك الطاعة، لا أنّ الكفر طرأ عليه بعد أن كان مؤمناً، إذ قوة الإباء عن الانقياد كانت ذاتية له.

لسؤال الثاني عشر: لِمَ عبرت الآية بلفظ (قلنا) هنا في الآية: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ﴾ ولم يقل (قلت)؟

الجواب: لأن الجبار العظيم يخبر عن نفسه بفعل الجماعة، تفخيماً وإشادة بذكره.

السؤال الثالث عشر: ما هو الفرق بين لفظ اسم إبليس وبين لفظ اسم الشيطان؟

الجواب: إبليس اسم علم للشيطان الذي وسوس لآدم عليه السلام، أمّا الشيطان اسم جنس شامل للشيطان الأوّل ولجميع الشياطين[1].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: قبح التكبر وآثاره

الآية المباركة تدلّ على استقباح الاستكبار، وانّه قد يقضي بصاحبه إلى الكفر، مع كونه علامة لظلمة كامنة في النفس باعثة على الفرقة والأنانية.

الدرس الثاني: الأعمال بالنيات

إنّ اعتبار أي عمل من أعمال الإنسان عبادي لأي شخص يخضع للنية الدافعة

([1]) راجع: تفسير الأمثل للآية، الشيخ مكارم الشيرازي.

له نحو العمل، فإذا كان السجود خضوعاً للإنسان أو للصنم كان عبادة لهما، أمّا إذا كان خضوعاً للّه كما إذا كان بأمر من اللّه، فهو عبادة للّه وإن كان موجهاً لإنسان أو لشيء آخر، وبهذا لا يعتبر تقبيل الحجر الأسود عبادة له؛ لأنّ ذلك لا يتّصل بالعظمة الذاتية له، بل للأمر الإلهي الّذي اعتبره رمزاً من رموز القداسة وشعيرة من شعائر العبادة.

الدرس الثالث: التكبر طريق للكفر

الكبر والغرور والتعصب بعث إبليس أن يمتنع من السجود، واعتقد انّه أفضل من آدم‌عليه‌السلام ولا ينبغي أن يصدر له أمر السجود، بل ينبغي أن يؤمر آدم بالسجود له، فقد اعتقد بعدم صواب الأمر الإلهي، وبذلك لم يعصي اللّه فحسب بل انحرف عقائدياً، وهكذا ذهبت أدراج الرياح كلّ عباداته وطاعاته نتيجة تكبره وغروره، وهكذا تكون دوماً نتيجة الكبر والغرور.

الدرس الرابع: معنى إبليس الحزن العارض

مادة (إبليس) سواء كانت عربية أو معربة تدل على الحزن العارض من شدّة اليأس، ويلازمه اليأس من الروح والراحة قوله تعالى: ﴿**أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾[1].

الدرس الخامس: تسخير الملائكة لآدم

سجود الملائكة لآدم‌عليه‌السلام يمكن أن يكون كاشفاً عن تسخير اللّه تعالى أشرف مخلوقاته لآدم‌عليه‌السلام، وهم الملائكة الذين جعلهم اللّه حفظة للإنسان، ووكلهم في شؤون الأرض فيكون تسخير غيرهم لآدم‌عليه‌السلام بالأوّلى.

---

(١) الأنعام: ٤٤

الدرس السادس: في خلق الشيطان مصالح

في خلق الشطان مصالح ليس في وسع البشر دركها، كما في سائر خلقه تعالى ولعلّه منها: إنه أحد طرفي الاختيار في الإنسان، فانّ اللّه يدعو إلى الجنّة والمغفرة، والشيطان يدعو إلى النار، والإنسان بينهما فان شاء لبى دعوة اللّه وإن شاء لبى دعوة الشيطان.

الدرس السابع: الإنسان مسجود الملائكة

الإنسان بحسب الخلقة الأوّلية وبحسب الفطرة الإلهية مسجود للملائكة، فينبغي أن يحافظ على هذه القدسية ولا يكون ساجداً للشياطين والملائكة سُجّد له.

الدرس الثامن: الكفر أقدم من الشرك

يفهم من الآية الكريمة أن الكفر أقدم من الشرك، وذلك إنّ إبليس أول من كفر، وكان كفره غير شرك؛ لأنّه لم يدع إلى عبادة غير اللّه، وإنما دعا إلى ذلك فيما بعد.

تفسير: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٣٥]

المعنى العام

اللغة: (**الرغد**): السعة في العيش، والكثير الواسع[١]. (**الجنة**): هي البستان من النخل والشجر وغيرهما[٢].

المعنى: إنّ اللَّه أباح لآدم عليه السلام وحواء أن يسكنا الجنّة، ويستمتعا بكلّ ما فيها من الذائذ من دون حرج ولا تحديد، فلهما أن يأكلا من كلّ أشجار الجنة حيث يشاءان، ولكنّه منعهم من شجرة واحدة، كشرط لبقائهم في الجنّة.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: جنة آدم عليه السلام التي ذكرت هنا في الآية: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، هل هي من جنة الخلد أو هي من جنان الدنيا؟

الجواب الأوّل: يفهم من الآيات الشريفة، وبعض الروايات أنها جنة من جنان الدنيا، وذلك بوجوه. **أولاً**: قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾[٣] الظاهر منه أنّ الجميع كانوا في محل ما (غير جنة الخلد حيث لا يمكن الخروج منها)، ثُمّ

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص١٨٠.
(٢) الصحاح، الجوهري، ج٥ ص٢٠٩.
(٣) البقرة: ٣٨

اخرجوا منه. **ثانياً**: قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[1] يدل على أنّ الجميع قد انزلوا إلى الأرض بعد أن لم يكونوا فيها. **ثالثاً**: سئل الإمام الصادق عليه السلام عن جنّة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة فقال عليه السلام: **كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبدا.**[2] ولكن كونها من جنان الدنيا لا يلزم منه أن تكون في الأرض فانّ سماء الدنيا واسعة ويمكن أن تكون في بعض كواكبها جنة لها حياة وحالات برزخية تطلع فيها الشمس والقمر. بالإضافة إلى كل ذلك أنه لو كانت جنة الخلد كيف صح لإبليس أن يدخلها ويوسوس لآدم عليه السلام وهو مطرود منها.

الجواب الثاني: إنّها جنة من جنان الخلد؛ لأنّ الألف واللام في لفظ (الجنة) للتعريف وصار كالعلم عليها، وليس للعموم؛ لأنّ سكنى جميع الجنان محال، فلابد من صرفها إلى المعهودة وهي دار الثواب. ويجوز ان تتكون وسوسة إبليس من خارج الجنّة فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه.

الجواب الثالث: إنّها جنة في الأرض والهبوط في قوله تعالى: ﴿**اهْبِطُواْ مِنْهَا**﴾ معنوي، ويؤيد ذلك: قوله تعالى في بداية القصد من خلق آدم عليه السلام: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾.

السؤال الثاني: ما هو المقصود من ذات الشجرة التي نهى اللّه تعالى آدم عليه السلام وحواء أن يقربا منها، بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾؟

الجواب: هي شجرة علم محمّد صلى الله عليه وآله وآل محمّد، اللّذين آثرهم اللّه عزّ

([1]) البقرة: ٣٦

([2]) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣ ص٢٤٧.

وجل بها دون سائر خلقه. وهي شجرة من بين أشجار الجنّة. إنّ سائر أشجار الجنّة كلّ نوع منها يحمل نوعاً من الثمار والمأكول، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل سائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة[1].

السؤال الثالث: صيغة النهي هنا في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا﴾ هل هي دالة على التحريم أو لا؟

الجواب الأوّل: النهي هنا نهياً تنزيهياً إرشاديا، يرشد به إلى ما فيه خير المكلف وصلاحه في مقام النصح لا مولوياً. ولولا أنّ التكليف إرشادي ليس له إلا التبعية التكوينيّة دون التشريعيّة، لستلزم عند قبول التوبة رجوعهما إلى ما كانا فيه من مقام القرب.

مضافاً إلى ذلك: أن دلّ الدليل على أن النهي لا يكون نهياً إلا بكراهته للمنهي عنه، واللّه تعالى لا يكره إلا القبيح، والأنبياء لا يجوز عليهم القبائح صغيرها ولا كبيرها. فتحصل: إن الاقتراب من الشجرة ليس قبيح عند الله وإنما يلزم منه الخروج من الجنة، لذلك أرشده الله من تجنب هذه الشجرة كي لا يخرج من الجنة.

الجواب الثاني: دالة على التحريم: و ذلك بوجوه: **الأوّل:** قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾** كقوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾**[2]وقوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[3]، فكما أنّ هذين للتحريم، فكذا الأوّل. **الثاني:** قوله تعالى: **﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** أي إن أكلتما منها ظلمتما

---

[1] راجع التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام
[2] البقرة:٢٢٢
[3] الأنعام: ١٥٢

أنفسكما.

الثالث: إن هذا النهي لو كان نهي تنزيهيا، لما استحق آدم ﷺ بفعله الإخراج من الجنة، ولما وجبت التوبة عليه.

السؤال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ يفهم منه أنّ القول صادر من جماعة، لا من واحد وهو الله عز وجل؟

الجواب: النون هنا نون الكبرياء والعظمة والتفخيم، لا نون الجمع. مع الإشارة إلى الجمعية الإلهية المحتوية بحسب الأسماء والصفات على جميع العقول والذوات، ومن هذا التعبير بالقرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1].

السؤال الخامس: يمكن أن يقال إنّ قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ نهي عن الاقتراب من الشجرة؟ لا نهي عن الأكل منها؟

الجواب الأوّل: المراد بالاقتراب هنا تناول الأكل، كأنه قال لا تقربا بالأكل؛ لأنّه لا خلاف أن المخالفة وقعت بالأكل لا بالدنو منها، ولذلك قال في الآية: ﴿**وَكُلاَ مِنْهَا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا**﴾[2].

الجواب الثاني: النهي هنا عن الاقتراب حقيقة، لكنه من باب المقدمة، فأن القرب من الشيء يغري به، فيكون مقدمة لفعله، والنهي عن المقدمة نهي عن ذيها أكيداً، كما قال أمير المؤمنين ﷺ: **المعاصي حمى الله فمن يرتع حولها**

---

(1) الحجرات: ٩

(2) الأعراف: ٢٢

يوشك أن يدخلها[١] ولا يلزم أن يكون الاقتراب فقط من ذات الشجرة، بل يمكن أن يكون الاقتراب ممنوع حتى من ثمره،ا كما لو فرضنا الشيطان مثلاً أتى له من ثمرها.

السؤال السادس: **ما هي الحكمة من دخول آدم عليه السلام إلى الجنة ثم الخروج منها؟**

الجواب: ربما كانت الحكمة مرحلة تحضيرية، من أجل تأهيل آدم عليه السلام لتحمل مسئوليات المستقبل، ولتفهيمه أهمية حمل هذه المسئوليات والتكاليف الإلهية في تحقيق السعادة[٢].

السؤال السابع: **متى تم خلق حواء؟ وكيف كان خلقها؟**

الجواب الأوّل: إن الله بعد ما خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة فسجدوا له، ألقى عليه السبات ثم خلق له حواء. فيكون زمان الخلق قبل دخوله إلى الجنة، وبنفس الكيفية التي خلق بها آدم عليه السلام، وهذا ما يستفاد من بعض الأخبار.منها: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث طويل... إلى أن قال: «**إن الله تبارك و تعالى لما خلق آدم من طين وأمر الملائكة فسجدوا له ألقى عليه السبات ثم ابتدع له حواء**»[٣].

الجواب الثاني: إنّ خلقتها كان في مقام الجنة، بعدما أسكن الله آدم عليه السلام الجنّة بقي فيها وحده، ما كان معه من يستأنس به، فخلق الله حواء ليسكن إليها، وكيفية خلقها أن اخذ اللّه تعالى ضلعاً من أضلاع آدم عليه السلام من شقّه الأيسر وخلق منه حواء. فلذا قالوا سميت حواء: لأنها خلقت من حي. وهذا كذلك

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٧ ص١٦١
(٢) راجع تفسير الكاشف للآية، محمد جواد مغنية.
(٣) كتاب من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٣ ص٣٧٩

استفيد من بعض الروايات. منها: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) **خلق حواء من ضلع آدم الأيسر**[١] ومن ظاهر قوله تعالى: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[٢].

السؤال الثامن: ما هو المقصود من معنى (الظلم) المشار إليه في الآية الكريمة: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؟

الجواب: هو الظلم على النفس؛ لأنّ ارتكاب ما لا يرتضيه المعبود ولو على نحو التنزيه بالنسبة إلى بعض، لا يناسب العبودية المحضة. إضافة إلى الآثار الّتي لحقته بعد الأكل، حيث خرج من مقام الجنان والراحة إلى محلّ المشقّة والتعب.

السؤال التاسع: قد فُصّل خلق آدم × في الكتاب بما لا مزيد عليه، ولكن لم يرد في الكتاب العزيز ما يستفاد من كيفية خلق زوجته حواء؟

الجواب: لعلّ السر في ذلك: إنّ من آداب القرآن الستر في النساء. مع انّه يكفي بيان خلق آدم عن ذلك[٣].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الفوضى تؤدي إلى الندم والخسران

ربّما كانت الحكمة (من دخول الجنة والخروج منها) أن يمر آدم(عليه السلام) بتجربة ينتفع بها ويستفيد منها هو وأبناؤه من بعده، وأن يعود إلى هذه الأرض بهذه التجربة المفيدة النافعة، وهي أنّ الإنسان لا يستطيع أبدا أن يعيش في فوضى، وان

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٦ ص٢٨٩

(٢) النساء: ١

(٣) راجع تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.

من استخف بالقيم وضعف أمام شهوته أصابه ما أصاب آدم عليه السلام من العناء والندم، ويبتلى بالمشقّة والمصاعب.

الدرس الثاني: نبذة عن شخصية آدم عليه السلام

بعد ما فرغ اللَّه تبارك وتعالى عن بيان بعض الجهات النوعية لخلق الإنسان، شرع في بيان بعض الجهات الشخصية لآدم عليه السلام.

الدرس الثالث: السكن دلالة على الخروج لا الإقامة

قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ تنبيه على الخروج؛ لأنّ السكنى لا تكون ملكاً، ولهذا السكنى تكون إلى مدّة وتنقطع، ودخولهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة.

الدرس الرابع: الحذر من ارتكاب المحرمات

إنّ في الطبيعة أشياء تضر الإنسان، وقد نهى اللَّه عنها وعلى الإنسان أن يبتعد عنها، حتى يتمكن من الاستمرار في تسخير الحياة، ولكن إبليس يثير النفس الأمارة بالسوء، ولا يدع الإنسان حتى يدفعه إلى تلك الأشياء المنهي عنها الضارة.

الدرس الخامس: في الخروج من الجنة حكم ومصالح

لولا المخالفة من آدم عليه السلام لما حضي بمقام الاصطفاء، ولما ظهرت آثار حكمته البالغة في خلق الإنسان، وغير ذلك من الحكم والمصالح.

الدرس السادس: للظلم مراتب مختلفة

الظلم هو عدم النور، وللظلمة مراتب كثيرة، فهي تتحقق بإتيان الكبيرة والصغيرة، أو ترك الأوّلى، وربما تتحقق بالغفلة عن اللَّه تعالى.

الدرس السابع: تبعية حواء لآدم

قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ إنما لم يخاطبها أولاً، تنبيهاً على انّه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له.(١)

الدرس الثامن: من الحكمة في خلق حواء تكاثر النسل

إنّ اللّه خلق حواء لأمر تقتضيه الحكمة، ليدفع آدم عليه السلام وحشته بها، لكونها من جنسه، ولتبقي الذرية على مرّ الأزمان مستمرة.

الدرس التاسع: القرب من المحرم يوجب الوقوع فيه

إنّما علق النهي بالقرب الّذي هو من مقدمات التناول، مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه. وتنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلان يأخذ بمجامع القلب، ويلهيه مما هو مقتضى العقل والشرع.

---

(١) راجع: تفسير مقتنيات الدرر للآية، السيد علي الحائري الطهراني.

تفسير: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ﴾ [٣٦]

المعنى العام

اللغة: (**الزلة**): الهفوة، والعثرة، والخطيئة، والزوال عن الصواب[١]. (**الهبوط**): نقيض الصعود، وهو النزول والحدور[٢]. (**المتاع**): كل شيء ينتفع به ويتبلغ به ويتزود[٣]. (**الحين**): بالكسر، الدهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر[٤].

المعنى: الآية بصدد ذكر خروج آدم عليه السلام وحوّاء من الجنّة إلى الأرض، بسبب إغواء الشيطان لهما في مخالفة النهي، مع الإخبار عن العداوة الناشبة بين نوع الشيطان ونوع الآدميين، أو بين الآدميين بعضهم بعضاً.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: اتفق المسلمون على أنّ آدم عليه السلام من الأنبياء، وهم منزهون عن الزلل، إذن فما معنى قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾؟ أليس هذه خلاف العصمة والتنزيه الذي

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١١ ص٣٠٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٧ ص٤٢١.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص٣٢٩.
(٤) القاموس المحبط، الفيروز آبادي، ج٤ ص٢١٧.

ثبت للأنبياء عليهم السلام ؟

الجواب الأوّل: إنّ للمعصية مجالين. **المجال القانوني**: الّذي يتحدد بالتمرّد على التكاليف الصادرة من اللّه بصفته مشروعاً مولويّاً، بحيث يطلب من المكلّف أن يمتثلها تحت طاولة العقوبة الأخروية، والجزاء الدنيوي. **والمجال الإرشادي**: الّذي يتحدد بالتمرد على الأوامر والنواهي الصادرة من اللّه، بصفته ناصحاً ومرشداً، من دون أن يلزمه بالسير على أساسها من ناحية قانونية، كأوامر الطبيب ونواهيه. ويعبّر في المجال الأوّل: بالنهي المولوي، وفي المجال الثاني: بالنهي الإرشادي. فالعصمة لا تنافي القسم الثاني من النهي؛ لأنّ النبي عليه السلام لم يتمرّد على اللّه في فعل ما هو مبغوض له، بل كل ما هناك أساء إلى نفسه فيما وجهه اللّه إليه من نصيحة وإرشاد. فالنهي هنا كان إرشادياً: باعتبار أنّ نتيجته فقدان نعيم الجنّة. ومخالفة مثل هذا النوع من النهي لا يقدح بالعصمة؛ لأنّه ليس فيه معصية للخالق.

الجواب الثاني: إغراءات الشيطان كانت منصبة نحو أهداف وطموحات آدم عليه السلام، وهي الطاعة والعبادة والقرب من اللّه، حيث من جملة ما قال له يكون عمرك مديد ومديد جداً تصرفه كلّه في الطاعة والعبادة، ولا تريد الخلود كراهة منك للموت، واستجابة لشهوة حبّ البقاء، ولا غير ذلك، وإنما تريد صفة الخلود ليمكنك الاستمرار والبقاء في طاعة اللّه سبحانه. مع أنّ تكوينك يكون مسانخاً لتكوين الملائكة، فيكون الخير طبيعتك وسجيّتك، فلا شهوة لديك ولا غرائز عندك تعيقك عن السعي نحو ما تطمح إليه. وكلّ هذا لإغراء كان مقترن بالقسم والتأكيد، حتّى أنّ آدم عليه السلام تردد نحو أن يسعى وراء هذه الاحتمالات الّذي يوصله إلى مزيد وتمام الطاعة والعبادة والقرب، ولو فيه احتمال فقدان

الراحة والنعمة الّتي هو فيها فآثر ذاك على هذا[١]. فالمخالفة هنا ليست تمرّد على نواهي المولى عزّ وجل وإنما راجعة لتحقيق كمال وتمام الطاعة.

الجواب الثالث: الجنّة الّتي مكث فيها آدم لم تكن محلاً للتكليف، بل كانت دورة اختيارية وتمهيديّة لآدم عليه السلام كي يهبط بعدها إلى الأرض، وكان النهي ذا طابع اختياري[٢].

السؤال الثاني: **كيف وصل إبليس إلى آدم عليه السلام ووسوس إليه، وآدم عليه السلام كان في الجنّة، وإبليس قد طُرد منها حين أبى من السجود؟**

الجواب الأوّل: ربّما لم يكن ممنوعاً من دخول تلك الجنّة الدنيوية التي مرّ ذكرها، فإن هبوطه السابق إنما كان من المقام الّذي كان فيه مع الملائكة المقرّبين، وهو مكان كريم لا يحقّ لأمثال هذا الموجود الخبيث المستكبر أن يكون فيه.

الجواب الثاني: إنّ آدم عليه السلام كان يخرج إلى باب الجنّة، وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه وكان يكلّمه ويغويه.

الجواب الثالث: انّه منع الدخول إلى الجنة تكرمة، كما كان يدخل مع الملائكة، ولم يمنعه للوسوسة لآدم وحواء[٣].

السؤال الثالث: لماذا لم تقف الملائكة دون آدم عليه السلام وتمنعه من الاقتراب للشجرة؟

الجواب: إنّ اللّه أوحى إلى الملائكة، إنما تدفعون بحرابكم من لا عقل له

---

(١) راجع: كتاب براءة آدم، السيد جعفر مرتضى العاملي ص٨٠

(٢) راجع: تفسير الأمثل للآية، الشيخ مكارم الشيرازي.

(٣) راجع: تفسير الصافي للآية، الفيض الكاشاني.

يزجره، فأمّا من كان متمكّناً مميزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الّذي جعلته حجة عليه، فإن أطاع استحقّ ثوابي، وإن عصى وخالف أمري استحقّ عقابي وجزائي.

السؤال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ﴾ خطاب إلى الجمع، فَمَن هم المعنيون بذلك؟

الجواب الأوّل: انّه سبحانه خاطب آدم عليه السلام وحواء وإبليس، فيصح ذلك، وإن كان إبليس أهبط من قبلهما، لأنّهما اجتمعوا في الهبوط، وان كانت أوقاتهم متفرّقة، كما لو قال القائل: اخرج جميع من في السجن، وأن اخرجوا متفرّقين.

الجواب الثاني: الخطاب يختص بآدم وحواء، وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب، وذلك؛ لانّ الاثنين أول الجمع، كما في قوله تعالى: **﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾**[1] أراد حكم داود وسليمان.

الجواب الثالث: خطاب لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما؛ لأنّهما لما كانا أصل الإنس جعلا كأنهما الإنس كلهم.

السؤال الخامس: هل أن إخراجهما من الجنّة على وجه العقوبة أو لا؟

الجواب: لم يكن على وجه العقوبة، وإنما إخراجهم من الجنّة؛ لأنّ المصلحة تغيرت، لما تناولا من الشجرة، واقتضى التدبير والحكمة تكليفهما في الأرض، وسلبهما ما ألبسهما اللّه من النعم في الجنّة. مع أنّ الدليل قد دل على أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم ما يوجب الذم والعقاب، وذلك؛ لأنّ مقامهم بحسب الباطن محل العصمة عن الشرور، والطهارة عن الخبائث الطبيعيّة والأرجاس

---

(1) الأنبياء: ٧٨

البدنية.

السؤال السادس: قوله هنا ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ﴾ هل هو أمر تعبد أو إباحة؟

الجواب الأوّل: أمر تكليف؛ لما فيه من المشقة الشديدة؛ لانّ مفارقة ما كان فيه من الجنّة إلى موضع لا يحصل المعيشة فيه إلا بالمشقّة والكد من أشق التكاليف.

الجواب الثاني: أمر تكوين لهما ولذريتهما، وذلك؛ لأنّ الهبوط إلى الأرض ليس واقعاً تحت الاختيار، وكلّ ما ليس للعبد فيه اختيار فلا معنى للتكليف به.

السؤال السابع: كيف جاز أن يأمر اللَّه تعالى بالعداوة كما هو الظاهر هنا من قوله في الآية: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؟

الجواب الأوّل: الأمر هنا لا على الحقيقة، بل هو تحذير؛ لأنّ اللَّه لا يأمر بالعداوة لاستلزامه الأمر بالقبيح على وجه، فإنّ معاداة إبليس لآدم عليه السلام قبيحة، ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك.

الجواب الثاني: الأمر مختص بالهبوط، والعداوة تجري مجرى الحال؛ لأنّ الظاهر يقتضي انّه أمرهما بالهبوط في حالة عداوة بعضهم بعضاً، أي إنكم بتسبيبات بعضكم لبعض سوف تتحاسدون، ويبغي فريق منكم على فريق، فيكون ذلك سبب عداوتكم به، فتكون جملة (بعضكم لبعض) حالية، وقد علمت من حال ذريتكم أن بعضكم يعادي بعضاً، وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين أصلها.

السؤال الثامن: لماذا جاء التعبير هنا بلفظ (عدو) في قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ولم يقل أعداء؟

الجواب الأوّل: إنّ لفظ (بعضاً) ولفظ (كلاً) يخبر عنهما بالواحد على اللفظ وعلى المعنى. أو أن العدو اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والتأنيث وقد يجمع.

السؤال التاسع: ما هي الفائدة من ذكر قوله تعالى هنا في الآية ﴿إِلَى حِينٍ﴾؟

الجواب: لو قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ فقط لظن أنه غير منقطع، فقال ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي إلى حين انقطاعه، وهو إمّا إلى الموت أو إلى يوم القيامة.

السؤال العاشر: ما هو المعنى المراد من (الهبوط) هنا في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ﴾؟

الجواب: مَن قال أنّ جنة آدم عليه السلام كانت في السماء، أو في جنة الخلد، فسر الهبوط بالنزول من العلو إلى السفل. ومَن قال أنها كانت في الأرض فسره بالتحول من موضع إلى غيره، وقد يراد منه بالهبوط والتنزل المعنوي من حيث الدرجات.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: المعصية من فعل الإنسان

في الآية دلالة على أنّ اللّه تعالى لا يريد المعصية، ولا يصد أحد عن طاعته، ولا يخرجه عنها، ولا تنسب المعصية إليه، لذا نلاحظ هنا قد أضاف الإخراج إلى الشيطان، في قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾؛ لأنّه كان السبب فيه، كما يقال: صرفني فلان عن هذا الأمر. وكذا نسب الإزلال إلى الشيطان، لما وقع بدعائه ووسوسته، وإغوائه عنها أي عن الجنّة، وما كانا فيه من عظم الرتبة والمنزلة.

الدرس الثاني: الإنسان عدو الإنسان

قوله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ إشارة إلى ما هو من خواص هذه النشأة الّتي هي مهبط آدم عليه السلام وأولاده، ولهذا كلّ من في هذا العالم احتاج إلى قوة غضبية يذب بها عن نفسه الآفة والشر، وإلى قوة شهوية يجلب بها إلى نفسه النفع والخير والحكمة.

الدرس الثالث: الحذر من مكر الشيطان

هذه التجربة الّتي مر بها آدم عليه السلام ترفع الالتباس، حيث أنّ سبحانه وتعالى بين العداوة الشديدة بين آدم عليه السلام وإبليس، وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر، فعلى الإنسان أن يعي دوره الجديد في الأرض إلى أساليب عداوة الشيطان، الّذي أخرجه من الجنّة واهبطه إلى الأرض، ويريد من جديد أن يبعده عن الجنّة الخالدة، لاسيما في مثل هذه الأزمان الّتي يكثر فيها أعداء الإسلام، وتنوع أساليب الأغراء.

الدرس الرابع: الدنيا محل التكليف

الحكمة من إهباط آدم عليه السلام وسكناه في الأرض، هي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمنعهم، ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي، وينال البعض منهم الاصطفاء والمقام العالي.

الدرس الخامس: خروج آدم من الجنة درس للإنسان

إنّ من تصور ما جرى على آدم عليه السلام بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصي.

تفسير: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [٣٧]

المعنى العام

اللغة: (**التلقي**): هو التعرض للقاء ثم يوضع في موضع الاستقبال للشيء[١].
(**التوبة**): الرجوع من الذنب[٢].

المعنى: إنّ آدم عليه السلام لمّا انجرف مع وسوسة الشيطان ووقع بالخطأ، توجه إلى ربه متضرعاً وطلب من اللّه ما ينجوا به، فعلمه سبحانه هو وزوجه الكلمات، فتلقياها من ربّ العزّة برحابة صدر وإقبال نفس، فلمّا تاب آدم عليه السلام وزوجته وتوسلا بالأسماء تاب اللّه عليهما؛ لأنّه تعالى رحيم بعباده.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هي الكلمات الّتي تلقاها آدم × وسأل اللّه بحقّها فتاب عليه، كما في الآية: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؟

الجواب الأوّل: هي الّتي ذكرها اللّه تعالى في آية أُخرى بقوله تعالى: **﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[٣] اعترافاً

---

(١) تفسير الرازي، ج٣ ص١٩.
(٢) الصحاح، الجوهري، ج١ ص٩١.
(٣) الأعراف: ٢٣

بالخطيئة. أو هي بعض الأدعية والتسبيحات، كما هو مذكور بشكل مفصل في بعض الأخبار[١].

الجواب الثاني: أسماء أهل البيتعليهم السلام: فإنّ آدم عليه السلام رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها فقيل: له هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند اللّه تعالى، والأسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام، فتوسّل آدمعليه السلام إلى ربّه بهم في قبول توبته فتاب عليه.[٢] وقيل: إنّ الله وفقه للتوبة وعلمه هذه الأسماء وأمره أن يتوسل بها. والكلمة لا تنحصر في الأقوال والألفاظ، فيجوز أن يراد منها حقائق أشخاص، كما يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿**يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾[٤].

الجواب الثالث: الكلمات ليست شبيهة بكلمات الخلق، كما يظنّ، بل هي عبارة عن اللطائف الوجودية، الّتي هي التوحيد والنبوة ولولاية، ومراتب كلّ منهما، ومراتب العالم الّتي لا نهاية لها، فإنّ الكلمة كما تطلق على الكلمة اللفظية وعلى الكلمة النفسية، تطلق على العقائد والعلوم، وعلى اللطائف الوجودية، وعلى مراتب الوجود. وإذا ثبت ذلك أنها اللطائف الوجودية فيمكن التعبير عنها بتعبيرات مختلفة كما ورد في الأخبار.[٥]

السؤال الثاني: التوبة من فعل القبيح، ونبي الله آدم عليه السلام منزّه من فعل القبيح، فكيف

---

(١) راجع: شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج١٢ ص٤٢٦

(٢) شرح الأخبار، للقاضي النعماني، ج٣ ص٦.

(٣) آل عمران: ٤٥

(٤) الزخرف: ٢٨

(٥) راجع تفسير بيان السعادة للآية، سلطان علي شاه.

اشتمل على التوبة؟

الجواب: لا يلزم أن تكون التوبة من الذنب، بل تصح عن التوجه إلى غير اللَّه تعالى ولو كان مباحاً فإن، حسنات الأبرار سيئات المقربين، فترك الأوّلى يعتبر معصية منه، وذلك سرعان ما تدارك الموقف وعاد إلى خالقه. لذا ورد عن النبيصلى الله عليه وآله: **كان يقول استغفر الله وأتوب إلى الله**[1].

السؤال الثالث: قال تعالى في الآية: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ورجع الضمير إلى واحد وهو آدمعليه السلام، ولم يذكر حواء في التوبة فلم يقل: (فتاب عليهما) بينما حواء مشاركة له في الذنب؟

الجواب الأوّل: للاختصار وحذف للإيجاز، كما في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾**[2] ومعناه أن يرضوهما. كذلك معنى الآية فتاب عليهما. وهذا كثير في لغة العرب. قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

والمعنى: راضين.

الجواب الثاني: إنّ آدم لما خوطب في أوّل القصة بقوله **(اسكن)** خصّه بالذكر في التلقي، فلذلك أكملت القصة بذكره وحده. مع أنّ المرأة حرمة مستورة، فأراد اللَّه الستر لها، ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله تعالى: **﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾**[3]. وأيضا لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب

---

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص٤٣٨
(2) التوبة: ٦٢
(3) طه:١٢١

الأمر لم تذكر؛ لان حواء كانت تبعاً لآدم عليه السلام في الحكم.

السؤال الرابع: كيف وصف سبحانه نفسه بــ(التوبة) بقوله ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾، مع أنّ التوبة من فعل القبيح؟

الجواب: وصف اللَّه تعالى يكون إمّا بمعنى الهام التوبة إلى العبد وتوفيقه لها، أو بمعنى رجوع اللَّه وإقباله على العبد بعد مخالفته وعصيانه، حيث إنّ أصل التوبة الرجوع، فمن العبد الرجوع من الذنب، ومنه تعالى العفو والرجوع عن العقوبة.

السؤال الخامس: الآية لم تشر إلى أنّ آدم عليه السلام تاب حتّى يتوب اللَّه عليه، وإنما المذكور في الآية فقط تلقيه الكلمات ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؟

الجواب: في الآية حذف من قبل الله وذلك للإيجاز، وهو تاب آدم عليه السلام فتاب اللَّه عليه. والدليل على ذلك: الفاء هنا في قوله ﴿فَتَابَ﴾ تفيد الترتيب، أنّ هناك سؤال للتوبة، فانّ توبة الرب متوقّفة على توبة العبد. أو أنّ المراد من قوله ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي وفقه للتوبة، وهداه إليها، بأنّ لقّنه الكلمات حتّى قالها فلمّا قالها قبل توبته.

السؤال السادس: هل كان تلقين اللَّه الكلمات لآدم عليه السلام في السماء أو في الأرض؟ أو قل هل كانت التوبة قبل الهبوط إلى الأرض أو بعد الهبوط إليها؟

الجــواب الأوّل: كانت التوبة بعد الهبوط إلى الأرض، فتاب عليه وهو في الأرض، والدليل: اخبر سبحانه عن أمره لهم بالهبوط عقيب أزلال الشيطان لهما، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ*فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ**

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1]، ثمّ عقب بفاء التعقيب في قوله (**فتلقى آدم من ربّه كلمات**) فدلّ على أنّ التوبة بعد الهبوط.

الجواب الثاني: التوبة كانت قبل الهبوط إلى الأرض. والدليل عليه. **أوّلاً**: قوله تعالى: **﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ*قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ*قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾**[2]، فتبين أنّ اعترافهما بالمعصية واستغفارهما كان قبل أمرهما بالهبوط. وكذا قوله في موضع آخر: **﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى*ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى*قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾**[3] فجعل الاهباط بعد الاجتباء والتوبة، **ثانياً**: قول الإمام أمير المؤمنين في نهج البلاغة. قال: «**فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله، وليقيم الحجة على عباده**».[4]

السؤال السابع:لِمَ لم يقل (فألقى إليه كلمات)، بل قال: **﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾**؟

الجواب: يشعر به التعبير بالتلقي من الانتظار من قبل آدم عليه السلام لتلك الكلمات، مع استعداد وتهيّؤ لاستقبالها بما يليق بها ويناسبها[5].

السؤال الثامن: ما هي الفائدة في تكرار الضمير (انّه ــ هو) وذكر صيغة المبالغة

([1]) البقرة: ٣٥-٣٦

([2]) الأعراف: ٢٢-٢٤

([3]) طه: ١٢١-١٢٣

([4]) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٧ ص٥

([5]) كتاب براءة آدم، سيد جعفر العاملي، ص٩١

(التواب) هنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾؟

الجواب: للتأكيد، في أنّ العباد لابد وإن يكثروا التوبة إليه، فرغبهم بها؛ لأنّه تعالى يحب رجوع المذنبين إليه وسؤال العفو بعد الندم.

السؤال التاسع: ما هو الدليل على عظمة هذه الكلمات المذكورة في الآية: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾؟

الجواب: من الأدلة على عظمة هذه الكلمات تنوين التنكير، الّذي هو في ما يظهر لإفادة التعظيم، بالإضافة إلى كونها أُنسبت إليه من جانب العزة الإلهية والفيض الربوبي.

السؤال العاشر: ما هو المعنى المراد من (التلقي) هنا في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ﴾؟

الجواب: التلقي هنا هو القبول والتناول على سبيل الطاعة، وليس كلّ ما سمعه واحد من غيره يكون له (متلقياً)، بل حتى يكون متقبلاً له فيوصف بهذه السمة.

السؤال الحادي عشر: ما هي شروط التوبة؟

الجواب: شروط التوبة ثلاثة: **أوّلاً:** الندم على ما مضى من القبيح. **ثانياً:** العزم على أن لا يعود إلى مثله من القبيح. **ثالثاً:** أداء الحقوق والديون المادية والمعنوية، سواء كانت لله سبحانه أم لغيره من البشر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أتدرون من التائب؟ قالوا: اللهم لا، قال: إذا تاب العبد ولم يرض الخصماء فليس بتائب، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب**[1].

السؤال الثاني عشر: لماذا أتي بالوصفين (التواب ــ الرحيم) بصيغة المبالغة، كما في الآية: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؟

---

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦ - ص٣٥.

الجواب: دال على أنّ العبد لو تاب ثمّ عصى وتاب مراراً، فيتوب اللّه عليه ويرحمه مراراً. أو إنّه يقبل التوبة، وإن عظمت الذنوب فيسقط عقابها[١].

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: توسط الكلمات سبب في قبول التوبة

إنّ عظمة هذه الكلمات، ثمّ تفريع التوبة على تلقيها، يشير إلى أنّ دورها في حياة آدم عليه السلام من حيث كونها كلمات تدخل في دائرة التلفظ المستتبع للتوبة، وذلك يشير إلى أنها كانت مادة أساسية ومحورية في دعائه عليه السلام، فهي إذا ليست مجرد قراءة دعاء، بل إنها كلمات تحتاج إلى تعليم، وهي كلمات لها شرف ومقام كريم عند اللّه، تحتاج إلى استعداد وتهيؤ لاستقبالها ولتلقيها. أمّا التجاء المحتاج والمنكوب إلى اللّه سبحانه، ولاعتراف أمامه بالقصور وبالتقصير، وطلب العون والستر والمغفرة لا يحتاج إلى التعليم الإلهي، وليس هو بالأمر المغفور عنه، بل ينساق إليه، خصوصاً من هو مثل آدم عليه السلام في معرفته باللّه سبحانه بفطرته وسجيته.

الدرس الثاني: أهمية الكلمات في حياة آدم

إنّ هذه الكلمات قد تلقاها آدم عليه السلام من موقع الربوبية، الّتي توحي بالرعاية والتنشئة الحريصة على مصلحته، والمهتمة بحفظه على وفق الحكمة والتدبير الصحيح، وتحت رعاية عين العلم الثاقبة والنافذة إلى الأعماق، والمحيطة بأسرار كلّ هذا الوجود، ومن هنا نجده تعالى يقول: ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ ولم يقل (من اللّه).

---

(١) راجع تفسير صدر المتالهين للآية.

الدرس الثالث: الحث على التوبة

في الآية حثّاً على التوبة، و تنبيهاً على أن العبد لابد وأن يكون دائم الرجوع، والإنابة إليه تعالى، كما انّه دائم المغفرة والتوبة.

قالوا لو أنّ دموع أهل الأرض جمعت، لكانت دموع داود أكثر، حيث أصاب الخطيئة والمراد بالخطيئة ترك الأولى. ولو أنّ دموع داود و دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم عليه السلام أكثر[1]. فإذا كان حال من اقترف دون صغيرة وهو ترك الأولى فكيف حال من انغمس في بحر العصيان والكبائر.

الدرس الرابع: التوبة من الله والعبد معا

إنّ التوبة توبتان، توبة من اللّه تعالى وهي الرجوع إلى العبد بالرحمة، وتوبة من العبد وهي الرجوع إلى اللّه بالاستغفار والانقلاع من المعصية. فانّ العبد لا يستغني من ربّه في حال من الأحوال، فرجوعه عن المعصية إليه يحتاج إلى توقيفه تعالى وإعانته ورحمته، حتّى يتحقق منه التوبة، ثمّ تمس الحاجة إلى قبوله تعالى وعنايته ورحمته كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2].

الدرس الخامس: التوبة منة من الله

الجمع بين وصفي التواب، والرحيم: فيه إيماء إلى انّه تعالى يتفضّل على التائب. مضافاً إلى العفو والمغفرة بالإحسان إليه.

---

(1) تفسير الثعلبي، ج٨ ص١٩٧.

(2) التوبة: ١١٨. راجع: تفسير الميزان للآية.

في الآية دلالة واضحة، على أنّ اللّه تعالى هو الّذي يلهم عباده التوبة، ويقبلها وإن بابها مفتوح من حين هبوط آدم عليه السلام إلى انقراض العالم.

روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقالت: يا نبي الله، امرأة قتلت ولدها، هل لها من توبة؟ فقال صلى الله عليه وآله لها: **والذي نفس محمد بيده، لو أنها قتلت سبعين نبيا، ثم تابت وندمت، ويعرف الله من قلبها إنّها لا ترجع إلى المعصية أبدا، لقبل الله توبتها وعفا عنها، فان باب التوبة مفتوح ما بين المشرق والمغرب، وان التائب من الذنب كمن لا ذنب له**[1].

(1) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢ ص ١٣١

تفسير: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٨]

المعنى العام

أمرهم سبحانه وتعالى مرة ثانية بالهبوط والنزول إلى الأرض، مع بيان إيتاء الهدى إليهم والترغيب في متابعته والإقتداء به سبحانه.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو الوجه في تكرار أمر الهبوط هنا ثانية، وقد مرّ ذكره في الآية ما قبل الآية السالفة؟

الجواب الأوّل: إنما كرّره (الهبوط)، لاختلاف الحالين، فقد بين بالهبوط الأوّل حال عداوة بعضهم لبعض، حيث قال: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، أمّا هنا إنّما كان للابتلاء والتكليف. كما يقال اذهب سالماً معافياً، اذهب مصاحباً وان كان الذهاب واحد لاختلاف الحاليين.

بعبارة أُخرى: ذكر الهبوط الأوّل: لبيان أصل الهبوط من الجنة إلى دار الشقاء والعناء والعداء. وذكر الهبوط الثاني: لبيان الغاية من هذا الهبوط وهي ظهور سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

ويمكن أن يقال: إنّ الهبوط الأوّل من حيث الجهات المادية الجسمانية

الدنيوية، والهبوط الثاني من حيث الاستكمالات المعنوية في سلسلة الصعود إلى المقامات العالية الإنسانية، ولذا ذكره بعد التوبة والرجوع إلى اللّه عزّ وجل وانّه الغاية القصوى من الهبوط.

الجواب الثاني: الهبوط الأوّل هو الهبوط من الجنة إلى السماء، وهذا الهبوط من السماء إلى الأرض. أو إن الهبوط الأوّل كان أمر بالانتقال من الدرجة العالية فيها إلى درجة دنيا تليها، أو تنزل عنها درجات، أما الهبوط الثاني: هو إنزال من السماء إلى الأرض، بعد تلقي الكلمات، وبعد التوبة فيكون نزولاً حقيقياً فعلياً.

السؤال الثاني: أتى بحرف الشك (ما) هنا في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾، بينما إتيان الهدى كائنا قطعاً؟

الجواب الأوّل: (إنّ) هنا للشرط و(ما) زائدة، أُكدت بها (إنّ) وذلك ليصح دخول نون التوكيد في الفعل (يأتينّكم)، ولو أسقطت (ما) لم يجز دخول النون عليه. كقولك زيد ليأتينك، ولو قلت بغير للام لم يجز دخول نون التوكيد على الفعل (ليأتينك) فدخول (ما) هنا كدخول اللام هناك.[1]

الجواب الثاني: المجيء بكلمة الشك: للإيذان، بان الإيمان باللّه والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب، وانّه إن لم يبعث رسولاً ولم ينزل كتاباً كان الإيمان به وتوحيده واجباً، بما ركب فيهم من العقول، ونصب لهم من الأدلة، ومكنهم من النظر والاستدلال.

الجواب الثالث: لانّ الهدى حقيقة جوهرية من شئون النفس الإنسانية، ولسان الرسول الظاهر أو الباطن معدن للنفس، والمفيض في الحقيقة هو اللّه،

---

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

والمفاض حقيقة من الحقائق، والمفاض عليه هو النفس الإنسانية. فالإتيان بأداة الشك (ما) هنا في الآية في محلّه؛ لأنّ تلك الحقيقة لا تحصل لكلّ فرد من الأفراد، وكثير ما تحصل لشخص ثمّ تُسلب عنه.

السؤال الثالث: إنّ اللّه سبحانه في هذه الآية بين حال طائفتين من طوائف الناس بحسب العاقبة، إحداهما: الكاملون في السعادة، والأخرى: الكاملون في الشقاوة، ولم يبين حال الأوساط؟

الجواب: لأنّ حالهم يستفاد من أحوال هاتين الطائفتين بوجه. أو لأنّ المقام يقتضي تفصيل مراتب الناس بحسب العاقبة؛ لأنّ الكلام مسوق هنا في أحوال مبادئ نشأة الإنسان، وأوائل فطرته، وإنما انجر إلى ذكر نبذ من أحوال النهاية تبعاً وإجمالا، والتفصيل فيها موكول إلى مواضع أُخرى من القرآن.

السؤال الرابع: إنّ التابع للهدى مؤمن، والمؤمن لا يخلو من الخوف والرجاء، وكذلك الحزن من لوازم الإيمان (كما في الأخبار)، فكيف ينفى عنهم الخوف والحزن هنا في الآية: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: المراد من نفيهما في الآخرة، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون في القيامة، ولذلك أخبرنا اللّه عنهم أنهم قالوا حين دخلوا الجنّة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [1] أي أذهب عنّا ما كنا فيه من الخوف والإشفاق في الدنيا.

الجواب الثاني: إنّ مَن اتبع هدى اللّه تعالى، ينبغي أن لا يخاف من غيره ولا يحزن، لما فات عنه؛ لأنّ متابعة العبد لهداية اللّه تعالى توجب انقطاعه إليه، وهو

---

(١) فاطر: ٤٣

يستلزم نفي الحزن والخوف عنه في الدارين، هذا من جهة المتابعة. أمّا من جهة العبودية فيعرضه الحزن؛ لأنّه مابين الخوف والرجاء. فتحصل: إنّ نفي الخوف كما يتناول الآخرة يتناول الدنيا أيضا، فإنّ الماشي على وضع الحق آمن فرح ولا يحزن على شيء من حطام الدنيا ولا يخاف.

السؤال الخامس: ما هو الداعي في تكرار لفظ (الهدى) هنا في الآية: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾؟ ولم يأتِ بـ(الضمير) بأنّ يقول: (فمن تبعه) أي فمن تبع هداي؟

الجواب: لأنّه المراد بـ(الهدى) الثاني أعم من الأوّل، وهو ما أتى به الرسل، واقتضاه العقل السليم بمتابعته الرسل من الأدلة الافاضية والانفسية.[1] أو إن في تكرار الهدى للتمكين في القلوب، وللترغيب في الإتباع، بتصوير مفهومه الصريح، ولتعليل الحكم بذلك.

السؤال السادس: كيف صح توجيه الخطاب إلى المعدوم، من حيث أنّه لم يكن أحداً من ذرية آدم× حين الخطاب؟

الجواب: لا مانع من الخطاب إذا كان المقصود منه الوصول إليهم (الذرية) بعد وجودهم. هذا مع الغض عن عالم الذر حيث أن الخلائق حاضرة فيه بأجمعهم فلم يكن خطاب للمعدوم.

السؤال السابع: ما هو الفرق بين حالة الخوف وبين حالة الحزن؟

الجواب: إنّ الخوف: حالة حاصلة من استشعار بورود مكروه، وتوقع وروده، ويستلزمها انقباض القلب، واجتماع الروح الحيوانية، والحرارة الغريزيّة في الباطن والقلب، واحتراق دم القلب، وتصاعد بخار دخاني، إلى الدماغ، واحتراق

---

(١) راجع: تفسير مقتنيات الدرر للآية، السيد علي الحائري الطهراني.

الدماغ وتولد السوداء إن طالت مدّتها. والحزن: حالة من استشعار فوات محبوب في الحال أو في الاستقبال ويستلزمه أيضا انقباض القلب وسائر اللوازم[1].

السؤال الثامن: من هم المقصودون بـ(الهدى) هنا في الآية الكريمة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾؟

الجواب: إنّ المقصودين بالهداية هنا ذرية آدم عليه السلام وهم البشر الّذين في صلب آدم، والهدى أعم يشمل العقل والنقل، وجميع الشرائع السماوية كلّ بحسب زمانه وعصره.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: مفارقة الجنان من أصعب المواقف

في الآية إشعار بأنّ مفارقة الإنسان عالم القدس والرحمة وبُعده من درجة المقربين، وهبوطه إلى دار الدنيا كان صعب عليه أول الأمر بمقتضى صفاته الذاتية وفطرته الأصلية، ولم يرض بالكون في هذا العالم، واستوحشه، حتى صدر الأمر بهبوطه مرّة أُخرى بعد الأوّلى.

الدرس الثاني: رحمة الله للإنسان غير منقطعة

في الآية تنبيه على جليل عناية اللَّه، وعظيم رحمته في حق آدم وذريته، إذ كأنه يقول: إني وان أهبطكم إلى الأرض، فقد عظمت عليكم الرحمة، وأنعمت عليكم بما يؤدي بكم مرّة أُخرى إلى الجنّة على وجه أتم وأدوم زماناً وأكثر عدداً.

---

(1) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.

الدرس الثالث: إطاعة الله أمان واطمئنان في الدنيا

إنّه تعالى بيّن أنّ من اتّبع هداه بحقّ علماً وعملاً، فإنّه يبلغ إلى منزلة لا يعتريه فيها خوف عن مال ولا حزن في حال، وهذا متضمن جميع ما أعدّ اللَّه لأوليائه.

الدرس الرابع: إطاعة الله أمان في مواقف الآخرة

الآية تدل على أنّ المؤمن المتبع للهدى المعرض عن آفة الهوى، لا يلحقه خوف أصلا، لا في القبر، ولا عند البعث، ولا عند حضور الموقف، ولا عند تطاير الكتب.

الدرس الخامس: الاختيار مزية للإنسان

الظاهر إنّ الإرادة والاختيار يمثلان ميزة أخرى لآدم عليه السلام والإنسان بشكل عام على الملائكة، وان هذه الخصوصية هي الّتي أثارت مخاوف الملائكة وسؤالهم. وبذلك استحقاق آدم للخلافة وجود هاتين الخصوصيتين فيه.

تفسير: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٣٩]

المعنى العام

اللغة: (الآية): العلامة[1]. (الصحبة):المعاشرة، والملازمة له إنسان أو غيره[2].

المعنى: أخبر سبحانه عن عاقبة الّذين لا يتّبعون الهدى وجحدوا توحيد اللّه، وأنكروا نبوّته، وكذّبوا آياته، فهم من أهل النار خالدين فيها.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: كيف يصح إخلاد مجرد من تلبس بالكفر وكذب، وإن تاب بعد ذلك؟

الجواب: المراد من مات مُصراً على الكفر والتكذيب غير تائب منه، وإنّما التائب من الذنب أو الذين أسلموا وآمنوا وصدقوا لا يعدون من الكافرين المكذبين.

السؤال الثاني: حق العبارة (لمطابقة الآية السابقة) أن يقول: (ومن لم يتبع هداي)، فلماذا عدل وأتى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؟

---

(1) الصحاح، الجوهري، ج٦ ص٢٢٧.

(2) مجمع البحرين، الطريحي،ج٢ ص٥٨٤.

الجواب: للإشعار بأنّ عدم الإتباع للهدي (الذي تقدم في الآية السابقة) كفر، ومستلزم هذا الكفر وعدم الإتباع للانتهاء إلى التكذيب والجحود بالله وبأنبيائه عليهم السلام.

السؤال الثالث: ما هو الداعي في تكرار المبتدأ (أُولئك. هم) مع المجيء بإسم الإشارة للبعيد (أُولئك) هنا في الآية: ﴿أُولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: لتأكيد الحكم وإحضارهم بأوصافهم الذميمة وتحقيرهم.

أو للتطويل: في مقام الوعيد المطلوب فيه التشديد والتأكيد والتطويل، ولذا لم يكتف بصحابة النار المشعرة بالتجانس المستلزم للخلود، بل أكدها بقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

السؤال الرابع: ما هو المراد من معنى (الآيات) هنا في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؟

الجواب: المراد بالآيات: الكتب والرسل. أو ما يعمهما، كالمعقولة أي الكلامية والعينيّة المادية الأرضية والسماوية والروحية القلبية.

السؤال الخامس: هل يعم الخطاب هنا الجن أو ناظر إلى الإنس فقط؟

الجواب: المحكوم عليه أعمّ من الإنس، فتكون شاملة للجن فهم أصحاب العذاب الدائم لمن كفر منهم.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: الإنسان يحدد مصيره بالاختيار

إن كلّ فرد إذا نظر إلى حاله، يكون مبدأ هذا الأمر التاريخي والتدريجي، ويصير موضوع هذه القضية والحكاية، واللّه هو الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد، فأمّا أن يختار الهداية فيكون سعيدا في الدارين، وأمّا أن يختار الضلال فيكون شقيا في الدارين. وهذه آخر الآيات الدالة على النعم الّتي أنعم اللّه بها على جميع بني آدم، من حيث المبدأ والنشأة الأوّلى.

الدرس الثاني: كثرة الكافرين وقلة المؤمنين

أن مجيء الموصول (والذين) بصيغة الجمع في الآية؛ للإشعار بكثرة الكفرة، ولذا لم يقل: (والذي كفر). وقد سُمّو بالأصحاب أي أصحاب النار لاتصالهم بالنار وبقائهم فيها، فهم ملازموها وملابسوها.

الدرس الثالث: الجحود سبب خلود الإنسان في النار

ذكر تعالى الكفر الخاص أي التكذيب بعد الكفر العام، أي مطلق الكفر، لينبه على الجحود الّذي هو موجب للخلود في النار.

تفسير: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أُذكروا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [٤٠]

المعنى العام

اللغة: (**إسرائيل**): اسم بالعبرانية. ومعناه عبد اللَّه أو صفوة اللَّه[١]. (**الذكر**): بالكسر، خلاف النسيان وهو الاستحضار، رجل ذكّير جيد الحفظ والذكر[٢]. (**الوفاء**): ضد الغدر، وهو العمل على موجب العهد المقرر بين المتعاهدين[٣]. (**العهد**): الحفاظ والأمان واليمين والمواثيق والوصية[٤]. (**الرهبة**): الخوف والخشية والفزع[٥].

المعنى: الآية بصدد تذكير بني إسرائيل بالنعم التي أغدقها الله عليهم، مخاطباً: يا أولاد يعقوب ارجعوا إلى ذاكرتكم وحفظكم ولاحظوا النعم الكثيرة الّتي أنعمتكم بها وأطيعوني ولا تخافون أحداً سواي.

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي، ج١ ص١٣٩.
(٢) الصحاح، الجوهري، ج٢ ص٦٦٤.
(٣) راجع: تاج العروس، الزبيدي، ج٥ ص٣٢٠.
(٤) الصحاح، الجوهري، ج٢ ص٥١٥.
(٥) الصحاح، الجوهري، ج١ ص١٤٠.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: مَن هم بنو إسرائيل المذكورين في الآية المباركة: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أُذكروا نِعْمَتِيَ﴾؟

الجواب: هم جماعة اليهود الّذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب وحولها من بني قريظة وبني النظير وغيرهم، وهم كانوا من أولاد يعقوب كذلك.

قيل: الخطاب يشمل اليهود والنصارى وهم جميعاً من أهل الكتاب المحجوبين عن الدين، بل عن الحق مطلقاً[1].

السؤال الثاني: لماذا سُمّي اليهود ببني إسرائيل؟

الجواب: نسبة إلى الأب الأعلى؛ لأنّ اسم يعقوب الثاني إسرائيل وهم أولاده، فنسبهم إلى أبيهم الأعلى. كما في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2].

السؤال الثالث: ما هو الوجه في تخصيص بني إسرائيل بالخطاب في الآية: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أُذكروا نِعْمَتِيَ﴾ دون غيرهم، فليس هم فقط أنكروا نبوة الخاتم ' وأشركوا؟

الجواب الأوّل: لأنّ يهود المدينة أكثر الناس إنكاراً للنبوة وللنعم الإلهية، كما أنّ كفار قريش كانوا أكثر الناس إنكارا للتوحيد.

الجواب الثاني: لأنّهم أقدم الطوائف الّتي أرسل فيهم الأنبياء والرسل وأنزل فيهم الكتب، وهم أوّل طائفة من الأمم هبطوا من ذروة المقام الإنساني إلى درك حضيض البهيمة، وهم السابقون في نقض عهد اللّه مصرين على ذلك لا

---

(1) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

(2) الأعراف: ٣١

يرتدعون برادع أرضي أو سماوي وهم أشدّ الناس عداءً للمؤمنين.

السؤال الرابع: ما هو الوجه في اختيار نبي الله يعقوب عليه السلام (الذي أسمه إسرائيل) دون غيره من الأنبياء ^، كما هو في الآية: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أُذكروا نِعْمَتِيَ﴾؟

الجواب: لكثرة أولاده، وبقاء النسبة الروحانية إليه في أكثرهم وهم الأنبياء، فانّه لم تُقطع النبوّة في أولاده عليه السلام ولم يرفع الدين عنهم، بخلاف سائر الأنبياء[1].

السؤال الخامس: ما هو المراد من (النعمة) الّتي أنعم اللّه سبحانه بها بني إسرائيل، كما هو في الآية: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أُذكروا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؟

الجواب: هي كثرة الأنبياء فيهم (في بني إسرائيل) والكتب، وأنجاهم من فرعون ومن الغرق وإنزال المن والسلوى عليهم وغير ذلك من النعم الكثيرة الّتي خصّها تعالى بني إسرائيل. والنعمة هنا أعم من المادية والمعنوية لإطلاقها بالآية وعدم تقييدها. أو المراد بالنعم بعثة النبي محمّد صلى الله عليه وآله.

السؤال السادس: لِمَ جيء بلفظ (النعمة) بصيغة الإفراد هنا في الآية بقوله: ﴿أُذكروا نِعْمَتِيَ﴾ ولم يقل: (أذكروا نِعَمي) مع أنّ نعَمَه سبحانه كثيرة عليهم؟

الجواب: المراد بها الجماعة والجنس أي بمعنى النعم وليس الفرد. كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّـهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾.[2] أو المراد بالنعمة هنا بعثة النبي صلى الله عليه وآله.

السؤال السابع: النعم كانت لأسلافهم ليس للمخاطبين من اليهود، فكيف أُضيفت إليهم النعم هنا في الآية بقوله: ﴿أُذكروا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم﴾؟

---

(1) راجع: تفسير بيان السعادة للآية، سلطان علي شاه.

(2) إبراهيم: ٣٤

الجواب الأوّل: وان كانت على أسلافهم جاز أن تضاف إليهم، كما يقول القائل إذا فاخر غيره: هزمناكم يوم ذي قار، وقتلناكم يوم كذا. ويريد أجداده وأسلافه. فإن عد النعمة على آبائهم نعمة عليهم؛ لأنّ الأوّلاد يتشرفون بفضيلة الآباء.

الجواب الثاني: المراد جميع النعم الواصلة إليهم مما اختصوا بها دون آبائهم، أو اشتركوا فيها معهم، فمن تلك النعم بقاء آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من أولادهم، ومن ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم الاستدلال على توحيده والوصول إلى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه.

السؤال الثامن: إنّ نِعَمَه سبحانه وتعالى غير متناهية ولا يمكن عدها، كما في قوله تعالى: ﴿وإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ فكيف أمر سبحانه بتذكرها في الآية هنا بقوله: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾؟

الجواب: إنّ الأشخاص والأجزاء غير متناهية، أمّا الطبائع النوعية متناهية ويمكن لنا العلم بالطبائع والعنوانات، كما في القضايا الكلية مثل قولنا الإنسان له قوة الكتابة. ففي هذا الحكم تصورنا طبيعة العنوان. مع أنّ ظاهر الآية لا تريد الأمر بتذكير كلّ النعم على سبيل الحصر وانّما المراد النعم الظاهرة الجلية الّتي خصّها اللّه أُولئك.

السؤال التاسع: ما هو المراد بالعهد الّذي كان بين اللّه تعالى وبين بني إسرائيل، كما تشير له الآية هنا بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾؟

الجواب الأوّل: هو أنّ اللّه تعالى عهد إليهم في التوراة انّه باعثا نبيّاً يقال له محمّد فمن تبعه كان له أجران أجر بإتباعه موسى عليه السلام وإيمانه بالتوراة وأجر

بإتباعه محمّداً وإيمانه بالقرآن[١].

الجواب الثاني: إنّها وصية اللّٰه سبحانه إلى خلقه على لسان رسوله بما أمر هو به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته، فنقضهم ذلك ترك العمل به. بدليل قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[٢].

الجواب الثالث: المراد منه عهد الإقرار بالربوبية المأخوذة عن الفطرة، أو في عالم الذر من الإيمان بي وبرسلي وكتبي المنزلة عليكم، وبما فيها من الشرائع والأحكام.

بعبارة أُخرى: بما انّه لم يذكر المتعلّق في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي**﴾ أفاد كلّ عهد عهده، سواء كان ذلك وقت أخذ موسى عليه السلام العهد بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله أم كان أخذ اللّٰه عنهم العهد في عالم الذر ثمّ أودع فيهم الفطرة دليلاً عليه، ومن أبرز مصاديقه ولاية علي عليه السلام، كما يشير له الحديث عن سماعة بن مهران قال: سألت أبا عبد اللّٰه الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾ قال عليه السلام: **أوفوا بولاية علي عليه السلام فرضاً من اللّٰه أُوف لكم بالجنّة**[٣].

الجواب الرابع: يمكن أن يكون عهده تعالى مع الأنبياء عليهم السلام، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ**

(١) راجع: تفسير مجمع البيان للآية، الشيخ الطبرسي.
(٢) يس: ٦٠
(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٣٦ ص٩٧. وتفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج١ ص١٢٣

إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

السؤال العاشر: لماذا عبّر بلفظة (عهد) في الآية الكريمة: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾؟

الجواب: لأنّه تقدم به إليهم في الكتاب السابق، فكان بمثابة العهد.

أو إنّما جعله عهداً لتأكيده بمنزلة العهد الّذي هو اليمين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾[2].

السؤال الحادي عشر: هل أنّ العهد المذكور في الآية خاص بين اللّه سبحانه وبين بني إسرائيل أو هو أعم من ذلك؟

الجواب الأوّل: هو أوسع من ذلك، فلا يُلمح في الآية وجود عهد خاص بينه وبين بنى إسرائيل، بل هو عهد اللّه مع كلّ عبادة في كلّ زمان ومكان فيما أخذه اللّه عليهم من خلال فطرتهم الّتي تدعو إلى عبادته. والدليل انّه تعالى قد تحدث في أكثر من آية عن هذا العهد والميثاق فيما بينه وبين عباده بدون تخصيص، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.[3]

الجواب الثاني: انّه خاص ببني إسرائيل، **والدليل:** انّه ذكر في آيتين متواليتين هما ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي

([1]) آل عمران: ٨١

([2]) آل عمران: ١٨٧

([3]) يس: ٦٠

الْقُرْبَى... الخ﴾[1] ويتكون هذا العهد والميثاق من اثني عشر بنداً[2].

السؤال الثاني عشر: لماذا قدم المفعول على الفعل هنا في الآية: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، ولم يقل (ارهبوني)؟

الجواب: لإفادة الاختصاص والحصر، إن كلّ رهبة لها جهات تدفعها عن وجه الإنسان، إمّا رشوة وإمّا شفاعة وإمّا فرارا عن منطقة المرهوب، إلا رهبة اللّه فإنّها لا تندفع بالوجوه المذكورة، فالّذي يجب أن يرهب حقّاً هو اللّه المقتدر على كلّ شيء المحيط بكلّ شيء.

السؤال الثالث عشر: كيف أوجب سبحانه وفاء العهد على نفسه في الآية المباركة: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾؟

الجواب الأوّل: تحنناً منه وترغيباً لعباده إلى الطاعة، حيث يكون لهم حق مطالبة الجزاء مع الشرط، فيصير المقام نظير آية الاشتراء في قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾**[3] مع أنّ السلعة والمشتري وقدرته وإرادته من اللّه تعالى.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون الترتيب في قوله تعالى: **﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾** من قبيل ترتيب المعلول على العلّة لا من ترتيب وفاء أحد المتعاوضين على وفاء الآخر، فالذي يوفي بعهد الله ويمتثل لأوامره يستحق الثواب بالضرورة.

السؤال الرابع عشر: لفظة (الإبن) تطلق على الذكور فقط، فكيف نثبت أنّ الخطاب

---

(١) البقرة: ٨٣

(٢) راجع تفسير الأمثل للآية، الشيخ مكارم الشيرازي.

(٣) التوبة:١١١

في الآية: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعم النساء كذلك؟

الجواب الأوّل: المراد من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الذرية أو النسل أي نسل يعقوب سواء كانوا ذكوراً أو أُناثاً كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[1] أو غيرها من الآيات. أو اختص بالأبناء لكثرة الاستعمال.

الجواب الثاني: لفظ (الابن) خاصة بالذكر، لكن إذا أضيفت تعم الإناث والذكور في لسان العرف، وهنا في الآية قد أضيفت فهي تعم الذكور والإناث.

السؤال الخامس عشر: ما هو الفرق بين هذه المصطلحات (الإبن، والولد، والنسل، والذرية)؟

الجواب: الإبن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني إلا أنّ الإبن للذكر والولد يقع على الذكر والأنثى على السواء، والنسل والذرية يقع على جميع ذلك.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: وجوب شكر النعم

في هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة. في الحديث التحدث عن النعم شكر. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2] وإنّ النعمة أعم يعبّر بها عن كلّ خير ومنفعة ولذّة سواء كان في الدنيا أم في الآخرة فكلها تعد من نعم الله.

كما أنّ في الآية دلالة على عظم المعصية في جحود النعم وكفرانها، ولحوق

---

(1) الأعراف: ٢٧

(2) الضحى: ١١، كشف المحجة لثمرة المهجة ص٢

الوعيد الشديد بكتمانها.

الدرس الثاني: إبطال قول المجبرة

فيها دلالة على ثبوت أفعال العباد، إذ لو لم تكن لهم أفعال لما صح العهد والأمر والنهي والوعد ولأدى إلى بطلان الرسل والكتب.

الدرس الثالث: نعمة الآباء في مصلحة الأبناء

أصل الإبن من البناء وهو وضع الشيء على الشيء، فالإبن مبني على الأب، لأنّ الأب أصل والإبن فرع. فنلاحظ أنّه شرع أولاً في ذكر النعم الخاصة على أسلافهم وآبائهم، تذكيراً واستمالةً لقلوبهم وعظيم مننه عليهم، وتنبيهاً على ما يدلّ على نبوّة محمّد عليه السلام من حيث إخباره عن المغيبات والأحوال الماضية والأديان السابقة.

الدرس الرابع: ذكر النعم يوقظ الضمير

إنّ اللّه يريد أن يذكرهم بنعمه ليقودهم إلى الشعور بمسئوليتهم إزائها، فيقفوا منها موقف الشاكر للنعمة في مجالها العملي بطاعة اللّه، وفي مواجهة الرسالات الإلهية بالدعم والقبول والانقياد.

الدرس الخامس: إسرائيل الاسم الثاني ليعقوب عليه السلام

إسرائيل اسم ثاني ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل اللّه عليهم السلام فإسحاق أخ لإسماعيل جد نبينا محمّد صلى الله عليه وآله ويلتقي اليهود والعرب جميعاً في نبي الله إبراهيم عليه السلام[1].

---

(1) راجع: تفسير الكاشف للآية، محمد جواد مغنية.

الدرس السادس: القرآن المنهج الإلهي الكامل للبشرية

الأوامر الثلاثة الّتي تذكرها الآية الكريمة وهي: ذكر النعم الإلهية والوفاء بالعهد والخوف من اللَّه تشكل المنهج الإلهي الكامل للبشرية، حيث أنّ ذكر النعم الإلهية يحفز الإنسان للاتجاه نحو معرفة اللَّه سبحانه وشكره، واستشعار العهد الإلهي الّذي يستتبع النعم الإلهية يدفع الإنسان إلى النهوض بمسئولياته وواجباته. ثمّ الخوف من اللَّه وحده، يمنح الإنسان العزم على تحدي العقبات الّتي تقف بوجه تحقيق أهدافه.

الدرس السابع: ظلم الفراعنة في بني إسرائيل

يظهر من الآية أنّ ظاهرة الخوف كانت متغلغلة في أعماق نفوس بني إسرائيل نتيجة السيطرة الفرعونيّة الطويلة عليهم.

الدرس الثامن: الحث على ذكر النعم الإلهية

قوله: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ إشعار بأنّهم أي بني إسرائيل قد نسوا النعمة بالكلية ولم يخطروها بالبال وأهملوا شكرها. ولقد تلطف سبحانه في خطابه مع اليهود، حيث أضافهم إلى النبي الكريم إسرائيل عليه السلام ليذكرهم بهذا النسب الشريف عسى أن يحرك فيهم شعور الكرامة، كما تقول: يا بن الأبرار كن كآبائك وأجدادك.

الدرس التاسع: الوفاء بالعهد مصلحة عظيمة للناس

الوفاء بالعهد مطلقاً سواء كان من الناس أم من اللَّه تعالى يرجع إلى مصلحة الناس أنفسهم، وإنّما سمي سبحانه ذلك عهداً وأوجب وفائه على نفسه تحننا منه وترغيباً لعباده إلى الطاعة.

الدرس العاشر: جوهر الإخلاص الخوف من الله وحده

قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يفيد تخصيص الرهبة به؛ للتنبيه على انّه لا ينبغي أن يخاف من أحد إلا اللَّه تعالى، فانّ الإخلاص لا يتمّ إلا بحصر الطاعة والرغبة والخوف والرهبة فيه.

كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ فيه دلالة على أنّ الكل بقضاء اللَّه، ولا استقلال للعبد في فعله وإلا لوجب أن لا يخاف إلا من نفسه؛ لأنّ مفاتيح ثوابه بيده لا بيد اللَّه.

الدرس الحادي عشر: اقتباس العبرة من قصة بني إسرائيل

كانوا بنو إسرائيل أمة مؤمنة تشبه إلى حد بعيد الأمة الإسلامية، وكان من الطبيعي أن يطرح القرآن الحكيم قضيّتهم أمام المسلمين؛ ليعتبروا بكلّ صغيرة وكبيرة منها وعلى لغة: إياك أعني واسمعي يا جارة.

تفسير: ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [٤١]

المعنى العام

اللغة: (الصدق): مطابقة الواقع[1].(التقوى): من الاتقاء: وهو الحجز بين الشيئين. اتقاه بالترس جعله حاجزاً بينهما.[2] (الثمن): سعر المبيع[3].

المعنى: آمنوا يا بني إسرائيل بما أنزلت على محمّد ﷺ مصدّقاً لما معكم من التوراة، ولا تكونوا أوّل كافر به، والواجب أن تكونوا أوّل مؤمن به لعلمكم بشأنه، ولا تشتروا بآياتي، بتحريف آيات من التوراة فيها صفة محمّد ﷺ ثمناً قليلاً عرض يسيراً من الدنيا، وإياي فاتقون: في كتمان أمر محمّد ﷺ.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: إن الإيمان بما أنزل اللّه على رسوله ' هو عين الإيفاء بعهد اللّه الّذي مرّ ذكره في الآية السابقة ﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾ فما هو الداعي في الإعادة بهذه الآية؟

الجواب: تفصيل بعد إجمال، فانّ قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾ يشمل

---

(1) تاج العروس، الزبيدي، ج١٣ ص٨٠.
(2) خزانة الأدب، البغدادي، ج١٠ ص١٤٠، ج٥ ص١٨٥.
(3) الصحاح، الجوهري، ج٥ ص٢٠٨٩.

الإيمان بالنبيﷺ إلا انّه تعالى ذكره بالخصوص هنا في هـذه الآيـة تنبيهـاً لهـم وتعظيماً لأمره.

السؤال الثاني: ما هو المراد من معنى قوله (مصدّقاً) هنا في الآية المباركـة ﴿أَنْزَلْـتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾؟

الجواب الأوّل: يعني أنّ القرآن مصدّق لما مع اليهـود مـن بنـي إسـرائيل مـن التوراة، وأمرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم أنّ فيه تصديقهم بالتوراة؛ لأنّ الّـذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمّدﷺ وتصـديقه نظيـر الّـذي فـي التـوراة والإنجيل، فانّ فيهما البشارة لمحمّد ﷺ وبيان صفته.

الجواب الثاني: إنّه مصدّق بالتوراة والإنجيل الّذي فيـه الدلالـة علـى أنّـه حـق وأنّه من عند اللّه.

السؤال الثالث: لماذا وحد لفظة (كافر) هنا في الآية بقوله: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ مع أن الخطاب للجمع؟

الجواب الأوّل: انّه ذهب مذهب الفعل كأنّه قـال: أوّل مـن كفـر بـه. ولـو أراد الاسم لما جاز إلا الجمع، ومثل ذلك قوله القائل للجماعـة: لا تكونـوا أوّل رجـل يفعل ذلك.

الجواب الثاني: المراد أوّل حزب كافر به، أو أول فريق، أو صنف، وهـو ممّـا يسوغ منه النعت ويبين به الاسم لأنك تقول: جائني قبيل صالح، فينعت بـه الاسـم إذا كان اسماً واحداً لجميعه، فيكون قد أخبر عن الجمع بتقدير فريـق أو قبيـل أو صنف.

الجواب الثالث: لأنّه من باب (أفعل التفضـيل) الّـذي يجـب فيـه الافـراد هنـا

للمضاف ولا يصح جمعه، كما يشير له ابن مالك في ارجوزته الألفية:

وان لمنكورٍ يُضف أو جُردا الزم تذكيراً وأن يوحدا [١]

السؤال الرابع: كيف يقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ مع أنّهم ليسوا أوّل الكفرة به، فانّ مشركي قريش قد سبقوهم إلى الكفر والإنكار؟

الجواب الأوّل: معناه لا تكونوا أوّل الكافرين به عند السماع، بل تثبتوا وراجعوا عقولكم وتدبّروا في معانيه حتى يظهر لكم حقيقته وصدقه.

الجواب الثاني: لا تكونوا أوّل من جحد مع المعرفة؛ لأنّ كفر قريش وغيرهم في الغالب مع الجهل لا مع المعرفة، بخلاف أهل الكتاب فانّ فيهم علماء أحبار وفيهم من يستفتح بمقدمه الشريف، ويبشر بزمانه. أو أُريد به التعريض بأنّ الواجب أن يكونوا أوّل من يؤمن به لمعرفتهم بنعته وتبشيرهم بمن أوحي إليه.

أو المراد: لا تكونوا مثل أوّل كافر به. بتقدير (مثل). أو لا تكونوا أئمّة في الكفر به. أو أوّل كافر من أهل الكتاب.

السؤال الخامس: ما هو مرجع الضمير (الهاء) هنا في الآية: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾؟

الجواب الأوّل: يرجع إلى النبي محمّد صلى الله عليه وآله ومعناه: لا تكونوا أوّل كافر بمحمّد صلى الله عليه وآله.

الجواب الثاني: يعود إلى (ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ الّذي هو القرآن الكريم.

الجواب الثالث: يرجع إلى كتابهم، لا تكونوا أوّل كافر بما معكم من

---

(١) شرح ابن عقيل، ج٢ ص١٧٨

كتابكم؛ لأنّهم إذا جحدوا ما فيه من صفة النبي ﷺ فقد كفروا به أي بكتابهم.

السؤال السادس: أختص النهي هنا في الآية: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ على حرمة أوّل الكفر وكأنه لا يشمل آخر من كفر؟

الجواب الأوّل: المقصود من الكلام النهي عن الكفر على كلّ حال وخص الأوّل بالذكر لعظم موقعه.

الجواب الثاني: قوله: ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ دلالة على أنّ كفرهم أولاً وآخراً محضور؛ لأنّ تحقق وجود الشيء موقوف على إرتفاع جميع أنحاء عدمه أو ضدّه. وكذا تحقيق الإيمان بما أنزل في كلّ وقت متوقف على جميع أنحاء الكفر به في ذلك الوقت[1].

السؤال السابع: ما هو الوجه في إدخال (الباء) في لفظ (الآيات) دون إدخالها في لفظ (الثمن) هنا في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾، بينما في سورة يوسف أُدخلت (الباء) في لفظ (الثمن) كما في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾؟[2]

الجواب: لأنّ العروض كلّها أنت مخير فيها إنّ شئت قلت اشتريت الثوب بكساء، وإن شئت قلت اشتريت بالثوب كساء أيهما جعلت ثمناً لصاحبه جاز، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت (الباء) في الثمن كقوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ لانّ الدراهم ثمن ابداً.

السؤال الثامن: يفهم من قوله هنا في الآية: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ انّه إذا كان الثمن كثيراً يجوز بحسب المفهوم؟

---

(1) راجع: تفسير صدر المتالهين للآية.
(2) يوسف:٢٠

الجواب: ليس كذلك. وإنّما المقصود من الكلام أنّ أي شيء باعوا به آيات اللّه كان قليلاً، وانّه لا يجوز أن يكون له ثمن يساويه كقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ**﴾[1] إنّما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كلّ حال،، وانّه لا يجوز أن يكون عليه برهان، فأيضا هنا لا يكون لآيات الله ثمنا.

السؤال التاسع: ما هو المعنى المقصود من (الشراء) هنا في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي﴾؟

الجواب الأوّل: الاشتراء هنا إستعارة للأستبدال كما في قوله تعالى: ﴿**اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى**﴾[2] أي لا تستبدلوا بآياتي ثمناً قليلاً. وإلا فالثمن هو المشترى به.

الجواب الثاني: الشراء هنا ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ﴾ بمعنى البيع. كقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[3] أي يبيع نفسه، فالمراد ولا تبيعوا بآياتي.

السؤال العاشر: ذكر في ذيل الآية السابقة قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، أمّا في ذيل هذه الآية قال: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾، فما هو الفرق بين الرهبة والتقوى؟ وما هو الوجه في التقديم والتأخير؟

الجواب الأوّل: التقوى ليست هي الخوف كحالة طارئة تعيش في مشاعر الإنسان الداخلية، بل هي ملكة في وجدانه وضميره توجهه نحو الانضباط أمام أوامر اللّه ونواهيه، فإذا انفتح له باب نحو الحرام لم يدخل فيه وإذا انفتحت له أبواب الطاعة سار إليها بإخلاص وإيمان. ووجه التقديم: أنّ الأوّلى هي (الرهبة)

---

(1) المؤمنون: ١١٧
(2) البقرة: ١٦
(3) البقرة: ٢٠٧

مقدّمة للثانية وهي (التقوى) ولهذا أوردت الرهبة في الآيـة السـابقة والتقـوى فـي الآية اللاحقة.

الجواب الثاني: لما عم الخطاب في الآية الأوّلـى العـالم والمقلـد جميعاً وقـع الأمر فيهما بالرهبة الّتي هي مبدأ السلوك، وحيث خصّ أهل العلم في الآية الثانية أمرهم بالتقوى الّتي هي منتهاه.

السؤال الحادي عشر: في هذه الآية المباركة وآيات أُخرى تصرح بتصديق القرآن لمـا جاء في الكتب الإلهية السابقة، ويلزم من هذا إثبات عدم تحريف التوراة والإنجيل؟

الجواب: أوّلا: ليس في هذه الآية والآيات الأُخرى دلالة على تصديق القرآن جميع محتويات التوراة والإنجيل، بل دلالتهما تقتصر على التصـديق العملـي لمـا جاء في الكتب الموجودة بين اليهود والنصارى بشأن النبي الخاتم وكتابه.

وثانياً: وجود آيات عديدة في القرآن تتحدّث عن تحريف اليهود والنصـارى لآيات التوراة والإنجيل، منها قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[1] وهـو شاهدٌ حي على مسألة التحريف. إضافة إلى النصوص.

---

(١) النساء: ٤٥

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: الشريعة السابقة تخبر عن اللاحقة

هذه الآية المباركة تدلّ بالدلالة الالتزامية على إخبار موسى عليه السلام بشريعة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله؛ لأنّ كلّ شريعة سابقة لابد وان تخبر بالشريعة اللاحقة.

الدرس الثاني: الرسالات متحدة في الهدف والمضمون

إنّ الشرائع وإن تعددت بحسب الظاهر إلا أنّها متّحدة في أصول العقائد والأحكام الّتي ترجع إلى تربية الإنسان وسعادته في الدارين. مع أنّ الأنبياء لا يأتون ليكذبوا ما قبلهم، بل ليصدقوهم، وليكملوا ما نقص بفعل تقدم الحياة وتطورها وحاجتها إلى الأشياء الجديدة.

الدرس الثالث: الدنيا ثمن قليل

الثمن القليل هنا هو الدنيا وما فيها؛ لأنّها تنفد وآيات اللّه تعالى لا تنفد، وكلّ من قدم هوى نفسه على رضا اللّه تعالى فقد اشترى بآيات اللّه ثمناً قليلاً؛لأنّه خسر رضوان اللّه تعالى.

والمراد بآيات اللّه تعالى في قوله: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ مطلق تشريعاته في معارف الدين وأحكامه.

الدرس الرابع: التقوى من الله وحدة

قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ يدلّ على وجوب التقوى وانحصارها بالنسبة إليه سبحانه وتعالى، المستفاد من تقديم الضمير المنفصل المتقدّم، فانّ التقوى أن

تكون منه تعالى لا أن يكون الاتقاء من غيره؛ لأنّ اللّٰه بيده النفع والضر دون غيره كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾.[١]

الدرس الخامس: المبالغة في حرمة إنكار النبي الأكرم

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ تغليظ وتأكيد في تحذيرهم الكفر وإنكار النبي ﷺ، وهذا التعبير أبلغ من أن يقول: ولا تكفروا به.

الدرس السادس: الحذر من ارتكاب المحرمات

هذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل، فهي تتناول أيضاً مَن فعل فعلهم فمَن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله، أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجراً فقد دخل في مقتضى الآية[٢].

الدرس السابع: توبيخ علماء السوء

هذا الخطاب يتوجّه إلى علماء السوء من هذه الأمّة إذا اختاروا الدنيا على الدين، فتدخل فيه الشهادات والقضايا والفتاوى وغير ذلك.

فقد وردت في علماء السوء تشديدات عظيمة دلّت على أنّهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة. والمراد من علماء السوء الّذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها. عن أبي جعفر عليه السلام **من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار**[٣].

---

(١) النساء: ٧٨

(٢) راجع: تفسير القرطبي للآية.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٤٧

الدرس الثامن: تحريف علماء اليهود للأحكام

كانت عامة الناس من اليهود يعطون الأحبار وعلمائهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا والرشا على تحريف الكلام وتسهيلهم ما صعب عليهم من الشرائع والحدود(١).

الدرس التاسع: التعريض باليهود لإنكارهم النبي الخاتم

في الآية تعريض لليهود؛ لأنّه كان يجب أن يكون اليهود أوّل من يؤمن به لمعرفتهم به وصفته، ولأنهم كانوا يبشرون الناس بزمانه.

وإنّما عظم أوّل الكفر؛ لأنّهم إذا كانوا أئمّة فيه وقدوة في الضلالة كان كفرهم أعظم، كما روي عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ **من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**(٢).

---

(١) راجع تفسير مقتنيات الدرر للآية، سيد علي الحائري الطهراني.

(٢) الفصول المختارة، الشريف المرتضى، ص١٣٦.

تفسير: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤٢]

المعنى العام

اللغة: (**اللبس**): بالفتح، هو الخلط، لبست عليه الأمر أي خلطت[١].
(**الكتمان**): الإبطان والإسراء، وهو نقيض الإعلان[٢].

المعنى: خاطب سبحانه قوماً من اليهود أن لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الّذي تفترونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما، وتكتمون نعت صلى الله عليه وآله بإنكار وجوده في التوراة، أو محوه منها وأنتم عالمون بأنّكم لابسون كاتمون.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: كيف كانوا يلبسون الحق بالباطل وهم كفّار، كما تشير الآية لذلك بقوله: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾؟ وأي حقّ كانوا عليه مع كفرهم بالله؟

الجواب الأوّل: أن يقرّوا بمحمد صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام من وجه، ويجحدونهما من وجه آخر، حيث قالوا: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله نبي وعلي عليه السلام وصي، لكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنّة[٣].

الجواب الثاني: إنّهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، فخلطوا الحق

---

(١) الصحاح، الجوهري، ج٣ ص٩٧٣.
(٢) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٥٠٥.
(٣) راجع: التفسير المنسوب للإمام العسكري للآية.

بالباطل؛ لأنّهم جحدوا وصف النبي صلى الله عليه وآله فذلك باطل، واقرّوا بغيره ممّا في الكتاب على ما هو به وذلك حقّ. أو ألبسوا الأعمال الإلهية بالأغراض النفسية. أو الحق التوراة التي أنزلها اللّه على موسى عليه السلام والباطل ما كتبوه بأيديهم.

الجواب الثالث: انّه كان فيهم منافقون منهم يظهرون التصديق بمحمّد صلى الله عليه وآله ويستبطنون الكفر به، فكان لبس المنافق منهم الحق بالباطل إظهار الحق بلسانه، بمحمّد وبما جاء به جهاراً وخلط ذلك الظاهر من الحق بالباطل الّذي يستبطنه[1].

السؤال الثاني: من هم المخاطبون بالآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ...الخ﴾؟

الجواب الأوّل: هم رؤساء أهل الكتاب وعلمائهم والدليل: وصفهم بأنّهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم.

الجواب الثاني: متوجّه إلى المنافقين من اليهود وكان خلطهم الحق بالباطل ما أظهروا بلسانهم من الإقرار بالنبي صلى الله عليه وآله بما يستبطنونه بالكفر.

السؤال الثالث: ما هو الفرق بين اللبس وبين الإخفاء؟

الجواب: الإخفاء يمكن أن يدرك معه المعنى. بخلاف اللبس لا يمكن معه إدراك المعنى[2].

السؤال الرابع: ما هو محل (الباء) في لفظ (الباطل) هنا في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾؟

الجواب الأوّل: للصلة: مثل قولك: لبست الشيء بالشيء، أي خلطه به،

---

(١) راجع: تفسير جامع البيان للآية، الطبري.

(٢) راجع: تفسير مجمع البيان للآية، الطبرسي.

فيكون المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق بالباطل.

الجواب الثاني: يجوز أن تكون (باء) الاستعانة كما في قولك (كتبت بالقلم)، فيكون المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الّذي تكتبونه.

السؤال الخامس: ما هي الفائدة هنا من ذكر قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، مع أنّ لبس الحق بالباطل يستلزم كتمان الحق لا محال؟

الجواب الأوّل: الواو هنا جاءت بمعنى الجمع، أي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمان الحق، كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن، ويمكن أن كلاً منهما يقع لوحده وأن الجمع بينهما أقبح وهم يفعلونهما جميعاً، فهم كانوا يمارسون الاثنين بحسب مقتضى الظروف، فإذا تطلب الأمر بالكتمان أخذوا به وإذا تطلب الأمر بالتلبيس فعلوه.

الجواب الثاني: قد أفرده اللّه تعالى بالذكر اهتماماً به، وتنبيهاً لكلّ واحد من المتلازمين بالذكر.

الجواب الثالث: أن يكون النهي من اللّه سبحانه هنا إخباراً لهم، عن أن يلبسوا الحق بالباطل، ويكون قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ خبراً منه عنهم بكتمانهم الحق الّذي يعلمونه، أي هذا التلبيس يؤدي إلى كتمان الحق والحقيقة. فقوله: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ إخباراً عن مؤدى عملية التلبيس.

السؤال السادس: لماذا توجه الخطاب إلى أهل الكتاب، ولم يتوجّه إلى الأمة في أن يُطلب منها أن تعرف وجه الحق وخلوصه من الباطل من خلال قرائتها للتوراة والتدبر فيها؟

الجواب الأوّل: الظاهر أنّ الناس كانوا لا يملكون سبيلاً إلى الاطلاع على

التوراة ليطلعوا على ما فيها؛ لأنّهم كانوا يحتكرونها ويخفونها عن الناس ولا يظهرون لهم إلا ما يريدون إظهاره.

الجواب الثاني: إنّها لم تكن معربة حتى يعرف الناس لغتها لو قدروا على الحصول عليها فكانت طريقة المعرفة الوحيدة هي طريقة الأخذ من علماء أهل الكتاب، فانحصر هنا التشهير بهم وبفعلهم.

السؤال السابع: **ما هو الفرق بين حالة كتمان الحق وحالة تلبيس الحق بالباطل؟**

الجواب الأوّل: إنّ هناك قضايا لا يستطيعون اللعب عليها لعدم قابليتها لذلك في مدلولها الفكري والعملي فكانوا يلجئون إلى كتمانها عن الناس لئلا يعرف الناس وجه الحق فيرتبطوا به، وهناك قضايا لا تخلوا من الغموض والخفاء في تفاصيلها الدقيقة فكانوا يلجئون إلى خلطها بالباطل من عند أنفسهم ليلبسوا على الناس دينهم.

الجواب الثاني: إنّ النصوص الواردة في التوراة والإنجيل في شأن النبيﷺ، بعضها يمكن إخفاء دلالتها إذ فيها نوع خفاء فكانوا يكتمونها ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، وبعضها في الجلاء والظهور، بحيث لا يخفى على العقول السليمة وجه دلالتها، فكانوا يشوشون وجه الدلالة على المتأملين الناظرين بسبب إبداء الشبهات والمجادلات. وهو المراد من قوله: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.

السؤال الثامن: **كيف يجوز أن يكون هؤلاء عارفين بنبوّة محمّد ’ وذلك مبني على معرفة اللّه، وعندكم أن من عرف اللّه لا يجوز أن يكفر وهؤلاء صاروا كفّارا وماتوا على كفرهم؟**

الجواب: لا يمنع أن يكونوا عرفوا اللّه على وجه لا يستحقون به الثواب؛ لأنّ الثواب إنّما يُستحق بأن ينظروا من الوجه الّذي يستحق به الثواب فإذا نظروا على غير

ذلك الوجه لا يستحقون الثواب، فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين باللّه وبصفات النبيﷺ وإن لم يستحقوا الثواب. أو قل: استحقاقهم الثواب على إيمانهم مشروط بالموافاة فإذا لم يوافوا بالإيمان لم يستحقوا الثواب، فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين وإن لم يكونوا مستحقين للثواب.

السؤال التاسع: ما هو المراد من علمهم هنا في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب: يعلمون بصفة النبي ﷺ وانّه الحق من عند اللّه. أو يعلمون البعث والجزاء. أو وأنتم تعلمون ما نزل ببني إسرائيل من المسخ وغيره حين عصوا.

السؤال العاشر: ما هو الفرق بين الحق الأوّل والحق الثاني المذكوران في الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: لا يوجد فرق بينهما الحق الثاني نفس الأوّل وإنّما أُعيد لغرض إمّا للإخبار أو غيره.

الجواب الثاني: الحق الثاني هو غير الأوّل، حيث أنّ المراد من الأوّل هو الحق الظاهر، أي لا تلبسوا الحق الظاهر بالباطل ليشتبه على من ظهر الحق عليه. وأمّا الحق الثاني هو غير الظاهر. أي لا تكتمون الحق الغير الظاهر ليختفي على النّاس[1].

السؤال الحادي عشر: قيد سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ألا يدل على جوازهما (التلبيس والكتمان) حال عدم العلم، كما يُستشف من مفهوم الآية؟

الجواب: كلا: وإنّما يشير بالقيد إلى أنّ الإقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضاراً أفحش من الإقدام على الفعل عند الجهل بكونه ضاراً، فلمّا كانوا عالمين بما في التلبيس والكتمان من المفاسد كان إقدامهم عليه أقبح. أو إنّ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ

---

(1) راجع تفسير بيان السعادة للآية، سلطان علي شاه.

تَعْلَمُونَ﴾ جملة حالية بمعنى إنّكم تفعلون ذلك وأنتم عالمون بتحريفكم وانحرافكم المخطئ عن عمد غير المخطئ عن جهل.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: وجوب إظهار العلم لمستحقيه

الآية دالّة على أنّ العالِم بالحق يجب عليه إظهاره، ويحرم عليه كتمانه، فانّ هذا الخطاب وإن ورد في علماء اليهود فهو تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله، فصار الخطاب وإن كان خاصاً بالصورة فهو عام بالمعنى.

الدرس الثاني: تحذير الفقهاء من تلبيس الحق بالباطل

إنّ أكثر من يوجد فيه تلبيس الحق بالباطل وكتمانه من العلماء هم الفقهاء الّذين غلب على أنفسهم الأهواء بحب الجاه والتقرب من الملوك والسلاطين وطلب المال. قال النبيﷺ: يحشر يوم القيامة أُناس من أُمتي من قبورهم إلى اللّه على صور القردة والخنازير وذلك بما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون[1].

الدرس الثالث: الحق هو تعاليم الدين

الحق هو الإيمان والعقائد الدينية والفروع الشرعية المأخوذة من طريق الظاهر بالتعلم والتعليم أو من طريق الباطن بالإلهام والوجدان. وهذه الآية المباركة تشير إلى أهم العهود الإلهية وأصولها على عباده ولا اختصاص لها بطائفة دون أُخرى وان كانت تختص ببعض الأحكام.

---

(1) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج١ ص١٥٩.

الدرس الرابع: من أساليب الكفار الخدعة والكتمان

اليهود يبتغون في مواجهة الإسلام أسلوبين. **الأوّل**: أسلوب الخدعة والتمويه وذلك بتلبيس الحق بالباطل وإثارة الشبهات وقد مارسه اليهود في الماضي ولا يزال يمارسونه في الحاضر بأساليبهم المتنوّعة. **والثاني**: أسلوب كتمان الحقيقة وإخفائها، فقد كانوا يملكون الكثير من المعلومات والأدلّة الّتي تؤكد صدق رسول اللَّه صلى الله عليه وآله في رسالته لكنّهم يخفونها عن الناس؛ لأنّهم لا يريدون للإسلام أن يأخذ مكانه الطبيعي.

الدرس الخامس: حرمة الغش

يمكن الاستدلال على حرمة الغش بالآية المباركة، حيث أنّ في الغش تلبيس للواقع وكتمان للحقيقة، فيكون منهيّاً عنه وحراماً.

تفسير: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [٤٣]

المعنى العام

اللغة: (الصلاة): الدعاء، ومن الله تعالى الرحمة[١]. **(الزكاة)**: النماء، زكى الزرع أي نما[٢]. **(الركوع)**: الانحناء[٣].

المعنى: الخطاب موجّه إلى أهل الكتاب، يكلفهم بالفروع العملية بعد ما كلفهم بالأصول العلمية من أحكام الشريعة الإسلاميّة.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هو المراد من الصلاة المذكورة هنا في الآية الكريمة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾؟

الجواب: هي الصلوات المفروضة الّتي جاء بها النبي محمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه. أو الصلاة على محمّد وآله.

السؤال الثاني: كيف أُمروا بالصلاة والزكاة، كما هو في الآية: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وهم لا يعرفون حقيقة ما في الشريعة؟

---

(١) الصحاح، الجوهري، ج٦ ص٢٤٠٣.

(٢) الصحاح، الجوهري، ج٦ ص٢٣٦٨.

(٣) الصحاح، الجوهري، ج٣ ص١٢٢٢.

الجواب الأوّل: إنّما أُمروا بذلك لأنّهم أُحيلوا فيه على بيـان الرسـول ﷺ إذ قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] فجاز أن يأمرهم بالصلاة والزكاة على طريقة الإجمال ويحيلهم في التفصيل إلـى بيان الرسول ﷺ.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون راجعاً إلى صلاة معهودة وزكـاة معلومـة هـم يعرفونها، فيكون معلوماً عند حال المخاطبين.

السؤال الثالث: هل المنظور بإقامة هذه العبادات إقامتها على ما كانوا يسلكونه مـع طبق طريقتهم، أو أنهم أُمروا بها طبق القرآن وما جاء به محمّد؟

الجواب: إنّ المنظور طبق القـرآن ومـا جـاء بـه محمّـد ﷺ؛ لأنّ اللّـه سـبحانه أمرهم بالإيمان بـالقرآن وحـرم عليهم الكفـر فيمـا سبق، فكيـف يـأمرهم مع ذلـك بالصلاة والزكاة على ما كان رائجاً بينهم، مع أنّ كتبهم قد حرّفت.

السؤال الرابع: إنّ قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ يدخل فيها الركوع، فلِـمَ قـال: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ألا يلزم منه التكرار، على القول أن المراد بالركوع هنا جزء من أجزاء الصلاة؟

الجـواب الأوّل: يمكـن أن تكـون فيـه فائـدة، هـي أن يقـال: أن قولـه تعـالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ إنّما يفيـد وجـوب إقامـة الصـلاة مطلقـاً، فيحتمـل أن يكـون إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها، ويمكن أن يكون إشارة إلى الصـلاة الشـرعية، فلمّا قال تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (يعني مع هـؤلاء المسـلمين الـراكعين) تخصصت بالصلاة من الشرع المحمدي ولا يكون تكراراً، بل يكون بياناً.

---

(1) الحشر: ٧

الجواب الثاني: للتأكيد. ويدلّ على أنّ الركوع ركن من أركان الصلاة لا تصح من دونه، فهذا إنّما ذكر للتفخيم والتعظيم لشأن الركوع كقوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾[1] فإنّ جبريل وميكال من جنس الملائكة، لكن ذكرهما لتعظيم شئنهما.

الجواب الثالث: قوله تعالى: ﴿**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ حثّ على صلاة الجماعة؛ لتقدم ذكر الصلاة المنفردة في أوائل هذه السورة.

السؤال الخامس: مَن هم الراكعون الّذين أمر سبحانه أن يركع معهم هنا في قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؟

الجواب: النبيصلى الله عليه وآله وعليعليه السلام، حيث أنّهما أوّل من صلّيا وركعا. عن عبد اللّه بن عباس عن مجاهد انّه قال: أوّل من ركع مع النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالبعليه السلام فنزلت هذه الآية.[2] أو هم المسلمون.

السؤال السادس: ما هو المقصود من الركوع المشار إليه في الآية المباركة: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؟

الجواب الأوّل: المراد به الصلاة،؛لأنّه يعبر عن الصلاة بالركوع، يقول القائل: فرغت من ركوعي، أي من صلاتي، فالمراد بالركوع الركعة وقد يكنى بها عن الصلاة.

الجواب الثاني: المراد به هنا التواضع، أي تواضعوا مع المتواضعين لعظمة اللّه عزّ وجل في الانقياد لأولياء اللّه محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين، وبما أمركم به

---

(1) البقرة: ٩٨

(2) الغدير، الأميني، ج٣ ص٢٢٥.

الشارع، وهذا المعنى وارد في لسان العرب قول الشاعر:

لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه[١]

السؤال السابع: لماذا خصّ الركوع بالذكر من أفعال الصلاة دون غيره، كما في قوله هنا: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، فلم يقل واسجد مع الساجدين مثلاً؟

الجواب الأوّل: إنّ المأمورين هم أهل الكتاب ولا ركوع في صلاتهم، فكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك؛ لأنّه أبعد عن اللبس.

الجواب الثاني: لأنّ الركوع أوّل ما يشاهد من الأفعال الّتي يستدلّ بها على أن الإنسان يصلّي، فهو من الأركان المهمّة الّتي تدلّ على هيئة الصلاة بشكل جلي ويعرف به انّه متلبّس بالصلاة.

السؤال الثامن: ما هي الثمرة المترتبة على أداء الزكاة حتى أوجبها الله على العباد، هنا في قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

الجواب: الزكاة من زكا، أي نما. أو طهر إذا أخرجها ينمي المال ويطهر من الخبث، ويثمر كرم النفس ويطهرها من البخل. وقل: فيها إصلاح النفس بإزالة شحمها وإصلاح الغير بقوام معيشته، مع أنّ الزكاة فسرت بالأعم من الأموال إذا وجبت ومن الأبدان إذا لزمت.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص١٣٣.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: دلالتها على وجوب الصلاة

يمكن الاستدلال بالآية على وجوب الصلوات وعلى صلاة الجنائز وصلاة العيدين وعلى وجوب الصلاة على النبي وآله في التشهد؛ لأنّه عام في جميع ذلك.

الدرس الثاني: الالتزام بالوظائف العبودية والاجتماعية

بعد أن أمرهم اللَّه تعالى بالإيمان أمرهم بأهم وظائف العبودية وهي الصلاة على ما قررتها الشريعة، ثمّ أمرهم بأهم الوظائف الاجتماعية وهي الزكاة بما قررتها الشريعة من بذل المال والسعي في الحوائج، بل زكاة الجاه.

الدرس الثالث: الحث على حضور صلاة الجماعة

في الآية حثّ على حضور صلاة الجماعة، فإنّ الصلاة كالغزو، والمحراب كمحل الحرب ولابد للقتال مع العدو من صفوف الجماعة، والجماعة قوّة، قال النبي صلى الله عليه وآله: **ما اجتمع من المسلمين في جماعة أربعون رجلاً إلا وفيهم رجل مغفور له فاللَّه تعالى أكرم من أن يغفر له ويرد الباقي خائبين**[1].

الدرس الرابع: الحث على التوجه التام في الصلاة

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إشارة إلى إقامة الصلاة كاملة وعدم الاكتفاء بالأذكار والأوراد، وأهم أركان كمال الصلاة حضور القلب والفكر لدى اللَّه سبحانه.

---

(١) تفسير مقتنيات الدرر للآية، سيد علي الحائري الطهراني.

الدرس الخامس: ارتباط الإنسان بالخالق والمخلوق

الآية تتضمن في الحقيقة: أولاً: بيان ارتباط الفرد بخالقه، كما يشير له قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ ثمّ ارتباطه بالمخلوق كما يشير له بقوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وبعد ذلك ارتباط المجموعة البشرية مع بعضها على طريق اللَّه.

الدرس السادس: الحث على تعليم الصلاة للغير

يمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ ليس بمعنى الإتيان بها، بل الإقامة هي التصدي بأن يأمر الآخرين بها إمّا جبراً أو نصيحة ووعظاً[1].

---

(1) راجع: تفسير سيد مصطفى للآية.

تفسير: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [٤٤]

المعنى العام

اللغة: (البر): سعة الخير والمعروف، أو كل خير[١]. (النسيان): خلاف الذكر، وهو ترك الشيء على ذهول وغفلة[٢]. (العقل): أصله الحجز والحبس؛ لأنّه يحبسه عن فعل ما يقبح[٣].

المعنى: الآية بصدد توبيخ علماء السوء، بقوله: لِمَ تأمرون الناس بالأعمال الحسنة وانتم لا تعملون بها، والحال أنتم تقرؤون كتاب اللّه فاللازم أن تكونوا أوّل العاملين به، أفلا تعلمون أن ما تأتون به قبيح.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: من هم المخاطبون هنا في الآية الكريمة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ...الخ﴾؟

الجواب الأوّل: علماء اليهود وأحبار المدينة، كما يتبين من الآيات السابقة والتالية، ولا تشمل السواد من الناس؛ لأنّ هؤلاء تابعون والعلماء متبوعون وهم الّذين يكتمون الحق على معرفة منه.

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ج١ ص٢٧٧.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج٤ ص٣٠٨.
(٣) الصحاح، الجوهري، ج٥ ص١٧٦٩.

الجواب الثاني: نزلت في الخطيب ولقصاص ويؤيّده: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله انّه قال: **رأيت ليلة أُسري بي إلى السماء قوما تقرض شفاهم بمقاريض من نار ثم ترمى فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال هؤلاء خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب**[1]. وأيضا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**وعلى كلّ منبر منهم خطيب مصقع يكذب على اللّه ورسوله وعلى كتابه**»[2]. أمّا ما ورد في أنها تخاطب علماء بني إسرائيل فهي من باب التطبيق لا من باب التخصيص.

السؤال الثاني: **ما هو المعنى المراد من قوله تعالى**: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾؟ أو قل: **كيف كانوا يأمرون الناس بالبر؟**

الجواب الأوّل: كانوا يأمرون الناس بطاعة النبي صلى الله عليه وآله ويخالفون ذلك، حيث أنّ علماء اليهود كانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين أثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون هم. أو: كانوا يأمرون العرب بالإيمان بمحمّد صلى الله عليه وآله إذا بعث فلمّا بعث كفروا به. أو: كانوا يأمرون الناس سرّاً من صحبوه بأتباع محمّد صلى الله عليه وآله ولا يتبعونه.

الجواب الثاني: المراد التمسك بكتابهم، حيث كانوا يأمرون أتباعهم ويتركون هم التمسك به؛ لأنّ جحدهم النبي صلى الله عليه وآله هو تركهم التمسك بكتابهم.

السؤال الثالث: **ما هو المعنى المقصود من (البر) المشار إليه في الآية**: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾؟

الجواب الأوّل: المراد به: الصدق من قولهم صدق، وبر. ومعناه إنّهم يأمرون

---

(1) فقه الصادق عليه السلام، السيد محمد صادق الروحاني، ج١٣ ص٢٦٨

(2) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٩ ص٢٢٣

بالصدق ولا يصدّقون.

الجواب الثاني: المراد منه: الصدقة. والمعنى أتأمرون النّاس بالصدقة وتتركونها أنتم، حيث انّه تعالى وصفهم بقسوة القلب وأكل الربا والسحت، فكانوا يعيشون بالصدقة.

الجواب الثالث: البر: هو كلّ طاعة للّه فلا خلاف أنّها تسمى براً، فكانوا يأمرون الناس بطاعة اللّه وهم لا يفعلون.

السؤال الرابع: ما هو الفرق بين البر وبين الخير؟

الجواب: إنّ البر يدلّ على القصد، والخير: قد يقع على وجه السهو والنسيان.

السؤال الخامس: ما هو المراد من معنى (النسيان) هنا في قوله تعالى: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾؟

الجواب: المراد منه الترك: أي تتركونها نحو قوله تعالى: ﴿نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[1] أي تركوا ذكر اللّه فخذلهم، وليس المراد به ما يضاد الذكر؛ لأنّ ذلك من فعل اللّه لا ينهاهم عنه.

السؤال السادس: ما هو الفرق بين النسيان وبين السهو؟

الجواب: السهو: يكون ابتداءً ويكون بعد الذكر أيضا. أما النسيان لا يكون إلا بعد الذكر، فيكون النسيان أخصّ من السهو.

السؤال السابع: ما هو الفرق بين التلاوة والقراءة؟

الجواب: أصل القراءة جمع الحروف، وأصل التلاوة: إتباع الحروف.

---

(1) التوبة: ٦٧

والتلاوة ما به صوت يتبع فيه بعض الحروف بعضاً[١].

السؤال الثامن: ما هو المقصود بالكتاب المشار إليه في الآية الكريمة: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾؟

الجواب الأوّل: هو التوراة، حيث كانوا يأمرون العرب بإتّباع الكتاب الّذي في أيديهم، فلمّا جاءهم كتاب مثله لم يتّبعوه.

الجواب الثاني: المراد بالكتاب، مطلق الكتب السماوية بما فيها التوراة والإنجيل. أو المراد وانتم تتلون كتاب النبوّة وأحكام الشريعة دون الناس فانتم عالمون بالمعروف دونهم.

السؤال التاسع: إذا كان فعل البر واجباً والأمر به واجباً فلماذا وبّخهم اللّه تعالى على الأمر بالبر؟

الجواب: لم يوبّخهم اللّه على الأمر بالبر وإنّما وبّخهم على ترك فعل البر المضموم إلى الأمر بالبر؛ لأنّ ترك البر ممّن يأمر به أقبح من تركه ممّن لا يأمر به، كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم[٢]

فالتوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر.

السؤال العاشر: ما هو المعنى المراد من قوله في الآية: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾؟

الجواب الأوّل: معناه ألا تعلمون أنّ اللّه يعذّبكم ويعاقبكم على ذلك. أو أفلا تعلمون أنّ في التوراة حقّ فلم لا تصدّقون محمّد صلى الله عليه وآله ولا تتّبعونه.

---

(١) راجع: تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٤ ص٤١٤.

الجواب الثاني: توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون بقبح ما تقدمون عليه فيصدكم استقباحه عن ارتكابه فكأنّكم قد سُلبت عقولكم.

السؤال الحادي عشر: ما هو تعريف العقل؟

الجواب الأوّل: هو مجموع علوم لأجلها يمتنع الحي من كثير من المقبحات ويفعل الكثير من الموجبات، أو هو معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة[1].

الجواب الثاني: هو العلم الأوّل الّذي يزجر عن قبيح الفعل، وكلّ ما كان زاجره أقوى كان عقله أقوى، أو هو قوّة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب.

السؤال الثاني عشر: إذا كان العقل مختلفاً فيه فكيف يكون أن يستشهد به؟

الجواب: الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه، ألا ترى أنّ الاختلاف في ماهية العقل لا توجب الاختلاف في انّ العشرة أكثر من واحد، والكل أعظم من الجزء وغير ذلك من قضايا العقول.

السؤال الثالث عشر: هل يجوز للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أو يشترط فيه العدالة، كما هو الظاهر من الآية المباركة؟

الجواب الأوّل: يشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر العدالة وعدم ارتكاب المعصية.والدليل: أولاً: الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾[2] وقوله تعالى في هذه

---

(1) راجع تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.

(2) الصف: ٢-٣

الآية: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم).

وثانياً: ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) **من لم ينسلخ من هواجسه ولم يتخلّص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف اللّه وأمان عصمته لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنّه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلّ ما أظهره يكون حجة عليه ولا ينتفع الناس به.**[1] فالقرآن والروايات تشترط في الواعظ العدالة والعمل بما يأمر.

الجواب الثاني: إنّ المكلّف كما هو مأمور بفعل المعروف مأمور بالأمر به للغير،وكما هو مأمور بترك المعصية مأمور بمنع الغير عن فعلها مطلقاً، فانّ هذا التوبيخ والإنكار في قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾ ليس على امر الناس بالبر، بل بترك العمل به، فمداد الإنكار، جملة ﴿**وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾ دون ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ**﴾، فلا يستقيم قول من لا يجوز الأمر بالمعروف لمن لا يعمل به لهذه الآية أو غيرها، بل يجب العمل به والأمر به، وهذا لأنّه إذا أمر به مع انّه لا يعمل فقد ترك واجباً، وإذا لم يأمر به فقد ترك واجبين وأن الإخلال بأحد المأمورين لا يوجب الإخلال بالآخر.

بعبارة أخرى: إنّ هذه الآية تتضمّن حثّ الواعظ على تكميل نفسه وتقويمها حتّى يقوم غيره لا تريد منع الفاسق عن الوعظ لعدم اشتراطه بالعدالة فلا يوجب الإخلال بها تركه.

السؤال الرابع عشر: ما هو معنى (الهمزة) هنا في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾؟

الجواب: للاستفهام: ومعناه التوبيخ، وبّخهم اللّه تعالى على ما كانوا يفعلونه

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٩ ص٢٢٣

من أمر الناس بالإيمان وترك أنفسهم عن ذلك.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الآمر بالفعل أولى بتطبيقه

روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى ابن شهاب عن أبيه أنّه سمع رسول اللّهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاثة ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة[1]. فكيف تقبل العقول أنّ النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول ما لا يفعل، وقد تضمن كتاب اللّه تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾.

الدرس الثاني: التحذير من الازدواجية

وإن كان هذا السؤال الاستنكاري في الآية موجّه إلى بني إسرائيل كما يتبين من السياق، لكن أن له مفهوم واسع يشمل الآخرين أيضاً سواء كانوا مسلمين أو عيرهم، فالكل مخاطبين بترجمة أقوالهم أفعالا.

ويتأكد هذا في منهج الدعاة إلى اللّه لابد وأن يقوم على أساس العمل أولاً ثمّ القول، فالداعية إلى اللّه يبلغ بعمله قبل قوله، كما جاء في الحديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عَلَيْهِالسَّلَامُ: **كونوا دعاة الناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاة بألسنتكم**[2].

الدرس الثالث: الحث على تهذيب نفوس الوعاظ

في الآية حثّاً للواعظ على تكميل نفسه قبل أن يطلب كمالها في غيره، فهذه

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج٥ ص٧٠.

(2) قرب الإسناد، الحميري القمي، ص٧٧.

الآية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وعدم تأثيره؛ لأنّه قلّما نفعت موعظة من لم يعظ نفسه، ومن نهى غيره فليكن أشدّ الناس انتهاءً عنه. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام «... **ويقال للناسي نفسه، أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك**»[١]. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه[٢].

الدرس الرابع: تحذير الدعاة من التكبر

إنّ الواعظ سواء كان عاملاً أو غير عامل لابدّ منه أن يلاحظ هذه النكتة الدقيقة، وهي أن يثبت للمستمعين جهلاً ولنفسه فضلاً عليهم وهو محض كبر وعجب وحيل النفس وهذا الأمر يهلكه.

الدرس الخامس: لزوم إنفاق العلم

روي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله انّه قال أنّ في النار رجلاً يتأذى أهل النار بريحه، فقيل من هو يا رسول اللّه؟ فقال: عالم لا ينتفع بعلمه[٣].

الدرس السادس: أنواع البر ثلاثة

البر ثلاثة: بر عبادة اللّه في امتثال الواجبات واجتناب المحرمات، وبر مراعاة الأقارب في صلتهم وإعانتهم وقضاء حوائجهم، وبر في معاملة الأجانب باللطف والإحسان.

---

(١) مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق، ص١٨.
(٢) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج ٩ ص ٣٠٥
(٣) ميزان الحكمة، ري شهري، ج٣ ص٢٠٩٩

الدرس السابع: قدرة الله على فعل القبيح

لا يوصف سبحانه وتعالى بأنّه عاقل؛ لأنّه لا يحبسه شيء عن فعل القبيح، وعلمه بوجوه الحكمة المصلحة المقتضية لفعل الخير علماً ذاتياً(١).

الدرس الثامن: العقل ما عبد به الرحمن

عن أبي عبد اللّه عليه السلام سئل ما العقل؟ قال ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال قلت فالّذي كان في معاوية؟ فقال تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهه بالعقل وليست العقل(٢).

الدرس التاسع: توبيخ علماء أهل الكتاب

يلاحظ في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ إنّها ليست مجرّد جملة اعتراضية يراد بها تصوير حالهم أمام الارتباط بالكتاب، بل هي لفتة نقدية للواقع في معرض الإيحاء لهم بالاستغراق فيما يتلونه من آيات اللّه من أجل وعي أعمق وسلوك أفضل، لما في ذلك من التأنيث والتبكيت، حيث يعيشون الغفلة العميقة عن أنفسهم في الموقف الّذي يملكونه في حضور الوحي الّذي يهز الغفلة في أعمال النفس بصرخة الحق ويقظته.

الدرس العاشر: آفة التمييز تعطيل العقول

يلاحظ في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ إنّ الآية تريد أن تثير في أنفسهم الشعور، بانّ المشكلة لديهم ليست مشكلة علم ليصار إلى توجيههم نحو الأخذ بأسباب العلم، بل هي مشكلة تجميد للعقل فيما يوجّه إليه الإنسان ممّا يدخل في

(١) راجع: تفسير صدر المتأهلين للآية.
(٢) الكافي، الكليني، ج١ ص١١.

حساب التمييز العملي بين الحسن والقبح.

الدرس الحادي عشر: اقتران العلم مع العمل

قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ نفى عنهم العقل بلسان التوبيخ والتأنيب وهو كذلك؛ لأنّ من أوّل مرتبة العقل والكمال العقلي هو مطابقة الأقوال للفعل، بل يعد ذلك من الأمور النظامية الاجتماعية، فانّ نظام المجتمع يقوم بالقانون والعمل به وبدونه يكون خرقاً للنظام وإشاعة للفساد.

تفسير: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [٤٥]

المعنى العام

اللغة: (**الاستعانة**): طلب المعونة، يقال: استعنته واستعنت به[١]. (**الصبر**): حبس النفس عند الجزع[٢]. (**الخشوع**): الخضوع، وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في البدن والصوت والبصر[٣].

المعنى: استعينوا على مشقة ما كلفتم به من إتباع الحق ورفض الجاه والمال بـ(الصبر) بكف نفسكم عن هواها (وبالصلاة) فإنّها ترغب فيما عند اللّه وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وإنّها عظيمة وثقيلة إلا على الطائعين الخانقين عقاب اللّه.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: من هم المخاطبون هنا بالآية: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ...الخ﴾؟

الجواب الأوّل: سائر اليهود. يؤيّده أنّ ما قبل الآية وما بعدها خطاب لهم، فإنّ حب الرئاسة وأخذ الأموال يمنعهم عن إتباع النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١ ص٦٣.
(٢) الصحاح، الجوهري، ج٢ ص٧٠٦.
(٣) الصحاح، الجوهري، ج٣ ص١٢٠٤، لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص٧١.

الجواب الثـاني: المخاطبون هم المؤمنون دون أهل الكتاب، إذ لا صلاة لغيرهم ولا صبر يتصور لهم على أمور وعن أمور لم يعرفوا أحكامها عن دين محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

الجواب الثالث: الآية عامّة تشمل بني إسرائيل وغيرهم، فيكون خطاباً لجميع من هو بشرط التكليف؛ لفقد الدلالة على التخصيص واقتضاء العموم.

السؤال الثاني: ما هو المراد من معنى الصبر هنا في الآية: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ﴾؟

الجواب الأوّل: المراد منه الصوم، وله روايات كثيرة منها عن عبد اللّه بن طلحة عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ قال الصبر الصوم.**[1] ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر[2].

الجواب الثاني: هو حبس النفس محابّها وكفها عن هواها، فيكون معناه أعمّ، وذكر الصوم من باب التطبيق لا التخصيص.

السؤال الثالث: ما هو المعنى المقصود من لفظ (الصلاة) هنا في الآية: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾؟

الجواب الأوّل: الدعاء؛ لأنّ في الدعاء خضوع للّه تعالى وتذلل، فإنّ في ذلك معونة على ما تنازع إليه النفس من حب الرئاسة والأنفة من الانقياد إلى الطاعة. ويؤيّده: قوله تعالى: **﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[3].

الجواب الثاني: إنّها الصلاة الشرعيّة ذات الركوع والسجود، ووجه الاستعانة

---

(1) وسائل الشيعة ج١٠ ص٤٠٨

(2) الكافي، الكليني، ج٤ ص٦٦.

(3) الرعد: ٢٨

بها لمكان ما فيها من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع للّه تعالى، كان النبيّ ﷺ إذا أحزنه أمر استعان بالصلاة والصوم.(١)

السؤال الرابع: على ماذا يرجع الضمير (الهاء) هنا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾؟

الجواب الأوّل: عائد على الصلاة؛ لقربها منه؛ ولأنّها الأهم والأفضل؛ ولتأكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون عائد على الاثنين وإن كان اللفظ واحداً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾(٢) فالهاء يعود على الاثنين، وأيضا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾(٣).

الجواب الثالث: عائد على الاستعانة الّتي يدلّ عليها قوله (واستعينوا)، أي أن الاستعانة كبيرة إلا على الخاشع.

الجواب الرابع: عائد إلى جميع الأمور الّتي سبق ذكرها، مما أمر بها بنو إسرائيل ونهو عنها من قوله تعالى: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ... إلى قوله... وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ﴾.

السؤال الخامس: من هم (الخاشعون) الّذين ذكرهم الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾؟

الجواب الأوّل: هو الذليل في صلاته والمقبل عليها يعني به رسول اللّه ﷺ

---

(١) راجع: تفسير التبيان للآية، الشيخ الطوسي.
(٢) التوبة: ٦٢
(٣) التوبة: ٣٤.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما ورد عن ابن شهر آشوب قال فيه (في الإمام علي) نزلت (**قد أفلح المؤمنون * الّذين هم فن صلاتهم خاشعون**)[1].

الجواب الثاني: هم الخائفون والمتواضعون والمقبلون على صلاتهم وذكر النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام من باب ذكر المصداق الأكمل ليس من باب التخصيص، فلا ريب أنّ حال الأئمة بعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخشوع كحاله عليه السلام، وحال النبي صلى الله عليه وآله وكذا الأوّلياء والصالحين، مع اختلاف المراتب.

السؤال السادس: ما هو الوجه في تخصيص الاستعانة أو الصلاة في الخاشع دون غيره، كما هو في الآية؟

الجواب الأوّل: لأنّ الاستعانة لا تتأتّى إلا بإقامة الصلاة على النحو الأكمل، وهذا لا يتحقق إلا مع الخشوع التام الّذي هو مظهر من آثار الصلاة التامّة.

الجواب الثاني: لأنّ الخاشع قد تواطأ ذلك له بالاعتياد والمعرفة بما له فيه، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشق عليه فعله ولا يثقل تناوله. وأنّ المتواضع لا يبالي بزوال الرئاسة إذا حصل الإيمان، فإنّهم إذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل عليهم ذلك، كما أنّ الإنسان يتجرع مرارة الدواء لما يرجوه من نيل الشفاء.

السؤال السابع: ما هو الفرق بين الخشوع وبين الخضوع؟

الجواب: في كليهما معنى الانكسار والتذلل إلا أن الخضوع مختص بالجوارح، والخشوع مختص بالقلب.

السؤال الثامن: ما هو المستعان عنه في الآية؟ أو قل: عن ماذا يستعينون بالصبر والصلاة؟

---

[1] المؤمنون ١-٢. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج١ ص٣٠٢

الجواب: يستعينون لرجوعهم عن دينهم وإلغائهم رؤسائهم. أو يستعينون بالصبر على طاعته واجتناب معصيته.

السؤال التاسع: **هل أنّ الصبر عام يشمل كل المخلوقات أو خاص لفئة معينة من الخلق؟**

الجواب: الصبر من خاصية الإنس والجن، ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة، أمّا في البهائم فلنقصانها، وأمّا الملائكة فلكمالها؛ فالملائكة مخلوقة من عقل بلا شهوة والبهائم مخلوقة من شهوة بلا عقل والإنسان بين شهوة وعقل.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: الصبر طريق للسعادة

من استعان بالصبر في أموره لم يخرجه الغضب عن حق، ولم تدخله الشهوة في باطل، وهانت عليه المصائب، فلم يكن أسيرا للشهوة والغضب ولا جزوعاً عند المصيبة، فكان في الدنيا في راحة عن الأسر والجزع وفي الآخرة في إطلاق عن السلاسل وفي نعمة عظيمة في الجنان.

الدرس الثاني: الأنانية تصد عن الكمال

إنّ الإنسان كلّما ازداد خروجه من أنانيته وشيطنته ازداد انقياده لولي أمره، وكلّما ازدادت جهة انقياده ازداد خشوعه، وكلّما ازداد خشوعه ازداد تلذّذه بصلاته حتّى تصير صلاته قرّة عينيه ويجعل راحته في صلواته، كما روي عن النبي ﷺ إنّه قال: **قرّة عيني في الصلاة**. وكان يقول: ﷺ **أرحنا يا بلال عند وقت الصلاة**.[1]

([1]) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٨٠ ص١٦

الدرس الثالث: الصلاة تزيل الغم

عن الإمام الصادق ﷺ انّه قال ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضّأ ثمّ يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو اللّه فيهما. أما سمعتم قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[1].

كما أنّ الصلاة توجب تهدئة النفس واطمئنان الخاطر، كما في قوله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[2]

الدرس الرابع: في الصبر والصلاة تغلب على الأهواء

القرآن يحثّ على الاستعانة بالصبر والصلاة للتغليب على الأهواء الشخصية والميول النفسية. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ إشارة إلى أنّ كلّ إنسان ما لم يخرج من أنانيته لم يستشعر بعظمة اللّه، فإنّ الأنانية الّتي هي صفة الشيطان والنفس منافية للانقياد الّذي هو صفة الإنسان.

الدرس الخامس: الصبر طريق للسلامة

الصبر دواء مرّ وشربة كريهة يجلب إليك كلّ منفعة ويدفع عنك كلّ مضرّة، فإذا كان هذا الدواء بهذه الصفة فالإنسان العاقل يكره النفس على شربه وتجرعه ويصير على مرارته وحدته. كما يقال: مرارة ساعة راحة سنة.

الدرس السادس: التأكيد على الجوانب العبادية والأخلاقية

نستفيد من الآية التأكيد على الجوانب العباديّة، كالصلاة والصوم، وعلى العناصر النفسية الأخلاقية كالصبر ونحوه في بناء شخصيّة الإنسان المسلم من

---

(1) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٨ ص١٣٩

(2) الرعد: ٢٨

أجل إبعاده عن أجواء الانحراف الفكري والعملي.

الدرس السابع: جواز الاستعانة بغير الله

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ فيه ردّ على الّذين منعوا الاستعانة بغير اللّه، فانّه يستفاد من التشبث بهما بعنوانهما لحل المشاكل والمعضلات لا بمعنى إقامة الصلاة والزكاة والصوم والصبر. فعلى هذا يتبين جواز الاستعانة بهما متشبّثين بتوسّطهما للمسائل الدنيويّة والأخرويّة، وما ذاك إلا لكونهما من الأعمال الحميدة والأفعال الجائزة للتقرب بهما من اللّه، فإذا كان ذلك جائز في مردّهما ففي غيرهما يصح التشبث بالأوّلويّة، كالتمسّك بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والولي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تفسير: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إليه رَاجِعُونَ﴾ [٤٦]

المعنى العام

اللغة:(اللقاء): الاجتماع، الشيء مع الشيء على طريق المقاربة[١] **(الرجوع)**: العود إلى الحال الأوّل[٢].

المعنى: الآية بصدد وصف الخاشعين المذكورين في الآية السابقة بأنّهم يتوقّعون أو يوقنون بثواب ربّهم ونيل ما عنده من الأجر.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: كيف أخبر عمّن وصفه بالخشوع والطاعة ومدحهم بذلك، بأنّهم يظنّون ملاقوا ربّهم، وذلك (الظن بالملاقاة) مناف لصفة المدح؟ أو قل: كيف يمدح من هو ظان بملاقاة ربه ولم يكن على يقين؟

الجواب الأوّل: لأنّهم لا يدرون بماذا يختم لهم، والعاقبة مستورة عنهم، ولا يعلمون ذلك يقيناً؛ لأنّهم لا يؤمنون أن يغيّروا أو يبدّلوا. ويؤيّد ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: **لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقّن الوصول إلى رضوان اللّه حتّى وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له**[٣].

---

(١) الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، ص٥٠٦.

(٢) الصحاح، الجوهري، ج٢ ص٥١٤.

(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، ج١ ص٣١

الجواب الثاني: الظن في القرآن الكريم على وجهين: فمنه ظنّ يقين ومنه ظنّ شك، ففي هذا الموضع الظن يقين، فيكون معنى يظنون، أي يوقنون. كما في قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾.(١) يعني علموا أنهم واقعوها.

الجواب الثالث: يمكن أن يكون استعمال (الظن) في الآية للتأكيد. أي أنّ الإنسان لو ظنّ في الآخرة فقط فظنّه كاف؛ لأن يصده عن ارتكاب أي ذنب، وهو تقريع لعلماء اليهود، وتأكيد على إنّهم لا يمتلكون إيمانا في اليوم الآخر حتّى على مستوى الظنّ، فلو ظنوا بالآخرة أحسوا بالمسؤولية وكفّوا عن هذه التحريفات.

السؤال الثاني: يمكن أن يستدل بقوله تعالى: ﴿مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾ على جواز اللقاء الخارجي المتعارف الموجود بين الأجسام فتدل الآية على جواز رؤية اللّه أو تجسيمه يوم القيامة؟

الجواب: المراد باللقاء هنا البعث وليس الرؤية، واستعماله (اللقاء) أعمّ يقال في الإدراك الحسي وبالبصر وبالبصيرة، فلا يعتبر المماسة الجسمانية في مفهوم اللقاء. كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في صفة المنافقين: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾(٢) ولا خلاف في أنّ المنافق لا يجوز أن يرى ربّه. مع أنّها لو كانت تدلّ فتدلّ على الأعم من الدنيا والآخرة. إضافة إلى أنّه ثبت بالأدلّة والبراهين استحالة رؤيته تعالى على كلّ حال للزوم التجسيم. فتحصل: أنهم راجعون إلى كراماته ونعيم جناته لإيمانهم وخشوعهم، فيكون أنّهم ملاقوا

(١) الكهف: ٥٣

(٢) التوبة: ٧٧

مجازات ربّهم.

السؤال الثالث: ما هو الفرق بين الظن وبين الشك؟

الجواب: الظن أقوى من الشك، وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنّه مع تجويز أن يكون خلافه. مع أنّ الظن قد يقع موقع اليقين كما في هذه الآية على القول به.

السؤال الرابع: ما هو معنى الرجوع هنا مع أنهم ما كانوا قط في الآخرة حتى يعودون إليها؟

الجواب الأوّل: إنّهم راجعون إلى أن لا يملك أحدهم ضرّاً ولا نفعاً غيره تعالى كما كانوا في بدو الخلق.

الجواب الثاني: يمكن أن يكون المراد إنّهم إليه صائرون، كما يقول القائل، رجع الأمر إلى فلان وإن كان قط لم يكن إليه.

الجواب الثالث: عبارة عن وصوله إلى الحضرة الإلهية بعد طي منازله ومقاماته البعيدة والقريبة، فمن ابتدأ حركته الرجوعية إلى وصوله إلى لقاء اللّه تعالى قد قطع جميع القوس العروجية وهي نصف دائرة الوجود من المادة الأرضية إلى الحضرة المقدّسة، وهو بإزاء النصف النزولي منها، وهو من الحضرة المقدّسة الهوية الأوّلى إلى الهاوية السفلى[١].

(١) راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأوّل: حضور القلب يوجب الخشوع

في الآية إشارة إلى أنّ أدنى مراتب الرجحان يوجب الخشوع، فانّ من يظن أنّه يلاقي الملك يبعثه ذلك على التهيئة، فكيف بمن يظنّ انّه يلاقي مالك الملوك.

الدرس الثاني: الحث على ذكر المعاد

في الآية تأكيد على أسلوب الوعظ الّذي يعتمد على التذكير بالآخرة في مجال الحث على العمل، وإرجاع الإنسان إلى اللّه.

الدرس الثالث: الإيمان بلقاء الله يوجب الاستقامة

إنّ الإيمان بلقاء اللّه والرجوع إليه يحيي في قلب الإنسان حالة الخشوع والخشية والإحساس بالمسؤولية، وهذا أحد آثار تربية الإنسان على الإيمان بالمعاد، حيث تجعل (هذه التربية) الفرد مائلاً دوماً أمام مشهد المحكمة الكبرى وتدفعه إلى النهوض بالمسئولية وإلى الحق والعدل.

الدرس الرابع: الله يُدرك بالقلوب

ورد أن ذعلب اليماني (وهو من فضلاء أصحاب الإمام علي عليه السلام) سأل عليّاً عليه السلام هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: فأعبد ما لا أرى؟ (وحين طلب ذعلب مزيداً من التوضيح) فقال كيف تراه؟ فقال الإمام عليه السلام: لا تراه العيون

بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان[1].

الدرس الخامس: الحث على طلب اليقين في ملاقاة الله

في وضع الظن موضع العلم، إشارة إلى أنّ الإنسان لا يتوقّف على زيادة مئونة على العلم، إنّ تنبه بأنّ له ربّاً يمكن أن يلاقيه ويرجع إليه.

---

(1) عوالي اللئالي، أبي جمهور الأحسائي، ج١ ص٤٠٥.

تفسير: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٤٧]

المعنى العام

اللغة: (**الفضل**): الزيادة(١). (**النعمة**): اليد والمنة وما أنعم به عليك(٢).

المعنى: يا بني إسرائيل اشكروا نعمتي الّتي أنعمت بها عليكم بإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام وتفجير الماء وغيرها، واني فضلتكم على عالمي زمانكم بما منحتكم من العلم والإيمان والعمل الصالح، وجعلت منكم أنبياء وملوكاً مقسطين.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: ما هي الحكمة في تكرار الخطاب معهم، وإعادة تذكيرهم بالنعم مرة أخرى، وقد مر ذلك في آية (٤٠) من سورة البقرة؟

الجواب الأوّل: توكيداً للحجة. وتفصيلاً بعد إجمال؛ لأنّه أوقع في النفوس، وتذكيراً لنعمة التفضيل الّذي هو أجل النعم على الخصوص، وتحذيراً من ترك إتّباع محمّد وآله عليهم السلام.

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي، ج٣ ص٤٠٧.

(٢) الصحاح، الجوهري، ج٥ ص٢٠٤١.

بعبارة أُخرى: لما كانت نعم اللّه هي الأصل فيما يجب شكره احتيج إلى تأكيدها، كما يقول القائل: اذهب اذهب عجل عجل.

الجواب الثاني: كرر الخطاب لتنشيط السامع وترغيبه بلذّة المتابعة، فقد روي أنّ لذّة النداء إزالة مشقّة التكليف، فالخصم يتنزّل عن مقام عناده وحسده قهراً ويتأثّر بمخاطبته وتكرير اسمه. فالتكرار هنا ليس مستهجناً، بل له فوائد جلية وتترتب عليه آثار كثيرة.

قريب من هذا الجواب: إنّ التكرار هنا للتركيز والإلفات، فإنّ الإنسان ربّما كان غافلاً حين التذكير الأوّل فيذكر ثانياً وثالثاً، بالإضافة إلى أنّ النفس إذا كررت عليها الموعظة رسخت فيها.

الجواب الثالث: هناك ثمة فرق بين التذكيرين، حيث أنّه في الأوّل ذكرهم سبحانه نعمه على أنفسهم وفي التذكير الثاني ذكرهم نعمه على آبائهم.

السؤال الثاني: التفضيل منطوي تحت النعمة التي ذكرت في صدر الآية بقوله: ﴿أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ فَلِمَ ذكره في ذيلها بقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أليس هذا تكرار للآية؟

الجواب: هذا تفصيل بعد إجمال. فإن التذكير الأوّل ورد مجمل والثاني مفصل، كأنّه قال أذكروا نعمتي الّتي أنعمت عليكم فيما أنتم عليه من المنافع الّتي تتصرفون فيها وتتمتّعون بها وإني فضلتكم على العالمين فإنّها إحدى الخصال الّتي ذكّر بها، فبين لهم نعمة التفضيل من بين تلك النعم التي أجملها، وهذا يدل على عظم شأن هذه النعمة.

السؤال الثالث: كيف صحّ تفضيل بني إسرائيل على العالمين، كما هو الظاهر من هذه

الآية: ﴿... وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ مع أنّ امّة محمّد ﷺ أفضل الأمم؟

الجواب الأوّل: لفظ العالمين عام ومعناه خاص، وإنّما فضلهم على عالمي زمانهم بأشياء خصهم بها. أو يكون المراد من العالمين الجم الغفير من الناس كقوله تعالى: ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[1] أو يقال رأيت عالماً من الناس يراد بها الكثرة لا الكل، مع انّه لو قيل أنّ الدولة الفلانية أقوى الدول في العالم لم يفهم منه إلا الاقوائية من الدول المعاصرة لها، لا كل دولة أتت وتأتي. إضافة إلى أنّ أفضلية امّة محمّد ﷺ ثبتت بالأدلّة النقلية والعقليّة، منها: قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] وروايات لهذا المضمون مستفيضة. مع إجماع الأمة حيث أجمعوا أنّ امّة محمّد ﷺ أفضل من سائر الأمم، كما أنّ محمّد أفضل الأنبياء من ولد آدم عليه السلام، ومع أنّ السير التكاملي في كلّ شيء خصوصاً في البشر تقتضي أفضلية الأمة اللاحقة على السابقة؛ ولأنّ ذلك إنّما يتمّ إذا كان فيهم ملاكه وهو مفقود فيهم سابقاً ولاحقاً لأننا نرى اللّه سبحانه أنّبهم ووبّخهم في أشياء كثيرة، بل ولعنهم وغضب عليهم.

الجواب الثاني: إنّ التفضيل من جملة النعم العامّة عليهم وعلى غيرهم من أفراد نوعهم والّذي جاء من بعد النعم الخاصّة لهم، فيكون إشارة إلى أفضليّة البشريّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[3].

السؤال الرابع: ما هو المعنى المراد من التفضيل هنا في الآية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؟

---

(1) الأنبياء: ١٧
(2) آل عمران:١١٠
(3) الإسراء-٧٠. راجع: تفسير صدر المتألهين للآية.

الجواب: إنّ فعله بأسلافهم فضلهم ديناً ودنيا. أمّا تفضيلهم في الدّين فقبولهم نبوّة محمّد صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ وولاية علي عَلَيْهِالسَّلَامُ وآلهما الطيّبين. وأمّا تفضيلهم في الدّنيا بأن ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المنّ والسلوى وغير ذلك.[1]

السؤال الخامس: نعمة التفضيل هنا لا تشمل المخاطبين من بني إسرائيل، لأنّه خاص بأسلافهم وآبائهم؟

الجواب: نسبة النعم إلى أسلافهم وآبائهم نعمة عليهم منه؛ لأنّ مآثر الآباء الأبناء والنعم عند الآباء نعم عند الأبناء؛ لكون الأبناء من الآباء.

السؤال السادس: هل أن تفضيلهم على أهل زمانهم عام من كل الجهات ولكل الأفراد؟

الجواب: إنّ تفضيلهم على أهل زمانهم من وجه لا يدلّ على أفضليتهم وتفضيلهم على أهل ذاك الزمان من كلّ وجه، ولا على أن كلّ فرد منهم أفضل من كلّ فرد من غيرهم، بل أنّ تضخم الأنبياء فيهم ومنهم حجّة عليهم لا لهم؛ لأنّه يدلّ على أنّهم كانوا لشدّة ضلالهم في أمسّ الحاجة إلى كثرة التحذير والإنذار.

تنويه: نذكّر هنا أن بعض الأسئلة والدروس قد مر ذكرها في آية (٤٠) البقرة، فراجع.

---

(١) راجع: التفسير المنسوب للإمام العسكري عَلَيْهِالسَّلَامُ

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: المبالغة في توبيخ اليهود

تكرار الآية لمزيد التأكيد حتّى يترتّب عليهم اللوم أكثر بكفرهم لنعمه، وعدم قيامهم بواجب أوامره ونواهيه.

الدرس الثاني: التذكير بالنعم يشمل الجميع

الآية عامّة وعلى نحو القضيّة الحقيقيّة، فإنّ المورد لا يوجب تخصيص الحكم العام، فانّ القرآن نزل على طريقة إيّاك أعني واسمعي يا جارة كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[(١)]. فالتذكير يشمل الأمة الإسلامية أيضا.

الدرس الثالث: التكرار وسيلة للإقناع

نلاحظ الساسة والتجار وأصحاب الشركات اهتموا في عملية التكرار وجعلوه من إحدى الوسائل للترغيب والإقناع وترويج السلع والآراء، ومن أجل هذا تفننوا في الإعلانات وتخصّصوا بها ورصدوا معها مبالغ. قال غوستاف لوبون: من يكرر لفظاً أو صيغة تكراراً متتابعاً يحوله إلى معتقد[(٢)].

الدرس الرابع: التعريض باليهود

قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكّرهم سبحانه بهذه النعمة بالخصوص؛ لينبههم على أنّهم أولى بالإيمان بالإسلام من غيرهم.

---

(١) راجع: تفسير مواهب الرحمن للآية، السيد السبزواري.

(٢) راجع تفسير الكاشف للآية، الشيخ محمد جواد مغنية.

تفسير: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [٤٨]

المعنى العام

اللغة: (التقوى): من الاتقاء: وهو الحجز بين الشيئين. اتقاه بالترس جعله حاجزاً بينهما[١]. **(المجازاة)**: المكافأة والقضاء، جزى عني هذا الأمر أي قضى[٢]. **(الشفاعة)**: من الشفع: وهو الزوج من العدد، تقول كان وتراً فشفعته، والشفاعة الطلب والدعاء[٣]. **(العدل)**: الفدية [٤]. **(النصرة)**: المعونة والاستنصار[٥].

المعنى: أن احذروا واخشوا يوماً لا مفرّ فيه من عذاب الله، ولا يُغني أحد عن أحد، ولا يقبل منها شفاعة ولا فدية، ولا يوجد أعوان يدفعون عنكم الضرر.

أسئلة وأجوبة

السؤال الأوّل: من هم المعنيون بالخطاب هنا في الآية المباركة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً...الخ﴾؟

الجواب الأوّل: المخاطبون بذلك اليهود؛ لأنّهم زعموا أنّهم أبناء الأنبياء، أو

---

(١) خزانة الأدب، البغدادي، ج١٠ ص١٤٠، ج٥ ص١٨٥.
(٢) الصحاح، الجوهري، ج٦ ص٢٣٠٢.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص١٨٣.
(٤) الصحاح، الجوهري، ج٥ ص١٧٦١.
(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٢ ص١٤٣.

آبائهم الأنبياء تشفع لهم. أو مطلق الكفّار.

الجواب الثاني: وإن كانت في بني إسرائيل فهي بحسب المعنى تعم المكلّفين كلّهم؛ لأنّ الأوصاف المذكورة فيها هي الّتي يوصف بها اليوم، فيعم كلّ من يحضر في ذلك اليوم.

السؤال الثاني: ما هو المراد من خصوص (اليوم) المذكور في الآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾؟

الجواب الأوّل: يوم الموت ونزع الروح، فانّ الشفاعة والفداء لا يغني عنه، فيكون المعنى (**لا تجزي نفس عن نفس شيئاً**) لا تدفع عنها عذاباً تستحقّه، (**ولا يقبل منها شفاعة**) بتأخير الموت (**ولا يؤخذ منها عدل**) فداء بأن يُمات الفداء وتترك هي (**ولا هم ينصرون**) في دفع الموت والعذاب. والدليل: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **وهذا يوم الموت فانّ الشفاعة والفداء لا تغني فيه فأمّا يوم القيامة فأنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء ليكوننّ على الأعراف بين الجنّة... الخ الحديث**[1].

الجواب الثاني: المراد باليوم هنا يوم القيامة، حيث فيه تتقطع الأسباب وتسد الأبواب ولا ينفع فيه ما كان ينفعهم في عالم الدنيا من مال وجاه وغيره.

السؤال الثالث: كيف صح إسناد الاتقاء إلى (اليوم) هنا، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾، مع أنّه (اليوم) أمر اعتباري؟

الجواب: من باب ذكر المحل وإرادة الحال، فالمراد اتقوا واحذروا ما يقع في ذلك اليوم، فهو من المجاز العقلي والعلاقة الزمان؛ لأنّ الجزاء يقع في زمان ذلك اليوم.

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي، ج٨ ص٤٤

السؤال الرابع: ما هي الشفاعة؟ وما هي آثارها؟

الجواب: هي القريحة المكتسبة من الاجتماع والتعاون. وهي من الشفع مقابل الوتر. كأن الشفيع ينظم إلى الوسيلة الناقصة الّتي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعدما كان فرداً، فيقوى على نيل ما يريده لو لم يكن يناله لنقص وسيلته وضعفها وقصورها. وهي من الأمور الّتي تستعملها لإنجاح المقاصد، ونستعين بها على حوائج الحياة، وهي عندنا مختصّة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقّيه من مذنبين المؤمنين.

السؤال الخامس: كيف جاز نفي الشفاعة مطلقاً، كما يفهم من الآية، حيث جاءت نكرة في سياق النفي في قوله: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾، فيعم جميع أقسام الشفاعة، بينما هي ثابتة للنبي ' وغيره من الأنبياء والأوصياء والصالحين بما أفادته الآيات الكريمة والنصوص الكثيرة؟

الجواب الأوّل: آيات كثيرة تثبت الشفاعة بلا ريب، غير أنّ بعضها تثبتها بنحو الأصالة للّٰه وحدة من غير شريك، وبعضها تثبتها لغيره بإذنه وارتضائه. ومن هنا يظهر أنّ الآيات النافية للشفاعة إن كانت ناظرة إلى يوم القيامة فإنّما تنفيها عن غيره تعالى بمعنى الاستقلال في الملك، والآيات المثبتة تثبتها للّٰه سبحانه بنحو الأصالة ولغيره تعالى بإذنه وتمليكه. فالآية لا تنفي مطلق الشفاعة، بل تنفي الشفاعة بغير إذن اللّٰه وارتضائه.

الجواب الثاني: المراد بنفي الشفاعة هنا في يوم النزع والموت، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **هذا يوم الموت فإنّ الشفاعة والفداء لا يغني فيه فأمّا**

يوم القيامة فانّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء[١].

الجواب الثالث: نفي الشفاعة في هذه الآية يختصّ باليهود من بني إسرائيل؛ لأنّهم ادعوا أنّهم أبناء اللّه وأحبّاؤه وأولاد أنبيائه، وأنّ آبائهم يشفعون إليهم، فآيسهم اللّه من ذلك فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص.

الجواب الرابع: إنّ جميع ما ورد في باب الشفاعة يرجع إلى أسباب ذاتية وأمور داخليّة، فانّ معنى كون الرسول شفيعاً، إنّ الإيمان بحقيقته والاعتراف برسالته يوجب هيئة في النفس بها يستحق لنور الرحمة والنجاة من عذاب النار، والمؤثر في الشفاعة صورة النبي الحاصلة في النفس العارفة به ﷺ وليست أمراً منفصلاً عن ذات المؤمن، وكذا الحال في سائر الشفعاء والأخلاء يوم الدين.

بعبارة أخرى: الأسباب العرضية والاتفاقية مسلوبة في القيامة، والأسباب الذاتيّة الداخليّة ثابتة، فالآيات والأخبار الدالّة على نفي الشفاعة والوسيلة والقرابة وغيرها إنّما تحمل على نفي ما هو منها من قبيل القسم الأوّل. والّتي تدلّ على إثباتها تحمل على إثبات ما هو منها من قبيل القسم الثاني[٢].

السؤال السادس: مَن هو الّذي له حقّ الشفاعة؟

الجواب: لا ريب وأن الشفاعة من خواص النبي ﷺ، فإن الله خصه بأمور من جملتها الشفاعة، كما ورد عن جابر بن عبدالله قال: قال: النبي ﷺ **أعطيت خمساً لم يعط أحد قبلي** (في مسند أحمد لم يعطهن نبي قبلي) إلى قوله ـ **وأعطيت الشفاعة**.[٣] فإذا كانت الشفاعة قد خصت للنبي ﷺ من قبل الله بشهادة

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٨ ص٤٤

(٢) راجع تفسير صدر المتألهين للآية.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٣ ص٩٧٠. صحيح البخاري ج١ ص٨٦. مسند أحمد بن

هذه الرواية المتواترة عند الخاصة والعامة، فما هو الضير أن أقف عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وأقول اشفع لي يا رسول الله. وفي رواية أخرى: سئل الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً من الخوارج يقول: إن محمداً يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟ فقال الإمام عليه السلام: **ما من أحد من الأوّلين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد يوم القيامة**[1]. فهي أولاً وبالذات للنبي صلى الله عليه وآله وثانياً وبالعرض لغيره من الأنبياء والأئمّة من أهل بيته الطاهرين وباقي المؤمنين. وروي حتّى السقط والقرآن وغيره، فهناك روايات كثيرة في شفاعة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وشفاعة ذريتها من أئمة وغير الأئمة وشفاعة المؤمنين حتى السقط منهم. ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: **تناكحوا تناسلوا أما علمتم أني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط يظل محبنطاً** (أي ممتلياً غيظاً وغضباً) **على باب الجنة فيقول الله عز وجل أدخل الجنة فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي فيقول الله تبارك وتعالى لملك من الملائكة آتيني بأبويه فيأمر بهما إلى الجنة**[2].

السؤال السابع: مَن هم الّذين يستحقون الشفاعة؟

الجواب: الكثير من الخاطئين، ويشمل حتّى أصحاب الكبائر؛ بدليل الخبر الّذي تلقته الأمّة بالقبول وهو قوله صلى الله عليه وآله: **ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي**[3].

وروي عن المعتزلة ومن تبعهم إنّها تشمل الأنبياء وغيرهم من المحسنين بزياد درجاتهم ومراتبهم في الجنة. سئل الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً من الخوارج

حنبل ج١ ص٣٠١.

(١) المحاسن، أحمد البرقي، ج١ ص١٨٤.

(٢) عوالي اللئالي، ابي جمهور الأحسائي، ج٣ ص٢٨٧. ووسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٣ ص٥٥.

(٣) جامع المقاصد، المحقق الكركي، ج١٢ ص٦٥. تفسير القرطبي ج٥ ص١٦١. مجمع الزوائد للهيثمي ج١٠ ص٣٧٨

يقول أن محمداً يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟ **فقال الإمام** عليه السلام: **ما من أحد من الأوّلين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد** صلى الله عليه وآله **يوم القيامة**[1].

وفي رواية أُخرى: دخل أبو أيمن على الأمام الباقر عليه السلام وقال: يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون: شفاعة محمد شفاعة محمد، فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ثم قال: **ويحك يا أبا أيمن أغرك أن عف بطنك وفرجك أما لو قد رأيت أفزاع القيامة احتجت إلى شفاعة محمد** صلى الله عليه وآله **ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟ ثم قال: ما من أحد من الأوّلين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد** صلى الله عليه وآله[2].

والفرق أنّ الشفاعة للخاطئين هي الحيلولة دون العقاب. وللأنبياء والصالحين مع القول به زيادة في مقاماتهم المقدّسة.

السؤال الثامن: إنّ رفع العقاب عن المجرم يوم القيام بعدما أثبته اللّه تعالى بالوعيد، إمّا أن يكون عدلاً أو ظلماً، فان كان عدلاً كان أصل الحكم المستتبع للعقاب ظلماً لا يليق بساحته تعالى، وإن كان ظلماً كانت شفاعة الأنبياء مثلاً سؤالاً للظلم منه، وهو جهل لا يجوز نسبته إليهم صلوات اللّه عليهم؟

الجواب الأوّل: إنّه منقوض بالأوامر الامتحانيّة فرفع الحكم الامتحاني ثانياً وإثباته أولاً كلاهما من العدل. والحكمة فيها اختبار سريرة المكلّف، أو إظهار باطن أمره. فيقال في مورد الشفاعة أيضاً، يمكن أن تكون النجاة مكتوبة لجميع

(1) المحاسن أحمد البرقي، ج١ ص١٨٤.
(2) تفسير القمي ج٢ ص٢٠٢. وتفسير نور الثقلين، الحويزي، ج٤ ص٣٣٤

المؤمنين ثمّ يوضع الأحكام وما لمخالفتها من أنواع العقاب ليهلك الكافرون بكفرهم، وأمّا المؤمنون فيرتفع بالطاعة درجات المحسنين منهم ويبقى المسيئون، فينالوا بالشفاعة النجاة المكتوبة لهم. فيكون بذلك أصل وضع الحكم وعقابه أوّلاً عدلاً ودفع عقابه ثانياً عدلاً.(١)

الجواب الثاني: إنّ رفع العقاب أوّلاً بواسطة الشفاعة إنّما يغاير الحكم الأوّل فيما ذكر من العدل والظلم، لو كان دفع العقاب بالشفاعة نقضاً للحكم الأوّل أو نقضاً للحكم باستتباع العقوبة وقد عرفت انّه ليس كذلك، بل أثر الشفاعة بالحكومة لا بالمضادة فيها إخراج المجرم عن كونه مصداقاً لشمول العقاب بجعله مصداقاً لشمول الرحمة.

السؤال التاسع: **ألا يلزم من الشفاعة تغيير إرادة المولى عزّ اسمه؟ وهو محال، لأنّه يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل أو ترك أراد غيره حكم به أوّلاً. فلا تتحقّق الشفاعة إلا بترك الإرادة ونسخها لأجل الشفيع؟**

الجواب: إنّ ذلك منه تعالى ليس من تغيير الإرادة والعلم في شيء، وإنّما التغيير في المراد والمعلوم، فهو سبحانه يعلم أنّ الإنسان الفلاني سيتحول عليه الحالات فيكون في حين كذا على حال كذا لاقتران أسباب وشرائط خاصّة فيريد فيه بإرادة، ثمّ يكون في حين آخر على حال آخر يخالف الأوّل لاقتران أسباب وشرائط أُخر فيريد فيه بإرادة أُخرى، وكلّ يوم هو في شأن، وقد قال تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾(٢).

---

(١) راجع: تفسير الميزان للآية، السيد الطباطبائي.

(٢) الرعد: ٣٩

السؤال العاشر: إنّ وعد الشفاعة منه تعالى أو تبليغها من الأنبياءعليهم السلام مستلزم لتجري النّاس على المعصية، وإغرائهم على هتك محارم اللّه تعالى وهو مناف للغرض من سوق الناس إلى العبوديّة والطاعة؟

الجواب: أوّلاً: السؤال منقوض بالآيات الدالّة على شمول المغفرة وسعة الرحمة كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ**﴾.(١) أن هذه كذلك يلزم منها الإغراء وتجري الناس على المعصية.

ثانياً: إنّ وعد الشفاعة أو تبليغها يستلزم تجري الناس على المعصية وإغرائهم على التمرد بشرطين: **أوّلاً:** تعيين المجرم بنفسه ونعته أو تعيين الذنب الّذي تقع فيه الشفاعة تعييناً لا يقع فيه لبس.

ثانياً: تأثير الشفاعة في جميع أنواع العقاب وأوقاته، بأنّ تقلعه من أصله قلعاً، بأن يقول: إنّ الطائفة الفلانيّة من الناس أو كلّ الناس لا يعاقبون على ما أجرموا ولا يؤاخذون فيما أذنبوا أبداً، أمّا إذا أبهم الأمر من حيث الشرطين كما هو كذلك فلا يلزم منها هذا المحذور.

السؤال الحادي عشر: متى تنفع الشفاعة؟

الجواب: في يوم القيامة: وهو آخر موقف من مواقف يوم القيامة، أمّا ما تقدّم عليها من أهوال يوم القيامة وعظائمها فلا دليل على وقوع شفاعة فيها، وأمّا نشأة البرزخ وما يدلّ على حضور النبي والأئمّة عليهم السلام عند الموت وعند مسألة القبر وإعانتهم إيّاه على الشدائد فليس من الشفاعة عند اللّه في شيء، وإنّما هو من قبيل التصرفات والحكومة الموهوبة بإذن اللّه سبحانه.

---

(١) النساء: ٤٨

السؤال الثاني عشر: على من يعود الضمير (هم) في قوله تعالى: ﴿وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؟

الجواب: على النفوس الكثيرة الدالّة عليها لفظ (النفس) في الآية الذي جاء نكرة في سياق النفي المقيّدة للجمع.

السؤال الثالث عشر: لماذا فصل بين الفعل والفاعل بقوله (منها) في الآية: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾؟

الجواب: كي يقوي التذكير؛ لأنّ الفصل بين الفعل والفاعل في حال التذكير يحسن، كما يقال في التأنيث الحقيقي حضر اليوم امرأة.[1]

السؤال الرابع عشر: ما هو الوجه في مجيء (النفس) في الآية نكرة في قوله تعالى: ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾؟

الجواب: إنّما نكر النفس ليبين أن كلّ نفس فهذا حكمها، وهذا مثل قوله سبحانه: **﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾**[2].

---

(1) راجع: تفسير مجمع البيان للآية، الطبرسي.

(2) لقمان: ٣٣

الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: نجاة الإنسان في امتثاله للأحكام

في الآية إيحاء بأنّ على الإنسان أن يتحرّك في حياته من موقع التفكير بأن خلاصه لا يرتبط بأي شيء ممّا تعارف عليه النّاس من أساليب اللف والدوران من المصانعات والمجاملات والتسويات، بل يرتبط بالخط العملي الّذي يتحرّك في حدود الشعور بالمسؤولية العملية.

فالآية تشير إلى أنّ السبيل الوحيد للنجاة يوم القيامة هو الإيمان والتقوى والاستعانة بلطف الباري تعالى.

الدرس الثاني: الشفاعة بأذن الله

إنّ طريق الخلاص في الدنيا إحدى هذه الأربعة المذكورة في الآية: إمّا شفاعة أو غرامة أو نصرة أو معونة، وليست شيء منها في الآخرة إلا إذا إذن اللّه في الشفاعة.

الدرس الثالث: العمل متاع الإنسان يوم القيامة

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ إشارة إلى أنّ كلّ إنسان وما عمل، فلا ظاهر ولا باطن ولا تعاون ولا تعاطف، كما يشير له قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1].

---

(1) عبس: ٣٤-٣٧

الدرس الخامس: عالم الآخرة خالي من الأسباب الدنيوية

الآية تدلّ على أنّ المواطن الأخروية خالية عن الأسباب الدنيوية وبمعزل عن الارتباطات الطبيعيّة، وهذا أصل يتفرع عليه بطلان كلّ واحد من تلك الأقاويل والأوهام، من أنّ الحياة الآخرة نوع حياة دنيوية يطرد فيها قانون الأسباب ويحكم فيها ناموس التأثير والتأثر المادي الطبيعي، فيقدمون إلى آلهتهم أنواع القرابين والهدايا للصفح عن جرائمهم، أو الإمداد في حوائجهم، أو يستشفعون بها ويفدون بشيء عن جريمة أو يستنصرون بنفس أو سلاح، حتى أنّهم كانوا يدفنون مع الأموات أنواع الزخرف والزينة ليتمتعون بها وأنواع السلاح ما يدفعون به عن أنفسهم[1].

---

(1) راجع: تفسير الميزان للآية، السيد الطباطبائي.

فهرست المصادر

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. بيروت: مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأوّلى.

٢. الاختصاص، المؤلف: الشيخ المفيد، تحقيق : علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، الطبعة : الثانية، سنة الطبع : ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٣. بحار الأنوار.محمد باقر المجلسي. بيروت: مؤسسة الوفاء. الطبعة الثانية.

٤. البرهان في تفسير القرآن. السيد هاشم الحسيني البحراني.طهران: مؤسسة البعثة. الطبعة الأوّلى.

٥. بيان السعادة في مقامات العبادة.سلطان علي شاه. طهران: جامعة طهران. الطبعة الثانية.

٦. البيان في تفسير القرآن.السيد أبو القاسم الخوئي. إنتشارات الكعبة طهران.

٧. تاج العروس، المؤلف: الزبيدي، تحقيق : علي شيري، سنة الطبع : ١٤١٤ ـ ١٩٩٤م، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٨. التبيان في تفسير القرآن. محمد بن الحسن بن علي الطوسي. قم: مكتب الإعلام الإسلامي. الطبعة الأوّلى.

٩. تفسير ابن كثير، المؤلف: ابن كثير، تحقيق تقديم: يوسف عبد الرحمن

المرعشلي، سنة الطبع: ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ م، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

١٠. تفسير البصائر. يعسوب الدين رستكار جو يباري. قم: المطبعة الإسلامية.

١١. تفسير التسنيم. الشيخ جوادي آملي.

١٢. تفسير الثعلبي، المؤلف : الثعلبي، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢م، المطبعة : بيروت ـ لبنان ـ دار إحياء التراث العربي.

١٣. تفسير العياشي. محمد بن مسعود بن عياش السلمي. طهران. المكتبة العلمية الإسلامية.

١٤. تفسير القرآن العظيم. إسماعيل ابن كثير القرشي. بيروت: دار المعرفة.

١٥. تفسير القرآن الكريم. سيد مصطفى الخميني. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

١٦. تفسير القرآن الكريم.السيد عبد الله شبر. بيروت: دار البلاغة للطباعة والنشر. الطبعة الأوّلى.

١٧. تفسير القرآن الكريم.صدر المتألهين الشيخ محمد بن إبراهيم الشيرازي. قم: بيدار. الطبعة الثانية.

١٨. تفسير القمي. علي ابن إبراهيم القمي.قم. مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر. الطبعة الثانية.

١٩. تفسير الكاشف.محمد جواد مغنية. بيروت: دار العلم للملايين. الطبعة الثانية.

٢٠. التفسير الكبير. الفخر الرازي. بيروت

٢١.التفسير المنسوب للإمام العسكري‏عليه السلام. قم: مؤسسة الإمام المهدي (عج). الطبعة الأوّلى.

٢٢. تفسير جوامع الجامع. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. طهران: مؤسسة النشر والطبع. الطبعة الأوّلى.

٢٣. تفسير رهنما.الشيخ علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني.قم: مكتبة الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم. الطبعة الأوّلى.

٢٤. تفسير سورة الحمد. السيد محمد باقر الحكيم. قم: شريعت. الطبعة الأوّلى.

٢٥. تفسير غريب القرآن، المؤلف: فخر الدين الطريحي، تحقيق وتعليق: محمد كاظم الطريحي، الناشر : انتشارات زاهدي ـ قم.

٢٦. تفسير غريب القرآن. الشيخ فخر الدين الطريحي. قم: إنتشارات الزاهدي.

٢٧. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب. الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي. طهران: مؤسسة الطباعة والنشر. الطبعة الأوّلى.

٢٨. التفسير لكتاب الله المنير.الشيخ محمد الكرمي. قم: المطبعة العلمية.

٢٩. تفسير نور الثقلين. الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي. قم: المطبعة العلمية. الطبعة الثانية.

٣٠. تقريب القرآن إلى الإذهان.السيد محمد الحسيني الشيرازي. بيروت:مؤسسة الوفاء الطبعة الأوّلى.

٣١. تهذيب الأحكام، المؤلف: الشيخ الطوسي، تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة : الثالثة،سنة الطبع : ١٣٦٤ ش،الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٣٢. جامع أحاديث الشيعة، المؤلف : السيد البروجردي، سنة الطبع : ١٣٩٩، المطبعة : المطبعة العلمية ـ قم.

٣٣. الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. بيروت:دار إحياء التراث العربي.

٣٤. الجديد في تفسير القرآن. الشيخ محمد السبزواري النجفي.بيروت: دار التعارف للمطبوعات. الطبعة الأوّلى.

٣٥. الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين. السيد عبد الله شبر. الكويت: مكتبة الألفين. الطبعة الأوّلى.

٣٦. الحدائق الناضرة، المؤلف: المحقق البحراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٧. خزانة الأدب، المؤلف: البغدادي، تحقيق : محمد نبيل طريفي، إميل بديع اليعقوب، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٩٩٨م، الناشر : دار الكتب العلمية.

٣٨. الخلاف، المؤلف : الشيخ الطوسي، تحقيق : جماعة من المحققين، سنة الطبع : جمادي الآخرة ١٤٠٧، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٩. رسائل الشهيد الثاني (ط.ق)، المؤلف : الشهيد الثاني، الناشر : منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم.

٤٠. زاد المسير في علم التفسير.ابن الجوزي أبي الفرج جمال الدين.دار الفكر. الطبعة الأوّلى.

٤١. شرح ابن عقيل، المؤلف: ابن عقيل الهمداني، الطبعة: الرابعة عشرة، سنة

الطبع: جمادي الأولى ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ م، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
٤٢. شرح اصول الكافي. مولى محمد صالح المازندراني.
٤٣. شرح الأخبار، المؤلف: القاضي النعمان المغربي، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، المطبعة: مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٤٤. شرح الأسماء الحسنى. ملا هادي السبزواري. الناشر: مكتبة بصيرتي.
٤٥. شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد المعتزلي. الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
٤٦. الصافي في كلام الله. الفيض الكاشاني. مشهد: دار المرتضى للنشر. الطبعة الأوّلى.
٤٧. الصحاح،المؤلف: الجوهري،تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار،الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ م، الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.
٤٨.صحيح مسلم، المؤلف: مسلم النيسابوري، الناشر: دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.
٤٩. علوم القرآن. السيد محمد باقر الحكيم.
٥٠. عوالي اللئالي، المؤلف: ابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق وتقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي / تحقيق : الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م، المطبعة : سيد الشهداء ـ قم.
٥١. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م ، الناشر : مؤسسة
٥٢. الغدير، المؤلف: الشيخ الأميني، الطبعة : الرابعة، سنة الطبع: ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ م،

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٣. فتح الباري، المؤلف : ابن حجر، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

٥٤. الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال العسكري، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع : شوال المكرم ١٤١٢، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥٥. الفصول المختارة، المؤلف: الشريف المرتضى، تحقيق : السيد نور الدين جعفريان الاصبهاني، الشيخ يعقوب الجعفري، الشيخ محسن الأحمدي، الطبعة : الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٥٦. الفصول المهمة في أصول الأئمة، المؤلف: الحر العاملي، تحقيق : تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤١٨ ـ ١٣٧٦ ش، المطبعة: نگين ـ قم، الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام.

٥٧. فقه الصادق عليه السلام، المؤلف: السيد محمد صادق الروحاني، سنة الطبع : ١٤١٢هـ، الناشر: مؤسسة دار الكتاب ـ قم.

٥٨.القاموس المحيط، المؤلف : الفيروز آبادي.

٥٩. قرب الإسناد، المؤلف : الحميري القمي، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع : ١٤١٣، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٦٠. الكافي. الشيخ الكليني. طهران: دار الكتب الإسلامية. الطبعة الثالثة.

٦١. كتاب العين، المؤلف: الخليل الفراهيدي، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة : الثانية، سنة الطبع : ١٤٠٩، الناشر: مؤسسة دار الهجرة.

٦٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، المؤلف : الزمخشري، سنة الطبع : ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٦٣. لسان العرب، ابن منظور،سنة الطبع : محرم ١٤٠٥،الناشر : نشر أدب الحوزة ـ قم ـ إيران.

٦٤. لصراط المستقيم، المؤلف : علي بن يونس العاملي، تحقيق : تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة : الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٤، الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٦٥. مجمع البحرين. الشيخ فخر الدين الطريحي. الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.الطبعة الثانية.

٦٦. مجمع البيان في تفسير القرآن. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. بيروت دار إحياء التراث العربي.

٦٧. مجمع الزوائد، المؤلف: الهيثمي، سنة الطبع : ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٦٨. المحاسن. أحمد بن محمد بن خالد البرقي. طهران: دار الكتب الإسلامية.

٦٩. مختار الصحاح، المؤلف: محمد بن عبد القادر، تحقيق : ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ م، الناشر : دار

الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٧٠. مستدرك الوسائل، المؤلف: الميرزا النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع : هـ ١٤٠٨ ـ ١٩٨٧ م، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان.

٧١. مستدرك سفينة البحار. الشيخ علي النمازي الشاهرودي. قم: مؤسسة النشر لجامعة المدرسين.

٧٢. معاني الأخبار. الشيخ الصدوق. انتشارات إسلامي.

٧٣. معاني القرآن، المؤلف: النحاس، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٠٩، الناشر : جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية.

٧٤.معجم رجال الحديث، المؤلف: السيد الخوئي، الطبعة، الخامسة، سنة الطبع : ١٤١٣ ـ ١٩٩٢ م.

٧٥. مغنى اللبيب، المؤلف: ابن هشام الأنصاري، تحقيق : تحقيق وفصل وضبط: محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع: ١٤٠٤، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ـ قم ـ إيران.

٧٦. مفردات غريب القرآن، المؤلف: الراغب الأصفهانى، سنة الطبع : ١٤٠٤، الناشر: دفتر نشر الكتاب.

٧٧. مقتنيات الدرر ومقتطفات الثمر.مير سيد علي الحائري الطهراني.طهران:دار الكتب الإسلامية.

٧٨.مكاتيب الرسول علي بن حسين علي الأحمدي. دار الحديث. الطبعة الأوّلى.

٧٩. من لا يحضره الفقيه، المؤلف: الشيخ الصدوق، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة : الثانية، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٨٠ من هدى القرآن. السيد محمد تقي المدرسي. دار الهدى. الطبعة الأوّلى.

٨١ من وحي القرآن.السيد محمد حسين فضل الله.بيروت:دار الزهراء للطباعة والنشر الطبعة الثانية.

٨٢ مناقب آل أبي طالب، المؤلف : ابن شهر آشوب، تحقيق : تصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع : ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦ م، الناشر: المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٨٣ مواهب الرحمن في تفسير القرآن.السيد عبد الأعلى السبزواري. النجف. مطبعة الأدب.

٨٤ موسوعة العقائد الإسلامية، المؤلف: محمد الري شهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٥ ـ ١٣٨٣ش،الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

٨٥ الموسوعة العلمية (قل لي كيف ومتى ولماذا). سمير شيخاني. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

٨٦ ميزان الحكمة. الشيخ محمد ري شهري. دار الحديث. الطبعة الأوّلى.

٨٧. الميزان في تفسير القرآن. السيد محمد حسين الطباطبائي. طهران: دار الكتب الإسلامية. الطبعة الثانية.

٨٨ نهج البلاغة.بيروت: دار المعرفة.

٨٩.الوجيز في تفسير القرآن العزيز.علي بن الحسين العاملي. قم: دار القرآن الكريم. الطبعة الأوّلى.

٩٠. وسائل الشيعة. الحر العاملي. قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. الطبعة الثانية.

فهرست المحتويات

نقطة المسير في علم التفسير.. ٥
المقدمة ٣١
تفسير سورة الحمد ٢٥
تفسير: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ [١] ٣٧
المعنى العام ٣٧
أسئلة وأجوبة ٣٧
الدروس المستفادة من الآية.. ٤٧
الدرس الأول: دلالة الآية على التوحيد ٤٧
الدرس الثاني: قرب البسملة إلى اسم الله الأعظم ٤٧
الدرس الثالث: علة البدء باسم الله ٤٧
الدرس الرابع: إبطال قول المجبرة................................... ٤٨
الدرس الخامس: البدء باسم الله غرض تربوي ٤٨
الدرس السادس: من أهداف البسملة بيان الرحمة الإلهية ٤٨
الدرس السابع: في ذكر الرحمن الرحيم بشارة للخلق ٤٨
الدرس الثامن: البسملة مفتاح كل شيء ٤٩
الدرس التاسع: ابتداء الأعمال باسمه تعالى ٤٩
تفسير: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ [٢]... ٥١
المعنى العام ٥١

أسئلة وأجوبة ٥١

الدروس المستفادة من الآية ٥٥

الدرس الأوّل: دلالتها على دوام الحمد.............................. ٥٥

الدرس الثاني: دلالتها على وجوب الشكر............................ ٥٥

الدرس الثالث: إطلاق الرب لا يصدق إلا على الله ٥٦

الدرس الرابع: إطلاق الرب يفيد التصرف المطلق ٥٦

الدرس الخامس: دلالة اسم الله على جامعيته لجميع الصفات........ ٥٦

الدرس السادس: دلالتها على حصر الحمد بالله تعالى ٥٦

الدرس السابع: دلالتها على تعليم العباد لحمد الله ٥٧

الدرس الثامن: الواهب للنعم هو الله ٥٧

الدرس التاسع: دلالتها لعموم الحمد والثناء.......................... ٥٧

الدرس العاشر: دلالتها على غنى المحمود ٥٧

الدرس الحادي عشر: مربوبية الإنسان لله تعالى ٥٨

تفسير: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ [٣].. ٥٩

أسئلة وأجوبة ٥٩

الدروس المستفادة من الآية ٦١

الدرس الأوّل: تكرار الصفة يدل على اعتنائه بها...................... ٦١

الدرس الثاني: دلالتها على استقلال آية البسملة ٦١

الدرس الثالث: ذكر صفتي الرحمانية والرحيمة......................... ٦١

الدرس الرابع: الآثار التربوية لصفتي الرحمن والرحيم ٦١

الدرس الخامس: من آثار ذكر صفتي الرحمن الرحيم الحرية ٦١

الدرس السادس: دلالتها على رأفة ورحمة الرب بعباده ٦٢
تفسير: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ [٤] ٦٣
المعنى العام ٦٣
أسئلة وأجوبة ٦٣
الدروس المستفادة من الآية ٦٨
الدرس الأوّل: إثبات المعاد ٦٨
الدرس الثاني: تعظيم أصل المعاد ٦٨
الدرس الثالث: الهيمنة الكامل لله تعالى في يوم القيامة ٦٨
الدرس الرابع: الملك الحقيقي لله وحده ٦٨
الدرس الخامس: دلالتها على رحمته بعباده ٦٩
تفسير: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥] ٧١
المعنى العام ٧١
أسئلة وأجوبة ٧١
الدروس المستفادة من الآية ٧٧
الدرس الأوّل: الجمع بين العبادة والتوسل ٧٧
الدرس الثاني: العبادة من مصاديق الشكر ٧٧
الدرس الثالث: العبادة لله وحده ٧٧
الدرس الرابع: إشارتها إلى التأديب بالعبادة ٧٧
الدرس الخامس: رفع الواسطة بين العبد والمعبود ٧٨
الدرس السادس: حضور القلب في العبادة ٧٨
الدرس السابع: إبطال القول بالجبر ٧٨

الدرس الثامن: إخلاص النية في العبادة........................ ٧٨
الدرس التاسع: عبادة الله طريق الحرية ٧٨
الدرس العاشر: التوحيد في العبادة ٧٩
الدرس الحادي عشر: التوحيد في الخالقية ٧٩
الدرس الثاني عشر: افتقار الإنسان للاستعانة بالله تعالى ٧٩
الدرس الثالث عشر: الدعوة إلى وحدة المسلمين ٧٩
الدرس الرابع عشر: نفي الجبر والتفويض بشكل مطلق.................. ٨٠
تفسير: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦].. ٨١
المعنى العام ٨١
أسئلة وأجوبة.. ٨١
الدروس المستفادة من الآية ٨٥
الدرس الأوّل: لزوم الدعاء في كل الأحوال ٨٥
الدرس الثاني: جوهر الهداية عبادة الله............................... ٨٥
الدرس الثالث: طلب المعونة من الله ٨٦
الدرس الرابع: الهداية تحتوي على كل الخير.......................... ٨٦
الدرس الخامس: للصراط المستقيم أنواع متفاوتة ٨٦
الدرس السادس: الحث على دوام طلب الهداية ٨٧
الدرس السابع: الحث على طلب الاستقامة ٨٧
الدرس الثامن: أهمية الهداية في حيات البشر ٨٧
تفسير: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [٧] ٨٩
المعنى العام ٨٩

أسئلة وأجوبة ٨٩
الدروس المستفادة من الآية ٩٥
الدرس الأوّل: الحث على إتباع الصالحين ٩٥
الدرس الثاني: عمومية النعمة لكل خير ٩٦
الدرس الثالث: حقيقة النعمة السعادة الأخروية ٩٦
الدرس الرابع: الضال قد يكون مغضوبا عليه ٩٦
الدرس الخامس: اختلاف مراتب أهل الضلال ٩٦
الدرس السادس: وصف الصراط من قبل الله ٩٦
الدرس السابع: عمومية النعم ٩٧
الدرس الثامن: تعظيم الأنبياء والصالحين ٩٧
الدرس التاسع: التخلص من الضلالة الواعية واللاواعية ٩٧
الدرس العاشر: الضلال من عوامل الجهل ٩٧
الدرس الحادي عشر: صراط المستقيم حقيقة واقعة ٩٧
الدرس الثاني عشر: أصناف الناس في طريقهم إلى الله ٩٨
الدرس الثالث عشر: مميزات الغضب ٩٨
تفسير: ﴿الم﴾ [١] ١٠١
المعنى العام ١٠١
أسئلة وأجوبة ١٠١
الدروس المستفادة من الآية ١٠٤
الدرس الأوّل: اختصاص أهل البيت بمعرفة معاني الأحرف. ١٠٤
الدرس الثاني: دلالتها على فوائد تجويدية ومعنوية ١٠٥

الدرس الثالث: التمسك بولاية الإمام علي عليه السلام........................ ١٠٥
الدرس الرابع: دلالتها على إعجاز القرآن ١٠٥
تفسير: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢] ١٠٧
المعنى العام ١٠٧
أسئلة وأجوبة ١٠٨
الدروس المستفادة من الآية ١١٥
الدرس الأوّل: مواكبة القرآن للعصور. ١١٥
الدرس الثاني: التمسك بالقرآن طريق للسعادة........................ ١١٥
الدرس الثالث: الطاعة سبب للهداية الإلهية. ١١٥
تفسير: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٣] ١١٧
المعنى العام ١١٧
أسئلة وأجوبة ١١٧
الدروس المستفادة من الآية ١٢١
الدرس الأوّل: الإيمان بالغيب من صفات المتقين ١٢١
الدرس الثاني: دلالتها على تحقيق حدود الصلاة واقعا ١٢١
الدرس الثالث: ربط الإنسان مع الخالق والمخلوق ١٢١
الدرس الرابع: الفارق بين المؤمنين والملحدين ١٢٢
الدرس الخامس: دلالتها على كيفية الإنفاق........................ ١٢٢
الدرس السادس: التكسب بالحلال ١٢٢
الدرس السابع: بيان معنى المؤمن........................ ١٢٢
تفسير: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ...﴾ [٤] ١٢٥

المعنى العام ١٢٥
أسئلة وأجوبة ١٢٥
الدروس المستفادة من الآية ١٣٠
الدرس الأوّل: دلالتها على العظمة الإلهية ١٣٠
الدرس الثاني: شمولها خلافة الإمام علي(عليه السلام) ١٣٠
الدرس الثالث: تعريض بأهل الكتاب ١٣٠
الدرس الرابع: إبطال قول اليهود ١٣١
الدرس الخامس: الإسلام مكمل للأديان ١٣١
الدرس السادس: جامعية الإسلام لخصائص الأديان ١٣١
الدرس السابع: دلالتها على خلق القرآن ١٣١
الدرس الثامن: القرآن ناسخ لما قبله ١٣٢
تفسير: ﴿أُولئك عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥] ١٣٣
المعنى العام ١٣٣
أسئلة وأجوبة ١٣٣
الدروس المستفادة من الآية ١٣٦
الدرس الأوّل: الهداية بمثابة السفينة الموصلة للسعادة ١٣٦
الدرس الثاني: التقوى طريق للهداية الإلهية ١٣٦
الدرس الثالث: علي(عليه السلام) وحزبه المفلحون ١٣٦
الدرس الرابع: مدح للعارفين والسالكين ١٣٦
تفسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ...﴾ [٦] ١٣٧
المعنى العام ١٣٧

أسئلة وأجوبة ١٣٧
الدروس المستفادة من الآية ١٣٩
الدرس الأوّل: انحطاط طائفة من الناس ١٣٩
الدرس الثاني: التباين بين المؤمنين ولكافرين ١٣٩
الدرس الثالث: الإنذار تخويف مع سعة الزمان ١٣٩
تفسير: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ....﴾ [٧] ١٤١
المعنى العام ١٤١
أسئلة وأجوبة ١٤١
الدروس المستفادة من الآية ١٤٥
الدرس الأوّل: أفضلية السمع على البصر ١٤٥
الدرس الثاني: تعطيل المعاند عقله ١٤٥
الدرس الثالث: عظمة عذاب الكافرين ١٤٥
الدرس الرابع: القلب محل للمعرفة ١٤٥
الدرس الخامس: للعبد أربع أعين ١٤٦
تفسير: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ...﴾ [٨] ١٤٧
المعنى العام ١٤٧
أسئلة وأجوبة ١٤٧
الدروس المستفادة من الآية ١٥١
الدرس الأوّل: إبطال من يقول الإيمان مجرد قول ١٥١
الدرس الثاني: تحذير من الجواسيس ١٥١
الدرس الثالث: التقاء طبيعة الكافرين مع المنافقين ١٥١

تفسير: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا و....﴾ [٩] ١٥٣
المعنى العام ١٥٣
أسئلة وأجوبة ١٥٣
الدروس المستفادة من الآية ١٥٧
الدرس الأوّل: من صفات المنافقين الخداع ١٥٧
الدرس الثاني: تعظيم مكانة المؤمنين عند الله ١٥٧
الدرس الثالث: الحذر من المخادعين ١٥٨
الدرس الرابع: الرياء نوع من الخداع ١٥٨
الدرس الخامس: إفلاس المرائي وعقابه ١٥٨
الدرس السادس: المخادع يحارب الله ١٥٨
الدرس السابع: المنافقون لا يعرفون الله ١٥٩
الدرس الثامن: الشعور علم مع الفطنة ١٥٩
تفسير: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً ...﴾ [١٠] ١٦١
المعنى العام ١٦١
أسئلة وأجوبة ١٦١
الدروس المستفادة من الآية ١٦٥
الدرس الأوّل: أسباب الأمراض الروحية ١٦٥
الدرس الثاني: استقرار المرض في القلب ١٦٥
الدرس الثالث: شدة عذاب المنافق ١٦٥
الدرس الرابع: الكذب من الكبائر العظام ١٦٦
الدرس الخامس: زيادة الأمراض الروحية ١٦٦

الدرس السادس: الحث على مراجعة أطباء الأخلاق ١٦٦
الدرس السابع: تعدد الأمراض في قلب المنافق ١٦٦
الدرس الثامن: المبالغة في النهي عن الكذب ١٦٦
تفسير: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ ...﴾ [١١ ـ ١٢]........................١٦٧
المعنى العام ١٦٧
أسئلة وأجوبة ١٦٧
الدروس المستفادة من الآية ١٧١
الدرس الأوّل: دلالتها على خطر فساد المنافق ١٧١
الدرس الثاني: المنافق يرى المنكر معروفا........................١٧١
الدرس الثالث: فقد المنافق للحواس ١٧١
الدرس الرابع: دلالتها على عموم النهي عن المنكر ١٧١
الدرس الخامس: تعدد أنواع الفساد........................١٧١
الدرس السادس: الفساد نقيض الصلاح........................١٧٢
الدرس السابع: الحذر من المنافق ١٧٢
تفسير: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ...﴾ [١٣] ١٧٣
المعنى العام ١٧٣
أسئلة وأجوبة ١٧٣
الدروس المستفادة من الآية ١٧٦
الدرس الأوّل: عمومية الناهي عن المنكر ١٧٦
الدرس الثاني: من صفات المنافق التكبر........................١٧٧
الدرس الثالث: التحلية بعد التخلية ١٧٧

الدرس الرابع: المنافق يرى الضلال هدى ١٧٧
الدرس الخامس: دلالتها على تمامية النصح والإرشاد..١٧٧
الدرس السادس: مخالفة الشرع من السفاهة ١٧٨
الدرس السابع: المؤمنون ثمرة الإنسانية ١٧٨
تفسير: ﴿وَإِذا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا ....﴾ [١٤]..١٧٩
المعنى العام ١٧٩
أسئلة وأجوبة..١٧٩
الدروس المستفادة من الآية ١٨٣
الدرس الأوّل: المنافقون مصداق للشياطين..١٨٣
الدرس الثاني: من صفات المنافق التذبذب..١٨٣
الدرس الثالث: النفاق في كل عصر..١٨٣
الدرس الرابع: تحريك المنافق نحو الإفساد..١٨٣
تفسير: ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٥] ١٨٥
المعنى العام ١٨٥
أسئلة وأجوبة..١٨٥
الدروس المستفادة من الآية ١٨٨
الدرس الأوّل: الله ينتقم للمؤمنين ١٨٨
الدرس الثاني: سبب إيجاد الطغيان المنافق ١٨٨
الدرس الثالث: العمه أخص من العمى..١٨٩
الدرس الرابع: مبالغة الإستهزاء بالمنافقين ١٨٩
الدرس الخامس: زيادة الطغيان في المنافقين..١٨٩

الدرس السادس: التحذير من الآراء الفاسدة ١٨٩
تفسير: ﴿أُولئك الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى ...﴾ [١٦] ١٩١
المعنى العام ١٩١
أسئلة وأجوبة ١٩٢
الدروس المستفادة من الآية ١٩٦
الدرس الأوّل: الفطرة بمثابة رأس المال ١٩٦
الدرس الثاني: العبد يتاجر بعمل الخير ١٩٦
الدرس الثالث: الإنسان في الدنيا تاجر ١٩٦
الدرس الرابع: خسارة المنافق بالتجارة ١٩٦
الدرس الخامس: الضلال من فعل الإنسان ١٩٧
تفسير: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ...﴾ [١٧] ١٩٩
المعنى العام ١٩٩
أسئلة وأجوبة ١٩٩
الدروس المستفادة من الآية ٢٠٣
الدرس الأوّل: ضرب الأمثال بيان للحقائق ٢٠٣
الدرس الثاني: ضرب المثل أوقع في القلب ٢٠٣
الدرس الثالث: الظلمة من آثار الابتعاد عن الدين ٢٠٣
الدرس الرابع: الظلمة عارضة على الإنسان ٢٠٤
الدرس الخامس: الإسلام نور للنفس ٢٠٤
الدرس السادس: المنافقون أسوء من البهائم ٢٠٤
الدرس السابع: كشف سرائر المنافقين ٢٠٤

الدرس الثامن: الحق واحد والباطل متعدد ٢٠٥

تفسير: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [١٨] ٢٠٧

المعنى العام ٢٠٧

أسئلة وأجوبة ٢٠٧

الدروس المستفادة من الآية ٢١٠

الدرس الأوّل: تعطيل حواس المنافقين ٢١٠

الدرس الثاني: حرمان المنافق من الخير ٢١١

الدرس الثالث: إصابة القلب بالعمى ٢١١

تفسير: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ...﴾ [١٩] ٢١٣

المعنى العام ٢١٣

أسئلة وأجوبة ٢١٤

الدروس المستفادة من الآية ٢١٨

الدرس الأوّل: شدة الهول على المنافقين ٢١٨

الدرس الثاني: توبيخ المنافقين ٢١٩

الدرس الثالث: اختصاص المنافقين بهذين المثلين ٢١٩

الدرس الرابع: دلالتها على تخفي المنافق وتحقيره ٢١٩

الدرس الخامس: كشف ستر المنافقين ٢١٩

الدرس السادس: الإسلام ربع للقلوب ٢١٩

تفسير: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ...﴾ [٢] ٢٢١

المعنى العام ٢٢١

أسئلة وأجوبة ٢٢١

الدروس المستفادة من الآية ٢٢٥
الدرس الأوّل: الشبهات تصد عن الإيمان ٢٢٥
الدرس الثاني: الشريعة طريق للخير ودفع للشر ٢٢٥
الدرس الثالث: الشريعة مخالفة لمشيئة المنافقين ٢٢٦
الدرس الرابع: هدف المنافق المصالح المادية ٢٢٦
الدرس الخامس: الماء والنار مصدر الإضاءة والحياة ٢٢٦
تفسير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ...﴾ [٢١] ٢٢٧
المعنى العام ٢٢٧
أسئلة وأجوبة ٢٢٧
الدروس المستفادة من الآية ٢٣٢
الدرس الأوّل: الأسلوب البلاغي يؤثر في قلب المخاطب ٢٣٢
الدرس الثاني: من أساليب التبليغ تغيير الخطاب ٢٣٢
الدرس الثالث: ارتباط العبادة بحياة الإنسان ٢٣٢
الدرس الرابع: القرآن منهج لكل البشر ٢٣٣
الدرس الخامس: خطاب العموم يدل على نزولها بمكة ٢٣٣
الدرس السادس: اختلاف درجات الناس بالعبادة ٢٣٣
الدرس السابع: خطاب الآية من جوامع الكلم ٢٣٣
الدرس الثامن: العبادة مقدمة للتقوى ٢٣٤
الدرس التاسع: العبادات مدرسة لتعليم التقوى ٢٣٤
الدرس العاشر: نعمة الأبناء بفضل نعمة الآباء ٢٣٤
الدرس الحادي عشر: الحذر عن الغرور ٢٣٤

الدرس الثاني عشر: إبطال التمسك بسنة الآباء المنحرفة ٢٣٤

تفسير: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً...﴾ [٢٢] ٢٣٥

المعنى العام ٢٣٥

أسئلة وأجوبة ٢٣٧

الدروس المستفادة من الآية ٢٤٢

الدرس الأوّل: أهمية الأرض في حياة البشر ٢٤٢

الدرس الثاني: من فوائد المطر وصوله إلى قلل الجبال ٢٤٢

الدرس الثالث: التفكر في الخلق يرشد إلى التوحيد ٢٤٢

الدرس الرابع: السماء أمان لأهل الأرض ٢٤٣

الدرس الخامس: البرهان ألآفاقي على وحدانية الله ٢٤٣

الدرس السادس: الحذر عن الاستعانة بغير الله ٢٤٣

الدرس السابع: حرارة باطن الأرض تذيب الصخور ٢٤٤

تفسير: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ...﴾ [٢٣] ٢٤٥

المعنى العام ٢٤٥

أسئلة وأجوبة ٢٤٦

الدروس المستفادة من الآية ٢٥٠

الدرس الأوّل: برهان إثبات النبوة الخاتمة ٢٥٠

الدرس الثاني: العون بمثابة الشاهد ٢٥٠

الدرس الثالث: ارفع المقامات العبادة الخالصة ٢٥١

الدرس الرابع: النبي الخاتم المصداق الأكمل للعبودية ٢٥١

الدرس الخامس: القرآن المعجزة الخالدة ٢٥١

الدرس السادس: إثارة حمية المشركين لاعترافهم بالفشل ٢٥٢
تفسير: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ ...﴾ [٢٤] ٢٥٣
المعنى العام ٢٥٣
أسئلة وأجوبة ٢٥٣
الدروس المستفادة من الآية ٢٥٧
الدرس الأوّل: وجوب طاعة المولى عزّ وجل ٢٥٧
الدرس الثاني: صحة إخبار النبي الأكرم بالغيبيات ٢٥٧
الدرس الثالث: المشرك بمثابة الحجارة ٢٥٧
الدرس الرابع: نار الآخرة ذات حقائق مختلفة ٢٥٧
الدرس الخامس: جهنم مثوى للكافرين ٢٥٨
الدرس السابع: حرارة جهنم تصهر الحجر ٢٥٨
تفسير: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أ...﴾ [٢٥] ٢٥٩
المعنى العام ٢٥٩
أسئلة وأجوبة ٢٥٩
الدروس المستفادة من الآية ٢٦٤
الدرس الأوّل: الترغيب بعد الترهيب من أساليب التبليغ ٢٦٤
الدرس الثاني: مغايرة الإيمان للعمل ٢٦٤
الدرس الثالث: الإيمان مع العمل يحقق البشارة ٢٦٤
الدرس الرابع: تعريض لبعض المؤمنين ٢٦٤
الدرس الخامس: كمال النعم دوامها ٢٦٥
الدرس السادس: الطهارة من القذرات المادية والمعنوية ٢٦٥

الدرس السابع: الماء سبب في رونقة الجنان ٢٦٥
الدرس الثامن: الشرط الأهم في اختيار الزوجة الطهارة ٢٦٦
تفسير: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً ...﴾ [٢٦] ٢٦٧
المعنى العام ٢٦٧
أسئلة وأجوبة ٢٦٩
الدروس المستفادة من الآية ٢٧٥
الدرس الأوّل: الأمثال تكشف عن المعاني ٢٧٥
الدرس الثاني: إبطال قول الجبرية ٢٧٥
الدرس الثالث: الحياء حسن وقبيح ٢٧٥
الدرس الرابع: ضرب الأمثال منبع لعامة البشر ٢٧٦
الدرس الخامس: الحث على التدبر ٢٧٦
الدرس السادس: الغنى هلاك للمضلين ٢٧٦
الدرس السابع: ضرب المثل بالصغار دلالة حكمة الله ٢٧٦
الدرس الثامن: تزايد الضلال في المشركين ٢٧٦
الدرس التاسع: البعوضة أجرأ من الأسد ٢٧٧
تفسير: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ...﴾ [٢٧] ٢٧٧
المعنى العام ٢٧٧
أسئلة وأجوبة ٢٧٨
الدروس المستفادة من الآية ٢٨٢
الدرس الأوّل: أهمية الارتباط مع الله ٢٨٢
الدرس الثاني: توبيخ أصحاب الضلال ٢٨٢

الدرس الثالث: النهي عن مصادقة قاطع الرحم ٢٨٢
الدرس الرابع: تحقير الناكثين والقاطعين ٢٨٢
الدرس الخامس: بيان ملامح الفاسقين ٢٨٣
تفسير: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ...﴾ [٢٨] ٢٨٥
المعنى العام ٢٨٥
أسئلة وأجوبة ٢٨٥
الدروس المستفادة من الآية ٢٨٨
الدرس الأوّل: إبطال قول المجبرة ٢٨٨
الدرس الثاني: الرد على الماديين ٢٨٨
الدرس الثالث: كم من سليم مات من غير علة ٢٨٩
الدرس الرابع: وكفى بالموت واعظا ٢٨٩
الدرس الخامس: حياة الإنسان بعبارة موجزة ٢٨٩
الدرس السادس: الحياة خالدة بخلود الخالق ٢٨٩
الدرس السابع: إبطال فكرة تناسخ الأرواح ٢٩٠
الدرس الثامن: معنى الحياة في القرآن على وجوه ٢٩٠
الدرس التاسع: الحياة أصل النعم ٢٩٠
تفسير: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً...﴾ [٢٩] ٢٩٣
المعنى العام ٢٩٣
أسئلة وأجوبة ٢٩٣
الدروس المستفادة من الآية ٢٩٧
الدرس الأوّل: الحياة سبب لخلق الخيرات ٢٩٧

الدرس الثاني: الأصل في الأشياء الإباحة ٢٩٧
الدرس الثالث: الخلق مقدم على الإيجاد ٢٩٨
الدرس الرابع: الدنيا مزرعة للآخرة..٢٩٨
الدرس الخامس: الأصل في الأرض عدم الملكية ٢٩٨
الدرس السادس: لزوم شكر المنعم ٢٩٨
تفسير: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ ...﴾ [٣٠]..٣٠١
المعنى العام ٣٠١
أسئلة وأجوبة..٣٠٢
الدروس المستفادة من الآية ٣٠٨
الدرس الأوّل: من نعم الله خلق آدم عليه السلام وما أعد لذريته ٣٠٨
الدرس الثاني: خلق الله آدم بالمباشرة..٣٠٩
الدرس الثالث: معرفة الملائكة عن طريق الأنبياء ٣٠٩
الدرس الرابع: الإنسان خليفة الله..٣٠٩
الدرس الخامس: معرفة أسرار الخليقة بيد الله ٣٠٩
الدرس السادس: الحث على الإخلاص ٣٠٩
الدرس السابع: عجز الإنسان عن معرفة الملاكات ٣٠٩
الدرس الثامن: الغاية في خلق الإنسان العبادة ٣١٠
تفسير: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...﴾ [٣١] ٣١١
المعنى العام ٣١١
أسئلة وأجوبة..٣١١
الدروس المستفادة من الآية ٣١٦

الدرس الأوّل: تفضيل العلم وأهله ٣١٦
الدرس الثاني: لفظ آدم مشتق من أديم الأرض........................ ٣١٦
الدرس الثالث: العلم طريق للكمال ٣١٦
الدرس الرابع: عظم مكانة آدم عند الله ٣١٧
الدرس الخامس: رفعة مقام المسميات ٣١٧
الدرس السادس: إحاطة آدم بالمعرفة تعد معجزة ٣١٧
تفسير: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ...﴾ [٣٢] ٣١٩
المعنى العام ٣١٩
أسئلة وأجوبة........................ ٣١٩
الدروس المستفادة من الآية ٣٢٠
الدرس الأوّل: بيان مكانة آدم للملائكة ٣٢٠
الدرس الثاني: العلم توفيق الهي ٣٢١
الدرس الثالث: العليم من خواص المولى تعالى........................ ٣٢١
الدرس الرابع: تنزيه المولى تعالى من النقص ٣٢١
الدرس الخامس: علم الإنسان قطرة من بحر الجهل ٣٢١
الدرس السادس: الإنسان مخلوق ناقص ٣٢٢
تفسير: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ...﴾ [٣٣] ٣٢٣
المعنى العام ٣٢٣
أسئلة وأجوبة........................ ٣٢٣
الدروس المستفادة من الآية ٣٢٧
الدرس الأوّل: أفضلة آدم على الملائكة ٣٢٧

الدرس الثاني: النبأ أخص من الخبر ٣٢٧

الدرس الثالث: الأنبياء أساتذة الملائكة.. ٣٢٧

الدرس الرابع: الحذر من الرياء ٣٢٧

الدرس الخامس: الخوف والرجاء جوهر العبادة ٣٢٨

الدرس السادس: الحث على تطهير الباطن ٣٢٨

الدرس السابع: فضل العلم بين الناس ٣٢٨

الدرس الثامن: التسليم لأوامر الله لعلمه بالمصالح ٣٢٨

تفسير: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوْا لآدَمَ...﴾ [٣٤] ٣٢٩

المعنى العام ٣٢٩

أسئلة وأجوبة ٣٢٩

الدروس المستفادة من الآية ٣٣٦

الدرس الأوّل: قبح التكبر وآثاره ٣٣٦

الدرس الثاني: الأعمال بالنيات ٣٣٦

الدرس الثالث: التكبر طريق للكفر ٣٣٧

الدرس الرابع: معنى إبليس الحزن العارض ٣٣٧

الدرس الخامس: تسخير الملائكة لآدم ٣٣٧

الدرس السادس: في خلق الشيطان مصالح ٣٣٨

الدرس السابع: الإنسان مسجود الملائكة ٣٣٨

الدرس الثامن: الكفر أقدم من الشرك ٣٣٨

تفسير: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...﴾ [٣٥] ٣٣٩

المعنى العام ٣٣٩

أسئلة وأجوبة ٣٣٩
الدروس المستفادة من الآية ٣٤٤
الدرس الأوّل: الفوضى تؤدي إلى الندم والخسران ٣٤٤
الدرس الثاني: نبذة عن شخصية آدم عليه السلام ٣٤٥
الدرس الثالث: السكن دلالة على الخروج لا الإقامة ٣٤٥
الدرس الرابع: الحذر من ارتكاب المحرمات ٣٤٥
الدرس الخامس: في الخروج من الجنة حكم ومصالح ٣٤٥
الدرس السادس: للظلم مراتب مختلفة ٣٤٥
الدرس السابع: تبعية حواء لآدم ٣٤٦
الدرس الثامن: من الحكمة في خلق حواء تكاثر النسل ٣٤٦
الدرس التاسع: القرب من المحرم يوجب الوقوع فيه ٣٤٦
تفسير: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ...﴾ [٣٦] ٣٤٧
المعنى العام ٣٤٧
أسئلة وأجوبة ٣٤٧
الدروس المستفادة من الآية ٣٥٢
الدرس الأوّل: المعصية من فعل الإنسان ٣٥٢
الدرس الثاني: الإنسان عدو الإنسان ٣٥٣
الدرس الثالث: الحذر من مكر الشيطان ٣٥٣
الدرس الرابع: الدنيا محل التكليف ٣٥٣
الدرس الخامس: خروج آدم من الجنة درس للإنسان ٣٥٤
تفسير: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ...﴾ [٣٧] ٣٥٥

المعنى العام ٣٥٥
أسئلة وأجوبة ٣٥٥
الدروس المستفادة من الآية ٣٦١
الدرس الأوّل: توسط الكلمات سبب في قبول التوبة ٣٦١
الدرس الثاني: أهمية الكلمات في حياة آدم ٣٦١
الدرس الثالث: الحث على التوبة ٣٦٢
الدرس الرابع: التوبة من الله والعبد معا ٣٦٢
الدرس الخامس: التوبة منّة من الله ٣٦٢
الدرس السادس: باب التوبة مفتوح إلى قيام الساعة ٣٦٣
تفسير: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً ...﴾ [٣٨] ٣٦٥
المعنى العام ٣٦٥
أسئلة وأجوبة ٣٦٥
الدروس المستفادة من الآية ٣٦٩
الدرس الأوّل: مفارقة الجنان من أصعب المواقف ٣٦٩
الدرس الثاني: رحمة الله للإنسان غير منقطعة ٣٦٩
الدرس الثالث: إطاعة الله أمان واطمئنان في الدنيا ٣٧٠
الدرس الرابع: إطاعة الله أمان في مواقف الآخرة ٣٧٠
الدرس الخامس: الاختيار مزية للإنسان ٣٧٠
تفسير: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ...﴾ [٣٩] ٣٧١
المعنى العام ٣٧١
أسئلة وأجوبة ٣٧١

الدروس المستفادة من الآية ٣٧٣
الدرس الأوّل: الإنسان يحدد مصيره بالاختيار ٣٧٣
الدرس الثاني: كثرة الكافرين وقلة المؤمنين ٣٧٣
الدرس الثالث: الجحود سبب خلود الإنسان في النار ٣٧٣
تفسير: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اُذكروا نِعْمَتِيَ ...﴾ [٤٠] ٣٧٥
المعنى العام ٣٧٥
أسئلة وأجوبة ٣٧٦
الدروس المستفادة من الآية ٣٨٢
الدرس الأوّل: وجوب شكر النعم ٣٨٢
الدرس الثاني: إبطال قول المجبرة ٣٨٣
الدرس الثالث: نعمة الآباء في مصلحة الأبناء ٣٨٣
الدرس الرابع: ذكر النعم يوقظ الضمير ٣٨٣
الدرس الخامس: إسرائيل الاسم الثاني ليعقوب عليه السلام ٣٨٣
الدرس السادس: القرآن المنهج الإلهي الكامل للبشرية ٣٨٤
الدرس السابع: ظلم الفراعنة في بني إسرائيل ٣٨٤
الدرس الثامن: الحث على ذكر النعم الإلهية ٣٨٤
الدرس التاسع: الوفاء بالعهد مصلحة عظيمة للناس ٣٨٤
الدرس العاشر: جوهر الإخلاص الخوف من الله وحده ٣٨٥
الدرس الحادي عشر: اقتباس العبرة من قصة بني إسرائيل ٣٨٥
تفسير: ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ و...﴾ [٤١] ٣٨٧
المعنى العام ٣٨٧

أسئلة وأجوبة ٣٨٧
الدروس المستفادة من الآية ٣٩٣
الدرس الأوّل: الشريعة السابقة تخبر عن اللاحقة ٣٩٣
الدرس الثاني: الرسالات متحدة في الهدف والمضمون............................ ٣٩٣
الدرس الثالث: الدنيا ثمن قليل ٣٩٣
الدرس الرابع: التقوى من الله وحدة... ٣٩٣
الدرس الخامس: المبالغة في حرمة إنكار النبي الأكرم ٣٩٤
الدرس السادس: الحذر من ارتكاب المحرمات ٣٩٤
الدرس السابع: توبيخ علماء السوء ٣٩٤
الدرس الثامن: تحريف علماء اليهود للأحكام ٣٩٥
الدرس التاسع: التعريض باليهود لإنكارهم النبي الخاتم ٣٩٥
تفسير: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤٢].............. ٣٩٧
المعنى العام ٣٩٧
أسئلة وأجوبة ٣٩٧
الدروس المستفادة من الآية ٤٠٢
الدرس الأوّل: وجوب إظهار العلم لمستحقيه ٤٠٢
الدرس الثاني: تحذير الفقهاء من تلبيس الحق بالباطل ٤٠٢
الدرس الثالث: الحق هو تعاليم الدين... ٤٠٢
الدرس الرابع: من أساليب الكفار الخدعة والكتمان ٤٠٣
الدرس الخامس: حرمة الغش ٤٠٣
تفسير: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [٤٣] ٤٠٥

المعنى العام ٤٠٥
أسئلة وأجوبة ٤٠٥
الدروس المستفادة من الآية ٤٠٩
الدرس الأوّل: دلالتها على وجوب الصلاة ٤٠٩
الدرس الثاني: الالتزام بالوظائف العبودية والاجتماعية ٤٠٩
الدرس الثالث: الحث على حضور صلاة الجماعة ٤٠٩
الدرس الرابع: الحث على التوجه التام في الصلاة ٤٠٩
الدرس الخامس: ارتباط الإنسان بالخالق والمخلوق ٤١٠
الدرس السادس: الحث على تعليم الصلاة للغير ٤١٠
تفسير: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ... ﴾ [٤٤] ٤١١
المعنى العام ٤١١
أسئلة وأجوبة ٤١١
الدروس المستفادة من الآية ٤١٧
الدرس الأوّل: الآمر بالفعل أولى بتطبيقه ٤١٧
الدرس الثاني: التحذير من الازدواجية ٤١٧
الدرس الثالث: الحث على تهذيب نفوس الوعاظ ٤١٧
الدرس الرابع: تحذير الدعاة من التكبر ٤١٨
الدرس الخامس: لزوم إنفاق العلم ٤١٨
الدرس السادس: أنواع البر ثلاثة ٤١٨
الدرس السابع: قدرة الله على فعل القبيح ٤١٩
الدرس الثامن: العقل ما عبد به الرحمن ٤١٩

الدرس التاسع: توبيخ علماء أهل الكتاب ٤١٩
الدرس العاشر: آفة التمييز تعطيل العقول ٤١٩
الدرس الحادي عشر: اقتران العلم مع العمل ٤٢٠
تفسير: ﴿وَاسْتَعِينُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [٤٥] ٤٢١
المعنى العام ٤٢١
أسئلة وأجوبة ٤٢١
الدروس المستفادة من الآية ٤٢٥
الدرس الأوّل: الصبر طريق للسعادة ٤٢٥
الدرس الثاني: الأنانية تصد عن الكمال ٤٢٥
الدرس الثالث: الصلاة تزيل الغم ٤٢٦
الدرس الرابع: في الصبر والصلاة تغلب على الأهواء ٤٢٦
الدرس الخامس: الصبر طريق للسلامة ٤٢٦
الدرس السادس: التأكيد على الجوانب العباديّة والأخلاقية ٤٢٦
الدرس السابع: جواز الاستعانة بغير الله ٤٢٧
تفسير: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إليه رَاجِعُونَ﴾ [٤٦] ٤٢٩
المعنى العام ٤٢٩
أسئلة وأجوبة ٤٢٩
الدروس المستفادة من الآية ٤٣٢
الدرس الأوّل: حضور القلب يوجب الخشوع ٤٣٢
الدرس الثاني: الحث على ذكر المعاد ٤٣٢
الدرس الثالث: الإيمان بلقاء الله يوجب الاستقامة ٤٣٢

الدرس الرابع: الله يُدرك بالقلوب ٤٣٢
الدرس الخامس: الحث على طلب اليقين في ملاقاة الله ٤٣٣
تفسير: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أذكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ...﴾ [٤٧] ٤٣٥
المعنى العام ٤٣٥